

زهرة الأنام في محاسن الشام

تأليف

أبي البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى الدمشقى

من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧)

صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة اولى الابصار » و « سحر العيون »

وكم بالشام من شرف وفضل ومرتب لهدى برّ وبحر
بلاد برك الرحمن فيها فتدسها على علم وخبر
يها غرر القبائل من معدّ وقحطان ومن سروان فهر
اناس يكرمون اجار حتى يجير عليهم من كل وتر
أحمد بن محمد بن اندر الكاتب

حجّ طبع على نفقة

المكتبة العربية - بغداد

لصاحبها : نعمان الأعظمى

وحقوق الطبع محفوظة له

المطبعة السلفية - بمصر

نصايبها : مكتبة السيد عبد القادر

القاهرة : ١٣٤١

زهرة الأنام في محاسن الشام

تأليف

أبي البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصرى الدمشقى

من علماء القرن التاسع (ولد سنة ٨٤٧)

صاحب الديوان المشهور ، وتاريخ « تبصرة اولى الابصار » و « سحر العيون »

وكم بالشام من شرف وفضل ومرتب لدى برّ وبحر
بلاد برك الرحمن فيها فقدسها على علم وخبر
بها غرر القبائل من معدّ وقحطان ومن سروات فهر
اناس يكرمون الجار حتى يجير عليهم من كل وتر
أحمد بن محمد بن المديبر الكاتب

حفظ طبع على نفقة

المكتبة العربية - بغداد

لصاحبها : نعمان الأعظمى

وحقوق الطبع محفوظة له

المطبعة السلفية - بمصر

لصاحبها : مكتبة المطبوع عبد القناع لندن

القاهرة : ١٣٤١

٥٨٠

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله وحده ۞ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أما بعد فإن من الكتب اللطيفة التي عثرنا عليها بين
مخطوطات بغداد دار السلام هذا الكتاب المسمى :

نزلة الأنام ، في محاسن السام

وقد وجدناه من الكتب الجامعة بين لذة الادب من
منثوره الى منظومه ، وبين ملح التاريخ من خصوصه الى عمومه .
وفضلاً عما فيه من لذة وفائدة فإنه يصلح أن يكون نموذجاً
صحيحاً لروح الأدب في القرن التاسع الهجري .

ولما كانت غوطة دمشق — التي استوحى منها المؤلف
موضوع كتابه — من أبداع مجالي الجمال الطبيعي في العالم ، بل
ربما كانت البقعة المتمردة بجمالها في عصر المؤلف ، فإن ما انطوى
عليه هذا الكتاب من الكلام عليها ، ووصف الشعراء والادباء
لأزهارها وأثمارها ، والإشارة الى ضواحيها ونواحيها ، لما يشوق
الاديب الاطلاع عليه

ان المدينة التي اختصها البدرى بكتابه هذا هي اقدم مدينة
 ثبت عمراتها على وجه الدهر ، وتقل ياقوت في معجم البلدان قول
 ابني بكر الخوارزمي : جذان الدنيا أربعة ؛ غوطة دمشق ، وصغد
 سمرقند ، وشعب بوان ، وجزيرة الابله . قال : وقد رأيتها كلها ،
 وافتلها دمشق

قال ياقوت : وجملة الأمر انه لم توصف الجنة بشيء إلا وفي
 دمشق مثله . ومن المحال ان يطلب بها شيء من جليل اعراض
 الدنيا ودقيقها الا وهو فيها اوجد من جميع البلاد

ولا حظنا عند العزم دلي طبع الكتاب ان في النسخة البغدادية
 قصصاً فسعيناً لاستكمالها من النسخة المخطوطة في دار الكتب
 المصرية (رقم ٤٩٤ من كتب التاريخ) وعليهما اعتمادنا في نشره
 طلابين من الله تعالى العون والتوفيق

نعمان الاعظمي

بغداد

صاحب المكتبة العربية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي جعل الشام في وجه الارض شامة خضراء
وزان عاطله بحالي عيون تروي قلب الصادي وتشرح له
صدرا . وأجرى ماءها الفضي على ثراء كالذهب ، وحلى به
حصباء درلم يكن فيه خشاب . وأدار من الماء خلاخيل
على سوق أصول الاشجار ، وقلد أجياد فروعها بيواقيت
اثارتوجت رءوسها بأكليل جواهر الازهار . وأرسل كف
النسيم بمشط المطر فسرح فروع رءوس عرائس النصبون ،
وجملها بحلال ذات اكمام من سندس أخضر ومعصفر
صبغة صنعة من هم له ساجدون

أحمدده حمداً كثيراً حيث صبح اللوز بأمره على بعضهن
غاقداً، وبعضهن أنقلها الحمل من الجوز فأمست بأرادته بعد
قيامها تتماعد . وبعضهن من باسقات النخيل من طرحت
بقدرته ثمرة الفؤاد . واجرى لطفه في بعضهن حيث ارتخت
شهودها كالرمان هائلة بحضنهن في كل واد

وأشكره شكراً مزيداً مذكراً عطف الطال على طفل
أمهات السفر جل فيرضعه وهو يشرب ، وأسبل ستره على
من رفعت كفوفها كورق الكرم لما امتدت وعليها
العنب زب . ومنهن من عمها بالحيا فاحمر خدها كالنفاح ،
ومنهن من نكست رأسها من الهيبة كالكمثرى فاكسبها
عرفا طوت شقق نشره أيدي الرياح

سبحانه أوجد بها اجناسا ذات انواع تسقى بآءواحد ،
وجاد العليلها من انواء السحاب وشعاع النيرين بصلة وعائد .
فجعل قطوفها دانية لأحبائه ، وقدس أرضها اذ هي مرتع
ومربع لأصفيائه . وحبها لسكنى الانبياء ، واختارها
هو طنا لعباده الاولياء

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد تقي يرجو بها في غد التفكه في رياض الجنان مع مزيد
الانعام ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اخترق
السبع الطباق بنور أضاعت منه قصور بصرى من أرض
الشام . ذوالشرف الاعلى السني الجبهة الواضح الجبين ، الذي
أنزل عليه « وآونياها الى ربوة ذات قرار ومعين »

الاهم فصل وسلم عليه ما دامت الشام عامرة بحديثه
الشريف الماحي لصور الكفر الواهية ، وعلى آله وأصحابه
الذين تعاونوا على البر والتقوى في فتحها فمنهم من أخذ
شطرها الشرقي عنوة ومنهم من اخذ الشطر الغربي صلحاً
من باب الجابية

وبعد فقد سألتني أيها الاخ الامجد ، والحبيب الاسعد .
العاشق في محاسن الشام على السماع ، والمتشوق المتوق
الى بديع مرآها المشنف ذكره الاسماع . أن اعلمك بخبرها
لعدم العيان ، وان اقربها اليك بوصف يلذه قاب الهام
الولهان . وهل أنا إلا قسيمك في الشوق والهيام ، وحنيفك

في الحب والغرام

وليس بتزويق اللسان وصوغه

ولكنه ما خالط اللحم والدم

غير اني رُميت منها بعد الوصل بقطيعة صدها،

كاني اذنبت في حالة القرب فادَّباني بهجرها وبعدها

عشنا زماناً وليس الوصل يقنعنا

واليوم أدنى خيال منك يرضينا

أي والله

وما قلت ايه بعدها لمحدث

من الناس الا قال قلبي آها

كيف لا وهو

بلد صحبت به الشبيبة والصبيا

وابست ثوب العز وهو جديد

فاذا تمثل في الضمير رأته

وعليه أغصان الشباب تميد

أستغفر الله هي سقط رأسي ، وجمع أهلي ونادي .

وملعب خلاني واخواني

سقا الله شاماً كان فيها اجتماعنا

بأحبابنا النائين مغدودقا سكبنا

وروى تراها من دموعي مسبل

كبحر فاني أستقل لها السحبا

منازل أحبائي ومربع جيرتي

وأوطان اخواني ومن كان لي تربا

لعمرى لأن شط المزار وأصبحت

منازلهم شرقاً ومنزلنا غرباً

فاني على بُعد الديار وقربها

أسرُّ لهم حباً وأبدي لهم حباً

يهيج أشواقى من البرق لامع

ويبعث أشجاني النسيم اذا هباً

ويدكرني ليالات وصل تصرمت

حمام النوى نوحاً فأسعده ندباً

ليالي اعطيت البطالة حقها
ورحت بما يقضيه حكم الصبي صباً
اعاطي الهوى الصحب الكرام وبيننا
أحاديث آداب أرق من الصهبا
عسى ما مضى من شملنا أن نعيده
ونصبح في أفق ونمسي به شهباً
كيف اخفي ذلك ، وقد سبق في علم الله ما كان حمداً
وشكراً على حب الوطن ، فانه من الايمان
وما عن رضى كانت سليمان بديلةً
بليلى ، ولكن للضرورات أحكام

نعم

شكوت وما الشكوى لمثلي عادة
ولكن تفيض العين عند امتلائها
فأجبتك أيها السائل اذ هيجت عندي من الدموع
بحار الاشتياق . وواسيتك أيها العاشق اذ أتيتك بخبر
المعشوق ولعل الخبر يكون وصله في التلاق ، وقد فصلته

لك في هذه الاوراق . وهو من جملة ما عندي ، وقدمت
 لخضرتك السامية ثروة ما ملكه اللسان من جواهر
 حفظها القلب في صندوق الصدر وأوردتها بخط يدي . وما
 هي الا صبابة من صب ، وقطرة من جفن نازح حب

وما تناهيت في بي محاسنها

الا وأكثر مما قلت ما أدع

لعامي أن محاسن (دمشق) كثيرة لا تستقصى ،
 وأوصاف صفاتها تتضاعف أعدادها ولا تحصى . قصرت
 عن استيفائها أرباب التواريخ المطولة الحسنة ، وحفيت
 سوابق فحول أقلامهم في ميادين الطروس أن يدركوا
 حصر بعضها في مصنفاتهم المدونة . لكن بحمد الله جاءت
 هذه النبذة حديقة يترنم بها الخاطر ، ويتنزه فيها الناظر *
 ولهذا سميتها

﴿ نزهة الانام * في محاسن الشام ﴾

والله تعالى أسأل أن يعوضنا عن ضيق هذه الدنيا
 الجافية ، بالدخول الى جناته الواسعة الرفيعة ، وان يتمتعنا

فيها بفاكهة كثيرة لامقموعة ولا ممنوعة . ان شاء الله
تعالى بكرمه ومنه وأمنه ويمنه

فمن محاسن الشام ماورد فيها من رواية ابي داود في
سننه عن عبد الله بن حوالة قال رسول الله ﷺ « انكم
ستجندون بعدي أجناداً ثلاثة جنداً الى اليمن . وجنداً الى
الشام . وجنداً الى العراق » قال عبد الله « خري يارسول
الله » قال « عليك بالشام . فانها خيرة الله في أرضه يجتبي
اليها خيرته من عباده . وان الله قد تكفل لي بالشام وأهله »
قال أبو ادريس الخولاني ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه
وقال رسول الله ﷺ « ستفتح عليكم الشام فعليكم
بمدينة يقال لها (دمشق) هي خير مدائن الشام ، وفسطاط
المسلمين بأرض منها يقال لها اللخوطة

وقال ابو هريرة رضي الله عنه : « أربع مدائن من
مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار . فأما مدائن
الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، وأما مدائن
النار فالقسطنطينية وطبرية وانطاكية المحترقة وصنعاء »

قال ابو عبد الله السقطي ليس هي صنعاء اليمن وانما هي صنعاء بأرض الروم . وانطاكية المحترقة انما سميت بذلك لان العباس بن الوليد بن عبد الملك أحرقها . وهو من فضائل الشام للربيعي . وهو عند كعب الاحبار أيضاً من طريق آخر . انتهى والحديث المبدأ به رويناها من حديث أبي مسهر عبد الاعلى بن مسهر عن سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة الازدي رضي الله عنه ، قال شيخ الاسلام وأمير المؤمنين في الحديث شهاب الدين احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وهو حديث حسن مسلسل بالدمشقيين وهو عن النبي ﷺ قال « انكم ستجندون أجناداً . جنداً بالشام . و جنداً بالعراق . و جنداً باليمن » قال الخوالي « خري يارسول الله » قال « عليكم بالشام فمن أبي فليأحق بيمنه ويسق من غدرة فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » فكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث التفت الى ابن عامر فقال « من تكفل الله تعالى به فلا ضيعة عليه » انتهى والله تعالى أعلم

ومن ما من الشام هذا الحديث القديسي الذي ورد
 فيها عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال « اتنا نجد في كتاب
 الله تعالى يعني الثوراة أن الأرض على صفة تنقسم فترأس
 الشام والجناح الايمن الغرب والجناح الأيسر الشرق وهو
 العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة
 يقال لها واق واق . وخلفها من الأمم ما لا يعلمه إلا الله
 تعالى . والظهر السند وخلف السند الهند . وخلف الهند أمة
 يقال لها مسند وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلا الله
 تعالى . والذنب اليمين فلا يزال الناس بخير ما لم يقرع الرأس
 فاذا قرع الرأس هلك الناس »

قال بعض الشراح والمؤرخين والمفسرين إنما سميت
 الشام شاماً لان قوماً من بني كنعان نزلوها فتنشأموها اليها
 فسميت شاماً لذلك

وقالت طائفة انما سميت شاماً لما تشاءم لها ^(١) أهل
 اليمين من يمنهم كما يقال تيامنوا وتياسروا فسميت بذلك

(١) كانت في الاصل « لما تشاءموا لها . الخ »

وقال قوم انما سميت شاماً لأن بني اسرائيل قتلوا بني
 كنعان ونفوا ما بقي منهم فصارت لهم ، ثم وثب الروم على
 بني اسرائيل فقتلواهم وأجلاوا من بقي عنها الى العراق الا قليلا
 منهم ، ثم جاءت العرب فقتلت الروم وسببتهم وهرب من
 سلم منهم الى بلاد الروم ، واستمرت بيد أولاد العرب الى
 يومنا هذا

قال الجوهري يذكر ويؤنث ورجل شامي وشام على فعال
 وشامي أيضاً حكاه سيبويه رحمة الله تعالى عليه ولا تقل شام
 وما جاء في ضرورة الشعر محمول على أنه اقتصر من النسبة على
 ذكر البلد وامرأة شامية وشامية مخففة الياء

ونقلت من خط اللزوي أحمد بن مطرف من الجزء
 الثاني من كتابه المسمى بالترتيب في الاخبار والاعاجيب
 أن في الشام قولين أحدهما أنه يجوز أن يكون مأخوذاً
 من اليد الشومى وهي اليد اليسرى واليمنى اختها فالشومى
 من الشوم واليمنى من اليمن . وقالت العرب :

فأنحى على شؤمى يديه فزادها

بأظماً من فرع الذؤابة اسجماً

أظماً أفعل من الظما وشؤمى مقصور مهموز ويجوز أن

يكون فعلى من الشوم

ويجوز أن يكون فيه قول ثالث وهو أن يكون

جمع شامة والشامة العلامة . يقال شامة وشام مثل حاجة

وحاج . والرجل أشام إذا كان ذا شامة وحقبة الشامة أن

تكون مخالفة للون سائر الجسم . قال الجاحظ وأطلقت

الشامة على النكتة من أي لون كان في أي لون كان

اضعافها . الا ترى قول رسول الله ﷺ لما نزلت « يا أيها

الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم - الى قوله -

ولكن عذاب الله شديد » قال عمران بن الحصين انزلت

هذه الآية وهو في سفر قال « أتدرون أي يوم ذلك » قالوا

« الله ورسوله أعلم » قال « ذلك يوم يقول الله لا دم ابعث

بعث النار » قال « يارب وما بعث النار » قال « تسعمائة وتسعون

الى النار وواحد الى الجنة » فانشأ المسلمون يبكون : فقال

رسول الله ﷺ « قاربوا وسددوا فإنه لم تكن نبوة قط
 إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ ذلك العدد من الجاهلية
 فإن تمت والأكملت من المنافقين . وما مثلكم ومثل الأمم
 إلا كمثل الرقعة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير »
 ثم قال « اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة » فكبروا
 ثم قال « اني لأرجو ان أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبروا
 ثم قال « اني لأرجو ان تكونوا نصف أهل الجنة »
 فكبروا ثم قل ولا أدري قال الثلثين أم لا رواه الترمذي .
 فانظر اليه ﷺ كيف اطلق الشامة وجعلها في جنب البعير .
 والبعير قد يكون ازرق أو أحمر وغير ذلك . وما الغرض
 إلا النكتة القليلة من اي لون كانت في جنب البعير من أي
 لون كان . الا تراهم يقولون أرض الشام والشام جمع شامة
 وذهب بعضهم الى تسميته شاما لشامات له يعني
 اختلاف اراضيه في الوان تراها وقد علمت أن بعض تراه
 أبيض وأسود وأحمر وأصفر وبعضها كدر . ويختلف
 كل لون منها في ذاته بالاشدية والاضعفية اختلافاً كثيراً

فصح أن إطلاق الشام هاهنا لكونها نكتة في الأرض
 إذ الشام بمجموعه لو كان لونا واحداً لكان كالنكتة الخفيفة
 الخفية في أديم الأرض. ثم انهم تجاوزوا في استعمال الشام
 الى ان أطلقوها على غير اللون فأطلقوها على كل شيء قليل
 في نوعه فقالوا: فلان في قومه شامة. اما لمزيتته عندهم
 بالكرم أو بالحلم أو بالشجاعة أو بغير ذلك من الصفات
 الحميدة. ومنه قول ابن الساعاتي :

لولا صدودك يا امامه مابت اندب عهد رامة
 ابكي ليالي غبطة كانت لحد الشام شامة
 فتأمل كيف أطلق الشام على لياليه التي قطعها بالشام لأنه
 استلذ زمانها واستطاب أوقاتها من بين الليالي كلها. انتهى
 ومن محاسن الشام ما روى عن كعب الاحبار رضي
 الله عنه أنه قال: ما بعث الله نبياً الا من الشام فان لم يكن
 من الشام هاجر الى الشام. وبها رأس يحيى ابن نبي الله زكريا
 عليهما السلام بين الاساطين ^(١) من الجانب الشرقي

(١) كانت في الاصل « الاساطوين »

بالجامع الاموي . قبالة هود عليه السلام في الجدار القبلي
قبره . انتهى

ومن محاسن الشام بناؤها ودمشقتها

قال وهب بن منبه : دمشق بناها العازر غلام ابراهيم
الخليل عليه الصلاة والسلام وكان حبشيا وهبه له عمرو بن
كنعان

وقال أبو الحسن الرازي : رأيت في الكتاب الذي
سماه أبو عبيدة (كتاب فضائل الفرس) أن بيوراسف الملك
بني مدينة بابل ومدينة دمشق

وفي جزء الدمشقيين ما حكاه أبو الخير العراقي قال كان
في زمان معاوية بن أبي سفيان رجل صالح بدمشق وكان
يقصده الخضر عليه السلام في أوقات للزيارة فبلغ ذلك
معاوية فجاء اليه وقال بلغني أن الخضر يأتيك فأحب أن تجمع
بيني وبينه فقال له نعم فلما جاء الخضر عليه السلام على العادة
قال له الرجل ان معاوية سأله الاجتماع به (١) فقال الخضر

(١) كانت في الاصل « بك »

عليه السلام لا سبيل الى ذلك قال معاوية قل له قد اجتمع
 على افضل الخلق وحدثه وجلس معه وهو سيد الأولين
 والآخرين ^{عليه السلام} ^{وسام} ولكن سله عن ابتداء (دمشق) كيف
 كان قال الرجل فسألته قال صرت اليها فرأيت موضعها
 بحراً تستجمع فيه المياه ثم غبت عنها خمسمائة عام ثم صرت
 اليها فرأيتها قد ابتدء فيها بالبناء ونفر يسير بها

ونقل ابن عساكر رحمه الله تعالى في فتوحه قال :
 وجدت بخط أبي الفرج الاصفهاني فيما ذكر انه نقله من
 كتاب فيه اخبار الكعبة المشرفة وفضائلها واسماء المدن
 والبلدان واخبارها ثم ذكر مولد ^(١) ابراهيم الخليل عليه
 السلام على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمسين سنة من جملة
 الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة وذلك بعد بنيان دمشق
 بخمسين سنة . ونقل بعض المؤرخين بخمس سنين . قلت
 وهذا يناقض ما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم
 وقال صاحب عيون التواريخ ان الذي بناها غلام

(١) في الاصل «مولود»

(الاسكندر) اسمه (دمشقش) وقيل (دمشق)
وذلك لما رجع (الاسكندر) من المشرق ، وعمل
السد بين أهل خراسان وبين ياجوج وما جوج ، وسار
يريد المغرب ، فلما بلغ الشام وصعد على عقبة (دُمر)
نظر الى هذا المكان الذي فيه اليوم (دمشق) فوجد
واديًا يخرج منه نهر جار وغيضة أرز فلما رآها ذو القرنين
ورأى اجتماع الماء بواديها فأخذ الاسكندر لغلغلامه (دمشقش)
فأمره أن ينزل بها وكان أمينه على جميع ملكه فنزل هو
والاسكندر في موضع القرية المعروفة (بيلا) وهي من
غيضة الأرز على ثلاثة أميال ، وأمره أن يحفر في ذلك
الموضع حفيرة فلما فعل ذلك أمر أن يردها بالتراب الذي
حفر منها فلما رد التراب اليها لم يعلأها فقال للغلام ارحل
بنا فاني كنت نويت أن أسس في هذا المكان مدينة
فبان لي ما يصلح ان يكون ههنا مدينة فانه ما يكفي
اهلها زرعها فلما رحل الاسكندر عنها وصار الى (البثنية)
و (حوران) وأشرف على تلك السعة وانظر الى أرضها

الجرأ فأمر بتناوله من ذلك التراب فلما لمسه بيده أعجبه
ورأى لونه كالزعفران فأمر بالنزول هناك وان يحفر حفيرة
فلما حفرت أمر برد التراب فردوه ففضل منه ثلثه فقال
(الاسكندر) للغلام (دمشقش) ارجع الى الموضع الذي به
الارز وانزل الوادي واقطع الاشجار التي على حافته وابنها
مدينة وسمها باسمك فهناك يصلح أن يكون مدينة وهنا
يصلح أن يكون زرعها فانه يجزئها ويكون منه ميرتها.
يعنى المكان المسمى بحوران والبثنية. فرجع الغلام دمشق
الى الغيضة واختط بها المدينة وجعل لها ثلاثة ابواب الأول
(باب جيرون) والثاني (باب البريد) والثالث (باب الفراديس)
وهذا القدر هو المدينة فاذا غلقت هذه الثلاثة الأبواب فقد
اغلقت المدينة وتحصنت. وخارج الابواب مرعى ونبات
وأعشاب وما أشبه ذلك. وكان قد بنى له فيها كنيسة يعبد
الله تعالى [فيها] وهي الموضع الذي هو الآن الجامع
وقيل إن الذي بنى الكنيسة اليونان. وقيل بل
وسعوها عم وكبروها على ما هي عليه اليوم من الجامع المعمور

بذكر الله تعالى

وسكنها (دمشق) واستمر بها الى أن مات فيها وبه
عرفت وسميت : غير ان طول الازمنة وتغير الاحوال
واختلاف الالسنه حذفت شينه وسكنت قافه فقليل
(دمشق) وقيل انما اسمه دمشق وبه سميت

وقال الجوهري دمشق المراد به السرعة ويجمع على
دماشق ومنه قول الهذلي :

دماشق يعفقن عفق السعالى

خفاف التوالى طوال الجزور (١)

وناقة دمشق أي سريعة جدا ومثلها حَضَجْرُ ومنه

قول الزفيان «وصاحي ذات هباب دمشق»

قال الجوهري و (دمشق) هي قصبه الشام . انتهى

وقال ابو مسهر عبد الأعلى راوي الحديث المتقدم

ان الذي بنى حصن (دمشق) هو الذي حول أبواب (بيت

المقدس) الى مسجدها وجعله على مساحته

(١) لم نجد هذا في (الصحاح) وفيه الاسطر الثلاثة التالية

واليونان هم الذين وضعوا الارصاد وتكلموا على
حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها وبنوا (دمشق)
في طالع سعيد واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد
بين هذين الجبلين ، وصرفوا أنهاراً تجري الى الاماكن
المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء في أبنية الدور بها وبنوا
هذا المعبد وكانوا يصلون الى القطب الشمالي فكانت محاريبه
تجاه الشمال وبابه يفتح الى جملة القبلة حيث المحراب اليوم
كما شاهدنا ذلك عياناً لما تقضوا بعض الحائط القبلي وهو
باب^١ حسن^٢ مبني^٣ بحجارة منحوته عن يمينه ويساره بابان
صغيران بالنسبة اليه وكان غربي^٤ المعبد قصراً منيفاً جداً
تحمله هذه الاعمدة التي يباب البريد وشرقيه باب قصر
جيرون وهي « إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في
البلاد » انتهى .

وقال بعض المؤرخين الذي بني (باب جيرون^(١))
سليمان عليه السلام بنته له الشياطين وكان الذي تكفل

(١) في الاصل « الذي يباب جيرون »

بعمارتها اسمه (جيرون) فسمى به

وقال بعض المؤرخين بناه (عاد) وقيل بل ولده (سعد)
كان له ولدان احدهما اسمه (جيرون) والآخر (بريد) فبنى
لهما هذين القصرين على أعمدة وفتح لكل قصر منهما بابا الى
المعبد فسمى كل واحد باسم صاحبه وهو أول من صنع
المدينة وأحدث بها البناء وعمل لها الابواب :

الاول (الباب الصغير) وهو الذي نزل عليه (يزيد بن
أبي سفيان) في حصار المسلمين الروم ودخل منه . وسمى
بذلك لانه كان أصغر أبوابها حين بنيت . وقيل يسمى
(باب الجاية الصغير) وهو في قبلة البلد

الثاني (باب كيسان) وهو من شرقيّه وينسب الى
(كيسان مولى معاوية) لنزوله عليه قلت وهو الآن مسدود
ويليه الثالث وهو (باب شرقيّ) لانه شرقيّ البلد
وعليه نزل (خالد بن الوليد) رضي الله عنه ومنه دخل عنوةً
كما في التواريخ المطبوعة

ويليه الرابع وهو (باب توما) من شام البلد ينسب

إلى عظيم عن عطاء الروم وسمي باسمه وكان له عليه كنيسة
ويليه الباب الخامس وهو المسمى (بباب الجنيق)
منسوب إلى رومي اسمه (الجنيق) وبه تعرف (محلة الجنيق)
كانت خارج البلد تسمى (الفراديس) والفراديس بلغة
الروم البساتين

ويليه السابع وهو (باب الجابية) منسوب إلى قرية
الجابية) وكانت في الجاهلية مدينة عظيمة انتهى . وقال
الحافظ ابن عساكر رحمه الله كان باب الجابية ثلاثة ابواب
الأوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران وكان الباب
الشرقي بهذه الصفة لكونه مقابله وكان من الثلاثة الابواب
ثلاثة اسواق ممتدة من الباب الشرقي إلى باب الجابية

وكان الأوسط من الأسواق الثلاثة للمشاة من
الناس ، وأحد السوقين [لمن] يشرق بدابة والآخر لمن
يغرب بدابة حتى لا يلتقي فيهما راكبان

والأبواب صوروها على الكواكب فزحل على باب
كيسان وعلى الباب الشرقي صورة الشمس وعلى باب توما

الزهرة وعلى باب الجنيق القمر^(١) وعلى باب الفراديس .
عطارد وعلى باب الجابية المشتري وعلى الباب الصغير
المرنج^(٢)

وكان من حكام اليونان من اتخذ على باب الجابية
صورة انسان مطرق الرأس كالمثفكر ومن أعماله أنه اذا
دخل أحد يريد بدمشق سوءاً أو بأهله فان ذلك الانسان
يصر لأنيته الباب فيعلم به خدمة الباب وقوامه . انتهى

والمرحوم نور الدين محمود بن زنكي الشهيد افتتح
لها باباً وسماه باب السلام^(٣) وأحدث باب الفرج وسماه
بذلك لما وجد الناس به من الفرج

قال ابن عساكر وكان يقربه باب يسمى باب العمارة
فتح عند عمارة القلعة فسد وأثره باق الى يومنا هذا وأول

(١) في ابن عساكر (١ : ١٦) وباب الفراديس الآخر

المسدود للقمر

(٢) في ابن عساكر الباب الصغير للمشتري وباب الجابية للمرنج

(٣) في الاصل « باب السلامة »

من بني القلعة اقسر ابن آوق ولما جدد الملك العادل أبو بكر بن أيوب القلعة أذهب باب العمارة . والله أعلم
 ويليه الباب الجديد وهو الآن خاص بالقلعة والذي أحدثه
 الأتراك في دولتهم ثم صحفته العوام بالحديد^(١) وهو يفتح
 الى القلعة يليه من الغرب باب السر سمي بذلك لكونه
 يفتح الى القلعة أيضاً وكانت الأتراك ينزلون منه سرّاً
 ويطلعون منه ويجوز الخارج منه على جسر من خشب
 من تحته الخندق الدائر بالقلعة ينيف عمقه على مائة ذراع
 بالعمالة به يتخزن الماء وينبت البوص وغير ذلك وهو غير
 خندق المدينة

واصطلاح في آخر دولة ابن قلاوون أن من يولى نيابة
 دمشق أن يصلي عند هذا الباب ركعتين مستقبل القبلة
 بحيث يبقى الباب على يساره ويقف أجناد القلعة وأرباب
 الوظائف والأتراك في منازلهم على حسب العادة متحملين
 السلاح الى أن يفرغ من صلاته ودعائه فان أريد به شر
 (١) قال ابن عساكر (١٦:١) باب الحديد في سوق الاساكفة -

قبض عليه ودخلوا به من ذلك الباب ويقفلون الجسر بينهم وبين أعوانه ، فان الجسر بلوالب يحمل بينهم . وان أريد به خير ركب في عزه ووجوه الدولة في خدمته الى أن ينزل بدار العدل التي أنشأها المرحوم نور الدين الشهيد . وهي التي تسمى اليوم بدار السعادة وهي تلي باب السرور وعلى بابها باب النصر فتحة الملك الناصر بن أيوب للمدينة وهذه الخمسة الابواب الحادثة جميعها فيما بين بابي الجابية والفراديس إلا باب السلام وفي السور أبواب صغار تفتح عند الحاجة اليها غير ما ذكرنا وغالب هذه الأبواب القديمة بنى عليها منائر نور الدين الشهيد رحمه الله على مساجد وجعل لكل باب باشورة كالسويقة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة وقفلت الأبواب يستغنى أهل كل باب من هذه الأبواب بما عندهم وهو مقصد جميل . والله أعلم

ومن محاسن الشام افتتاحها على يد الصحابة رضي الله عنهم قال الخافظ ابن عساكر لما فتح الله تعالى على المسلمين

الشام بكاله ومن جملته (دمشق) المحروسة بجميع اعمالها
وانزل الله عز وجل رحمة فيها وساق بره اليها كتب أمير
المؤمنين ^(١) وهو اذ ذاك أبو عبيدة رضي الله عنه كتاب
أمان وأقر بايدي النصارى أربع عشرة كنيسة وأخذ منهم
نصف هذه الكنيسة وأخذ منهم التي كانوا يسمونها
كنيسة مريحنا بحكم أن البلد فتحه خالد بن الوليد رضي
الله عنه من الباب الشرقي بالسيف وأخذت النصارى الامان
من أبي عبيدة وهو على باب الجابية فاختلفوا ثم اتفقوا على
أن جعلوا نصف البلد صلاحاً ونصفه عنوة فأخذ المسلمون
نصف هذه الكنيسة الشرقي فجعله أبو عبيدة رضي الله
عنه [مسجداً وكانت قد صارت اليه إمارة الشام فكان أول
من صلى فيه أبو عبيدة رضي الله عنه] ^(٢) ثم الصحابة بعده
في البقعة التي يقال لها محراب الصحابة رضي الله عنهم ولم يكن

(١) أي الأمير علي من شهد هذا الفتح من المؤمنين

(٢) الموضوع بين هاتين الاشارتين [كان ناقصاً من

النسخة البغدادية وأكمل من النسخة المصرية

الجدار مفتوحاً بمحراب محني وانما كان المسلمون يصلون عند
هذه البقعة المباركة

وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد
وهو باب المعبد الاصيل الذي كان في جهة القبلة مكان المحراب
الكبير الذي هو اليوم حسبما سلف لنا ذكره فينصرف
النصارى الى جهة الغرب لكنيستهم ويأخذ المسلمون
يميناً الى مسجدهم . ولا يستطيع النصارى أن يجهروا بقراءة
كتابهم ولا يضربون بناقوس اجلالاً للصحابة رضي الله
عنهم ومهابة لهم وخوفاً منهم

ولما ولي امارتها معاوية رضي الله عنه بنى دار الامارة
وسماها ﴿ الدار الخضراء ﴾ وسكنها معاوية أربعين سنة
والامر على ذلك . والله أعلم

ومن محاسن الشام ما ورد في فضل مسجدها . نقل
عن بعض المفسرين في قوله تعالى « والتين والزيتون وطور
سينين وهذا البلد الامين » عن قتاده أنه قال : لقد أقسم
الله تعالى بأربعة مساجد فان التين هو مسجد دمشق

والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين حيث كلم الله عز وجل موسى عليه السلام والبلد الامين مكة المشرفة وعن يزيد بن ميسرة قال : أربعة أجبل مقدسة بين يدي الله تعالى : طور زيتا ، وطور سيننا ، وطور تيمانا . قال فطور زيتا بيت المقدس ، وطور سيننا طور موسى عليه السلام ، وطور تيمانا مسجد دمشق ، وطور تيمانا مكة المشرفة

وعن محمد بن شعيب قال : سمعت غير واحد من قدمائنا يذكرون أن التين مسجد دمشق . وأنهم قد أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد . وعن عمرو بن الدونس العسائي في تفسيره والتين قال : التين مسجد دمشق ، كان بستاناً لهود عليه السلام ، وفيه تين قديم

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال : أوحى الله تبارك وتعالى الى جبل قاسيون أن هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس . قال ففعل . فأوحى الله عز وجل اليه : اما

وقد فعلت فاني سأبني لي في حضنك بيتاً . قال الوليد بن مسلم في حضنك أي وسطك وهو المسجد أعني مسجد دمشق أعبد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ولا تذهب الايام والليالي حتى أرد عليك ظلك وبركتك . قال فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع

ويقال ان أول من بنى جدران هذا الجامع الأربعة هود عليه السلام ، وكان هود قبل ابراهيم الخليل عليهما السلام بمدة طويلة

وقد جاء في الاخبار ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاتل شمالي دمشق عند (برزة) قوما من أعدائه فظفروهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند قرية برزة وبه سميت عند بروزه . على أعدائه وبها متعبده بسفح الجبل ينسب اليه . وكانت دمشق عامرة إذ ذاك

وعن مسلم بن الوليد قال لما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر منقوش فأتوا به الوليد فلم يجد من يحسن قراءته

فدلوه على وهب بن منبه فبعث اليه فلما قدم أخبره بموضع ذلك اللوح فقرأه وهب فاذا فيه موعظة^(١) وفي آخرها كتب في زمن سايمان بن داود عليهما السلام . والله سبحانه وتعالى أعلم

ومن محاسن الشام بناء معبدها . قال ابن عساكر : لما صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك عزم على أخذ بقية هذه الكنيسة وإضافتها الى ما بأيدي المسلمين وجعل الجميع مسجداً واحداً وذلك لتأذي المسلمين بسماع قراءة النصارى في الإنجيل ورفع أصواتهم في الصلاة فاحب أن يبعدهم عن المسلمين فطلب النصارى وسألهم أن يخرجوا عن بقية الكنيسة ويعوضهم اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقر لهم اربع كنائس لم تدخل في العهد وهي كنيسة مريم وكنيسة الصلبة وكلاهما داخل الباب الشرقي وكنيسة تل الجبن وكنيسة حميد بن درة^(٢) التي بدرب الصيقل

(١) هذه الموعظة في تاريخ ابن عساكر (١ : ١٩٧)

(٢) قال ابن عساكر (١ : ٢٤٢) : هو حميد بن عمرو بن

فأبوا ذلك أشد الأباء فقال ائتونا بعهدكم الذي بأيديكم في
 زمن الصحابة فقري بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التي
 كانت خارج باب توما لم تدخل في العهد وكانت فيما يقال
 أكبر من كنيسة مريحنا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجداً
 فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس
 ونحن نرضى بأن يأخذ بقية كنيسة مريحنا فاقرهم على تلك
 الكنائس وأخذ منهم بقية الكنيسة

ثم امر الوليد بالهدم فجاءت اساقفة النصارى وقساوستهم
 وقد ندموا فقالوا يا أمير المؤمنين إنا نجد في كتبنا أن من
 يهدم هذه الكنيسة يجن فقال أنا أحب أن اجن في الله
 والله لا يهدم فيها أحد قبلي ثم صعد المنارة الغربية وكانت
 صومعة عظيمة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأبى
 الراهب فأخذ بقفاه وحدّره منها ثم وقف على أعلى مكان

مساحق القرشي العامري ، وأمه (درة) بنت أبي هاشم خال
 معاوية بن أبي سفيان ، وهو أبو هاشم بن عتبة بن ربيعة . وكان
 للدرب اقطاعا له فنسبت الكنيسة اليه

عنها فوق المذبح الاكبر الذي يسمونه الشاهد وأخذ
 فاساً وضرب أعلى حجر فلقاه فتبادر الامراء والاجناد الى
 الهدم بالتكبير والتهليل والنصارى تصرخ بالعويل على
 درج باب البريد وجيرون وقد اجتمعوا فامر الوليد صاحب
 الشرط أن يضربهم وهدم المسلمون جميع ما كان من آثارهم
 من المذابح والابنية والحنايا حتى بقي صرحه مربعة

ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على هذه الصفة الحسنة
 التي لم يشهد مثلها من قبلها ولا من بعدها

واستعمل الوليد في هذا المسجد خلقاً كثيراً من
 الصناع والمهندسين والمرخين . وكان المستحث على عمارته
 أخوه سايمان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث الى ملك
 الروم يطلب منه صناعاً في الرخام والاحجار وغير ذلك
 ليعمروا هذا المسجد على ما يريد وأرسل يتوعدده إن لم يفعل
 ليغزون بلاده بالجيوش وليخربن كل كنيسة في بلاده حتى
 القيامة التي بالقدس الشريف ويهدم كنيسة الرها وجميع
 آثار الروم . فبعث ملك الروم صناعاً كثيرة جداً وكتب

اليه يقول له ان كان ابوك فهم هذا الذي تصنعه وتركه فانه
لوصمة عليك وان لم يفهمه وفهمته انت فانه لوصمة عليه ..
فاراد ان يكتب اليه الجواب واذا بالفرزدق الشاعر دخل
عليه فلخبره بما كتبه ملك الروم فقال يا امير المؤمنين انت
جعلت اخاك سليمان هو القائم بأمر العمارة والجواب
بنص القرآن « ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً »
فاجب ذلك الوليد وارسل به جواباً لملك الروم

ولما اراد الوليد ان يبني القبّة التي في وسط الروايات
التي يقال لها قبّة النسر (قلت وهو اسم حادث علي ما ظنّ
كأن العوام شبهوها بالنسر في شكله لأن الروايات
عن يمينها وشمالها كالاجنحة لها) حفر لأركانها حتى
وصل الى الماء وشربوا منه ماء عذباً زلالاً ثم وضعوا فيه
جراز الكرم وبنوا فوقها بالحجارة فلما ارتفعت الاركان
عقدوا عليها القبّة فسقطت . فقال الوليد وقد أعياه أمرها
لبعض المهندسين اريد أن تبني لي أنت هذه القبّة . فقال
علي أن تعطيني عهد الله وميثاقه أن لا يبني فيها أحد غيري

وان لا يعارضني فيما أرومه . ففعل ذلك . وبنى الاركان ثم
سترها بالبوارى والحصر واختفى سنة لا يعلم الوليد أين
ذهب ولا يستطيع أن يدع أحداً يتمها . فلما كان بعد العام
حضر على الوليد فقال له : كيف حتى عطلت البناء . قال لا امر
خفى على أمير المؤمنين وعلى البنائين ثم قال يا أمير المؤمنين
احضر معي حتى أوقفك على ذلك فلما حضر الوليد وكشف
الحصر والبوارى عن الاركان فاذا هي هبطت بعد ارتفاعها
حتى ساوت الارض . فأعجب الوليد و [رجال] الدولة
بوخلع عليه . ثم أكمل بناءها وعقدتها على الهيئة المعلومة الآن
وأراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص
ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له بعض المعاميين : انك لا تقدر
على ذلك . فضربه خمسين سوطاً وقال له ويحك أنا أعجز عن
ذلك . فقال له المهندس الذي بناها : صدق يا أمير المؤمنين
وأنا أوضحه لك . فأمر أن يسبك له لبنة على القدر الذي
يطلبه . فلما أحضرها قال أمير المؤمنين : احسبوا القدر
الذي دخل فيها . فوجدوه عدة من الالوف فقال : يا أمير

المؤمنين اريد مثل هذه كذا وكذا الف لبنة فان كان
عندك ما يكفي عملناه . فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق
المضروب ورسم له بخمسين ديناراً واعتذر اليه

ولما سقف الوليد الجامع جعلوا أسقفه جملونات وياطنها
مسطحاً مقرنصاً بالذهب . فقال له بعض أهله : أتعبت
الناس بعدك بتلبيس سطح هذا الجامع في كل عام . فأمر
الوليد أن يجمع ما في بلده وبقي معاملته من الرصاص ليجعل
عوض الطين ويكون أخف على السقف ، فجمع ذلك . فلم
يكفه . ثم بلغ الوليد ان امرأة عندها من الرصاص
القناطير المقنطرة ورثته من ابها ، فساوموها في بيعه
فأبت وقالت : لا ابيعه الا بثقله فضة . فقال لهم : نشتره
لحاجتنا بزنته فضة . فلما اخبروها ان امير المؤمنين سمح
لك بزنة ما قلت . قالت : حيث كان صادقا في حب الله فانه
احب ان يكون لي في هذا الجامع شيء في حب الله خذوه
باجعه ، فكفاه وفضل . وذكر بعض المؤرخين ان هذه
المرأة كانت اسرايلية

وقال ابن عساكر اشترى الوليد هذين العمودين تحت
 قبة النسر من خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار
 قال وكان في مسجد دمشق اثنا عشر الف مرخم
 واشترى لوحين [من] رخام فستق من الاسكندرية
 بمائة اشرفي ونقلهما ووضعهما على محل الغار التي فيها رأس
 يحيى بن زكريا عليهما السلام . وقيل انهما كانا في عرش
 بلقيس مع الستة الشبايبك التي في مشهد المؤذنين على الباب
 والمشهد الذي تجاهه

وعن يزيد بن واقد قال وكان الوليد على العمال في بناء
 الجامع فوجدنا فيه مغارة فعرّفنا الوليد . فلما كان الليل
 وافى وبين يديه الشمع فنزل فاذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة
 اذرع في ثلاثة اذرع واذا فيها صندوق ففتح الصندوق فاذا
 فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا . فأمر الوليد
 برده الى مكانه وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه معيننا بين
 الاعمدة . فجعلوا عليه عموداً مسطراً الرأس

وذكر بعض المؤرخين ان ارض الجامع كانت مفروشة

بالفصوص المزمكة بالذهب المسماة بالفُسَيْفَسَاء . وان الرخام كان في جدرانها سبع وزرات . ومن فوقه صفات البلاد والقرى وما فيها من العجائب . وان الكعبة المشرفة وضع صفاتها فوق المحراب . ثم فرق البلاد يمينا وشمالا وما بينهما من الاشجار المثمرة والمزهرة وغير ذلك . وجعل سلاسل المصاييح من نحاس محلي بالذهب . ورتب له من الشموع ما يوقد منه في اماكن مختصة . واصطنع في صحنه صفة مجامر على اعمدة برسم البخور ووكل بذلك خدمة لا يفترون ليلا ولا نهارا حتى كان يشم روائح البخور من مسيرة فرسخين وسبك له سرجا من نحاس كل سراج يوضع فيه قنطار زيت وجعل على كل باب سراجا . وجعل في محراب الصحابة رضي الله عنهم اجمعين حجر بلور ، وقيل بل درة لاقيمة لها وكانت اذا طفئت المصاييح يقوم نورها مكانها وان الامين بن الرشيد ارسل الى صاحب دمشق ان يسيرها اليه فاختملسها وسيرها اليه ، وقيل انه لما رآها امر بردها . وقال اخافظ ابن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها

بيرونية من زجاجٍ وقد رأيتها ، ثم انكسرت بعد مدة فلم
يوضع مكانها شيءٌ

وبنى الوليد المنارة التي يقال لها (العروس) وجعل عدَّةً
من المصابيح توقد عليها في كل ليلة ورتب لها ثلاث نوب
كل نوبة اربعون مؤذناً وهي باقية الى يومنا هذا . واما
(الغربية) و (الشرقية) فهما على ما كانتا عليه من غير عمل
ادوار ودرابزين ، وهما من بناء اليونان كالصوامع لضرب
النواقيس والرصد . وقال بعض المؤرخين ان الشرقية
احترقت في سنة اربعين وسبعائة فنقضت وجددت من
اموال النصارى لكونهم اتهموا بحرقها واقرب بعضهم
بذلك فقامت على احسن الاشكال . وقال بعض العلماء في
المنارة الشرقية البيضاء التي ينزل عليها عيسى بن مريم عليه
السلام في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت في صحيح
مسلم عن النواس بن سمعان والله أعلم

ويقال انه كان في الركنين الشماليين صومعتان كالمقابلة

فهدمهما الوليد ، وجعل من بعض آتئهما قبتان على اعمدة في
صحن الجامع ، وجعل فيهما خلوتان من فوق الاعمدة واودع
بهما كتب اوقاف هذا الجامع ومصاريفه ، ويقفل عليهما
بالاقفال الحديد اللانعة (١)

وكانت فيه طلسمات اصطنعتها اليونان لعدم دخول
الحشرات كالخية والعقرب والخنفس والعناكب وغير ذلك
من الطيور كالحمام والعصافير والوطاويط وما اشبه ذلك .
قال ابن عساكر : وذهب بعض طلسماته . قلت : بل كلها

(١) توجد الى الآن في الشمال الغربي من صحن المسجد قبة
على اعمدة فتحت في اواخر عهد السلطان عبد الحميد بطلب من
الحكومة الألمانية بناء على اقتراح بعض مستشرقها . وكان من
العلماء الذين حضروا افتتاحها باسم الحكومة العثمانية شيخنا المرحوم
الشيخ طاهر الجزائري ، فوجد فيها بعض الصكوك والوقفيات
والمصاحف وامثال ذلك من المكتوبات القديمة . أما الشمال
الشرقي من صحن المسجد ففيه الآن قبة الساعات وهي على
جدران لاعلى اعمدة

بسبب الحزن التي توالت وتعددت على دمشق آخرها محنة
تمرانك

وقال عمرو بن مهاجر الانصاري رحمه الله : ضبط
الكتاب ما انفق على الكوفة التي في قبلة المسجد فكانت
سبعين الف دينار . وقال ابو قصي : انفق في عمارة مسجد
دمشق خمسة آلاف الف دينار وثمانية الف دينار . فلما بلغ
امير المؤمنين الوليد ان عمرو بن مهاجر والناس قالوا
« أنفذ الوليد بيت مال المسلمين في غير حقه وكان يعمر
هذا الجامع ببعض ذلك » جمع الناس ، ونودي بالصلاة
جامعة ، ثم صعد المنبر وحمد الله واثنى عليه فقال « يا ايها
الناس ، قد بلغني عنكم انكم قلتم باي انفقت بيت مال المسلمين
في غير موضعه بغير حق » فأطرق الناس ثم قال « يا عمرو
- يعني ابن مهاجر - قم فأحضر اموال بيت المال » فحمل
على البغال . وبسطت الأنطاع تحت القبة وصب عليها
المال ذهباً وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر وجيء
بالقباين ووزنت فاذا هي تكفي الناس ثلاث سنين مستقبلة

وفي رواية سبع سنين مستقبلة لو لم يدخل الناس شيء
بالكلية ففرح الناس وهملوا وكبروا وحمدوا الله وأثنوا على
أمير المؤمنين ودعوا له وشكروه على ذلك . ثم قال الوليد
« يا أهل دمشق انكم تفخرون على الناس بأربع : بهوائكم
ومائكم ، وفا كهنتكم ، وحمائمكم ؛ فاحببت أن أزيدكم خامسة
وهي هذا المعبد » فحمدوا الله تعالى وانصرفوا شاكرين
له . انتهى

ومن محاسن الشام ما وصف جامعها به بدر الدين حسن
ابن حبيب الحلبي في كتاب سماه (تشنيف المسامع في وصف
الجامع) قال : واما دمشق فانها في وجنة الدنيا كالشامة ،
وزينة البلاد كريش الطاوس أو طوق الحمامة . وفي دائرة
الاقطار كالنقطة المعامة ، وفي جيش الامصار كالملك الذي
ينطق بالحكمة . وفي قلادة الاقليم كالواسطة ، وفي سماء
الحلال كالشمس التي بدت أشعتها في الوجوه باسطة . وهي
الربوة المباركة . والنوطة التي جلت عن المائة والمشاركة .

والمعدودة من جملة مدائن الجنة، والمأهولة بالأهلة من أرباب
الكتاب والسنة. والمعروفة بإرم ذات النعماد، والموصوفة
بلم يخلق مثلها في البلاد. وأما جامعها ففيه أقول:

يا جامعاً في دمشق في حسنه قد تفرّد
لم تطرب الناس طراً إلا لأنك معبد^(١)
وقلت أيضاً:

معبد الشام يجمع الناس طراً
واليه شوقاً تميل النفوس
كيف لا يجمع الوري وهو بيت
فيه تجلي على الدوام العروس^(٢)
وقلت:

ياراغبا في غير جامع (جلق)
هل يستوي المنوع والمنوح

(١) فيه تورية باسم (معبد) الموسيقى العربي الشهير.

(٢) فيه تورية باسم (منارة العروس) التي مر ذكرها.

اقصر عناك وفي غلوك لا تزد

إن الزيادة بابها مفتوح (١)

قلت : وهذا الباب المفتوح في بيت ابن حبيب سرقه
من بيتي الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة لكن ركبه في
محلّه أحسن تركيب وهما :

أرى الحسن مجموعا بجامع (جلق)

وفي صدره معنى الملاحاة مشروح

فان يتغالى في الجوامع معشر

فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ونقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدى

قوله فيه :

تقول (دمشق) اذ تفاخر غيرها

بمعبدها الزاهي البديع المشيد

جرى لتناهي حسنه كل معبد

وما قصباب السبق الا لمعبد

(١) فيه تورية باسم (باب الزيادة) الذى مر ذكره.

والأصل في ذلك قول الشيخ برهان الدين القيرواني
وجه الله :

سقى بدمشق الغيثُ جامعَ نسكها
وروضاً به غنى الحمام المفرد
إذا ما زهى في العين من ذلك معبد
لذكر حلا في السمع من ذلك معبد
ومن معانيه البديعة قوله فيه :

الجامع الأموي أضفى حسنه
حسناً عليه في البرية أجمعا
حلوه إذ حلوه فانظر صحنه
تلقاه أصبح للحلاوة مجماً
ومن تحريره البديع قوله فيه :

(دمشق) في الحسن لها منصب
عال وذكر في الوردى شائع
نخل من قاس بها غيرها
وقل له ذا الجامع المانع

ومن محاسنه قوله في الساعات رحمه الله تعالى :

في الجامع الأموي الحسن مجتمع
وبابه فيه للأحداق لذات

دقائق الحسن يحويها له درج
فحبذا منه بالساعات ساعات.

وحبذا معبدكم أطربت اذنا
فيه من الذكر نغمات وأصوات.

جلا العروس على الراي فطلعتها
تزفها من بدور التم طارات

ومن لطائفه قوله فيه وفي (النسر) تغمده الله برحمته :

يقول لنا نسر بجامع (جلق)
أنا الطائر المحكي والآخر الصدى

وقد أطرب الأسماع مطرب جنكها

وغنى به من لا يغنى مغردا

ومن محاسن الشام ما وصفها [به] الشيخ بدر الدين

محمد الدميامي الاسكندري المالكي قال: « فتاملها المملوك

فإذا هي جنة ذات ربوة قرار ومعين ، وبلدة تبعث محاسنها
الفكر على حسن الوصف وتمين . وحسبها بالجامع الفارق
بينها وبين سواها ، والأنهار التي إذا ذكرت قبيل المحل
فمما أجراها ، وإذا سمع حديث الخصب فما أرواها . وما أقول
ومتزهات مصر عارية عن المحاسن وهذه ذات الكسوة (١) ،
وان النيل ما احترق (٢) إلا من الأسف حيث لم يسعده
الدهر بالصعود الى تلك الربوة . وما أظنه احمر إلا خجلاً
من صفاء أنهارها ، ولا ناله الكسر الا لتألمه بالانقطاع
عن الوصول الى سقي أزهارها . نلو رأى العاشق جيبتها
لسلا بمصر معشوقة ، ونسى ظهور جوانبه المنحنية بقامات
غصونه المشوقة . ولو تطاولت المجنونة الى المفاخرة
لتأخرت الى خلفها مستحبية ، وأحجمت عن الاقدام حين
تحركت لها بدمشق الساسلة . وحق لمصر ألا يجري حديث

(١) فيه تورية بقرية (الكسوة) وهي ضاحية جنوبي دمشق؛

سميت باسم كسوة المحمل الذي كان يسافر منها الى مكة المكرمة

كل عام (٢) فيه اشارة الى (تماريق النيل) ايام انخفاضه

المتاخرة في وهما، وأن تتقي شر المنازعة قبل أن تصاب
 من هذه البلدة بسهمها . فسقى الله متنزهاتها التي طرب
 المملوك برؤية جنكها واطالما اهتزت له المعاطف على
 السماع، ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فأنعقد على
 حلاوة شكره الاجماع »

وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيرواني :

ما فيه إلا جوسق أوروقة

أو جدول أو بلبل أو ررب

وكان ذلك النهر فيه معصم

بيد النسيم منقش ومكتب

وإذا تكسر ماؤه أبصرته

في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت على العيدان ورق أطربت

بغنائها من غاب عنه المطرب

فالورق تنشد والنسيم بها فكم

اضحى له من بيننا متطلب

ولكم طربت على السماع بجنكها
وغدا بربوتها اللسان يشبب
فتى أزور معالمها ابوابها
بماحها كتب الكرام تبوب

ومن محاسن الشام ما وصف جامعها به العلامة اليعقوبي
قال « مدينة دمشق جليظة قديمة . وهي مدينة الشام ، في
الجاهلية وفي الاسلام . وليس لها نظير في جميع بلاد الشام
في انهارها ومبانيها وكثرة عمارتها . افتتحت في خلافة
عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة اربع عشرة وبانيها اسمه
دمشق بن عمرو بن كنعان . وقيل دمشق بن قاني بن مالك
ابن أرغشيد بن سام بن نوح عليه السلام . وقيل سعد بن
عاد ، وبني فيها قصر بن لولديه بريد وجيرون ، وما بني
دمشق سماها إرم وعلى هذا نقلت الاخبار ان إرم ذات
العماد هي دمشق ، يقال انه كان فيها اربعمائة الف عمود .
واما جامعها فبليس في مدائن الاسلام احسن منه ، بناه
الوليد في خلافته بالرخام والذهب سنة ثمان وثمانين . فرشاه

بالرخام الأبيض المحتم بالأرزق ، وسقفه لأخشب فيه ،
 مذهب كاه من اعلاه الى اسفله ، وبه ثلاثة منابر انتهي
 ومن محاسن الشام وصف الاستاذ ابن جبير لجامعها .
 نقلت من خط الشريشي قال : أملى علي شيخنا ابن جبير في
 وصف جامع دمشق ما صورته قال « الجامع الأموي من
 اشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء ، وغرابة صنعة ،
 واحتفال تنميق وتزيين . ومن عجيب شأنه انه لا ينسج فيه
 عنكبوت ، ولا تدخله ولا تلم به الطير المعروفة باختطاف
 ووجه الوليد الى ملك الروم بالقسطنطينية فامر باشخاص
 اثني عشر الف صانع من جميع بلاده وتقدم اليه بالوعيد في
 ذلك ان توقف . فامتثل امره مدعنا فشرع في بنائه وبلغت
 العناية في التأنق فيه [وانزلت جدره كلها] بالفصوص الملونة
 المذهبة المعروفة بالفسيقفاء ومثلت به الاشجار مفرعة
 الاغصان بتوابع الازهار ، فجاء يغشى العيون وميضاً
 وبصيصاً

وبلغت النفقة عليه احد عشر الف الف دينار

ومائتي الف دينار

وكان ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه لما دخلها
صالح النصارى بان اخذ نصف الكنيسة الشرقي فصيره
مسجداً وبقى النصف الغربي للنصارى فاخذه الوليد وادخله
في الجامع بعد ان ارغبهم في التعويض عنه فأبوا فاخذه
قسراً . وكانوا يزعمون ان من يهدم كنيسةهم يحن ، فبادر
الوليد وقال أنا أول من يحن في حب الله وبدأ الهدم بيده
فتبادر المسلمون للهدم ثم ارضاهم عمر بن عبد العزيز في
خلافته عن الكنيسة بمال عظيم

وطول هذا الجامع من الشرق الى الغرب مائتا خطوة
وهي ثلاثائة ذراع وذرعه في السعة من القبلة الى الشمال مائة
وخمس وثلاثون خطوة وهي مائتا ذراع وتكسيه من
المرجع الغربي اربعة وعشرون مرجعا وهو تكسير مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم غير ان طوله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من
القبلة [الى الشمال] . وبلاطه المتصلة بالقبلة ثلاث مستطيلة
من الشرق الى الغرب سعة كل بلاطة منها ثمانى عشرة

خطوة [والخطوة] ذراع ونصف وقامت البلاطات على
ثمانية وستين عموداً منها [اربع وخمسون سارية و] ثمانى
ارجل واربع [ارجل مرخمة ابدع ترخيم ، مرصعة بفصوص
من الرخام ملونة ، قد نظمت خواتيم وصورات] يتخللها
اثنان مرخمة ملصقة في الجدار الذي يلي الصحن واربعه
محاريب واشكال غريبة قامت في البلاط الأوسط دور كل
رجل منها اثنان وسبعون شبراً ويستدير بالصحن بلاط
من ثلاث جهات سعته عشر خطوات عدد قوائمه سبع
وأربعون منها اربعة عشر رجلاً والباقي سواد

وسقف الجامع كاه من خارج ألواح من رصاص
واعظمها ما فيه قبة الرصاص المتصلة بالحراب هي قائمة في
الهواء عظيمة الاستدارة وقد استقل بها هيكل عظيم
وهو غارب لها ^(١) يتصل من الحراب الى الصحن والقبة

(١) كانت في الاصل « وهو عمودها » فصححناها من
رحلة ابن جبير ومنها أخذنا الزيادات التي أدخلناها في هذه القطعة
بين هاتين الاشارتين []

قد اقيمت في الهواء فاذا استقبلتها ابصرت مرأى عظيماً
هائلاً

ومن أي جهة استقبلت البلد ترى القبعة في الهواء
كأنها معلقة في الجو وعدد شمسياتها الزجاجية الملونة المذهبة
أربع وسبعون فاذا قابلتها الشمس واتصل شعاعها انعكس
الشعاع الى كل لون منها واتصل ذلك بالجدار القبلي
وتتصل بالابصار منها أشعة ملونة هائلة لا تبلغ العبارة
بعض صورها

ومحرابه من أعجب المحاريب الاسلامية حسناً وخرابة
صنعة يتقد ذهباً كانه قد قامت في وسطه محاريب صغار
متصلة بجدار تحفها اسورة مفتولات قبلي الاجدرة
كأنها مخروطة بعضها أحمر كأنها مرجان ولم ير شيء
أجمل منها

وفيه ثلاث مقاصير : مقصورة معاوية رضي الله عنه
وهي مقصورة وضعت في الاسلام طولها اربعة وأربعون
شبراً وعرضها نصف الطول . ويلها جهة الغرب المقصورة

التي احدثت عند زيادة الكنيسة فيه وهي أكبر . والثالثة
 بالجانب الغربي تجتمع السادة الخنفية فيها للتدريس
 وله أربعة أبواب باب قبلي يعرف بباب الزيادة وباب
 شمالي يعرف بباب الناظفين وباب غربي يعرف بباب البريد
 وباب شرقي يعرف بباب جيرون وهو أعظمها . وله وللغربي
 [وللشمالي أيضاً] دهاليز متسعة يفضي كل دهليز منها الى
 باب عظيم كانت كلها مداخل الى الكنيسة فبقيت على
 حالها

وفي صحنه من عجائب الابنية والقباب والصوامع
 الثلاث والمياه المدبرة ما يحير العقول وتكلم عنده الافهام
 وهذا الصحن من أجمل المناظر وأحسنها وفيه يجتمع أهل
 البلد [هو] متفرجهم كل عشية تراهم فيه ذاهبين راجعين
 من باب البريد الى باب جيرون لا يزالون على هذا الحال
 الى انقضاء العشاء الآخرة منهم من يتحدث مع صاحبه
 ومنهم من يقرأ . فهذا دأبهم بالعشي والغداة ، والاحفل
 بالعشي . وأهل البطالة يسمونهم الحراثين «

وما أحسن قول الشاب الظريف محمد بن العفيف
 في غلام يمشي في صحن الجامع :
 تمشى بصحن الجامع الشادن الذي
 على قدمه أغصان بان التقي تثنى
 فقلت وقد لاحت عليه حلوة

الافانظر واهذي الخلاوة في الصحن

وقال ابن جبير « والجامع الاموي اربع سقايات في

كل جهة

سقاية باب جيرون ، وباب جيرون مفروش بالبلاط
 الطويل العريض وهو خمسة ابواب مقوسة لها ستة أعمدة .
 وفي جهة اليسار منه مشهد كبير كان فيه رأس الحسين
 رضي الله عنه قبل أن ينقل الى القاهرة . وبازائه مسجد
 صغير لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . قد انتظمت
 أمام البلاط أدراج ينحدر عليها الى الدهليز وهو كاختدق
 العظيم يتصل الى باب عظيم الارتفاع ينحسر الطرف
 دونه سموأ قد حنفته أعمدة كالجنوع طولاً وكالاتواد

ضخامة . وبجانب هذا الدهليز أعمدة قامت عليها شوارع
مستديرة فيها حوانيت العطارين وغيرهم وعليها شوارع
مستطيلة فيها الحجر والبيوت . وفي وسط الدهليز حوض
بانبوب صفر يزعج الماء بقوة فيرتفع الى الهواء أزيد من
القامة وحوله أنابيب صغار ترمي الماء علواً فيخرج عنها
كقضبان اللجين وكأشجار أغصان تلك الدوحة المائية
ومنظرها ابداع من أن يوصف

وعن يمين الخارج من باب جيرون في جدار البلاط
الذي أمامه شبه غرفة لها هيئة طاق كبيرة مستديرة فيها
طيقان من صفر وقد فتحت أبواباً صغاراً على عدد ساعات
النهار ودبرت تديراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار
تسقط صنجتان من صفر من فمي بازيين من صفر قائمين
على طاستين من صفر مثقوبتين فتبصر البازيين يمدان
اعناقهما بالبندقين^(١) الى الطاستين ويقذفانها بسرعة

(١) كانت في الاصل « بالصيحتين » المحرفة عن « الصنجتين »

وتدبير عجيب تخيله الازهان سجرأ فعند وقوعهما يسمع
لهما دوي فيعودان من الاثقاب الى داخل الجدار الى الغرفة
وينغلاق الباب للحين بلوح صفر فلا يزال كذلك حتى
تنقضي الساعات فتتغلق الابواب كلها ثم تعود الى حالتها
الاولى

ولها بالليل تدبير آخر وذلك ان في القوس المنعطف
على الطيقان المذكورة اثنتي عشرة دائرة من النحاس مخرمة
في كل دائرة زجاجة وخاف الزجاجة مصباح يدور به الماء
على ترتيب مقدار الساعة فاذا انقضت عم الزجاجة ضوء
المصباح وأفاض على الدائرة شعاعا فلاحت دائرة محمرة ثم
ينتقل الى الاخرى حتى تنقضي ساعات الليل وقد وكل بها
من يدبر شأنها فيعيد فتح الابواب ويسرح الصنوج الى
موضعها وهي التي تسمى الميقاتية (١) «

فصححناها من رحلة ابن جبير . وفيما نقل هنا عن ابن جبير
اختصار وتلخيص في مواضع كثيرة
(١) في رحلة ابن جبير « وهي التي يسميها الناس المنجاة » .

انتهى كلام ابن جبير والله أعلم
ومن محاسن الشام قلعتها وحسن بنائها واتساعها فانها
قدر مدينة . وبها ضريح السيد الجليل ابي الدرداء رضي الله
عنه . وبها جامع وخطبة كالمدينة فانها بفرد خطبة لا غير
وخارج المدينة الخطب الكثيرة يعسر الآن علينا تعدادها .
وبها حمام وطاحون وبعض حوانيت لبيع البضائع . وبها دار
الضرب التي تضرب فيها النقود . وبها الدور والحواصل
وبها الطارمة التي ليس على وجه الأرض أحسن منها كأنها
افرغت بقالب من شمع ينظر الرائي اعلاها فيحسن نظره
وان طال مرآه

وهي تسامت رءوس الجبال . يقال ان تمرلك لما ان
حاصرها وعجز عنها امر أن ينقب تحتها وتقطع الاشجار
وتعلق بها حتى اذا انتهى تعليقها اطلق النار فيما تحتها من
الاشباب وظن انها تفسخ بذلك وتسقط شذر مدر
فيبلغ مراده من أخذ القلعة . فلما عمت النار فيما تحتها بركت
بصوت أزعج الوجود كما يبرك الاسد فن شم سموها

بالاسد المبارك وهي الآن على الثلثين من علوها
 وبالقلعة آبار ومجار للماء ومصارف بحيث اذا وقع
 الحصار وقطع عنهم الماء تقوم الآبار مقامه
 وبها يمر نهر بانياس وينقسم فيها قسمين يستمر
 احدهما على حاله طاهراً للمنافع والاستعمال والاخر تنسحب
 عليه الاوساخ والقاذورات وهو المسمى بقليط يمر تحت
 الارض بنحو من قامتين لتشعب الماء الطاهر فوقه يمينا
 وشمالا ، حتى في بعض الاراضي يبلغ سبعة مجار من الماء
 العذب ليس لاحدهما اختلاط بالآخر

ومصارفهم تسقط على نهر قليط ويمر في المدينة الى أن
 يخرج من الباب الصغير ويتصل بحلة المزاز فيضمحل
 فيما يليها من الاراضي التي تزرع الكرسنة والفصة والبيقية
 والقنب وما أشبه ذلك . وغالب ما يسقى به القنب وهو
 أبيض أملس كالرماح في الطول مجوف لا عقده به يصب الماء
 من رأس الواحدة فيجري من آخرها وقشره يعمل منه
 الخيوط والحبال وتورى بالقنب النار وهو يقوم مقام

الشعشاع والظرفاء لكنه أطف منهما وأسرع وقيداً .
 كما أن الشيخ أحسن من الحلفاء بعرفه الذي أخضر
 وناشفاً . ويقال ان القنب هذا يعمل من ورقه الحشيش
 اذا اضيف اليه الورق البري . وقد ذكرنا ذلك مفصلاً
 في كتابنا (راحة الارواح ، في الحشيش والراح)
 فراجع . انتهى

ومن محاسن الشام تحت قلعتها فاتها منهل للغريب ومرتع
 للقريب وهي ساحة سماوية كبركة الرطلي (١) في الوسع
 لاجتماع البرية تحفها الدور وتعلوها القصور ويأحقها كل ما
 يرومه الانسان وتشتبهه الشفة والاسان لا يحتاج فيها
 سكانها لحاجة من المدينة ولا لجيرانها . فيها دار البطيخ
 الذي يباع فيه جميع فواكه البلاد . وبه العين المشهورة بالمجمع
 على برودة ماءها وعدوبته وخفته . وتحت القلعة سوق
 للقماش المذروع وسوق قماش للمخيط . أحدهما للرجال
 والآخر للنساء . وبها سوق للفرا والعبي وغير ذلك . وبها

(١) بركة الرطلي حي من أحياء القاهرة

سوق السقطيين وسوق النحاس وبها سوق السكاكينيين
وبها سوق القرييين وبه للارميين^(١) وبها سوق قماش الخليل
والبخال والبهائم والاعنام وبها سوق القشاشين وبها سوق
المدهون والخضريين. وبها سوق المحاربيين والتجارين
والخراطين. وبها سوق النقليين وبها دار الخضرو بها سوق
الناخليين والزجاجين

واما ساحة تحت القلعة فانك لا تستطيع أن ترى
ارضها لكثرة ما به من المتعيشين والوظائفية. ويتخلل
بينهم أرباب الخلق والفالاتية والمضحكون وأصحاب
الملاعيب والحكوية والمسامرون [و] كل ما يتلذذ به
السمع ويسر العين وتشتبيه النفس صباحاً ومساءً على هذا
لا يفترون، لكن المساء أكثر اجتماعاً ويستمررون الى
طلوع الثلثين. وهو عبارة عن ثلاثة طبول متفرقة بأعلى
القلعة يضربون الثالث الاول كل واحد منهم ضربة والثالث
الثاني من الليل يضرب كل واحد ضربتين والثالث الآخر

من الليل يطلع المؤذن على منارة العروس بالجامع الاموي
ويعلق لهم قنديل الاشارة فيضرب كل واحد منهم ثلاث
ضربات ويسوق الثلثين من التسبيح والأذان الاول
الى السلام ينتهي الضرب

وبها خطبتان الاولى باخرها بالمدرسة المؤيدية .
والثانية بصدرها في جامع يابغا . وهو من أحسن الجوامع
ترتيباً ومنتزهاً ، بصحنه بركة ماء مربعة داخلها فسقية
مستديرة بها نوفرة يصعد عنها الماء قامة ومن فوقها مكعب
عليه عريشة عنب ملوّن يصل الماء الى قطوفها الدانية .
وبجانبيها حوضان فيهما من أنواع الفواكه واجناس
الرياحين . وله شبائيك تطل على جهاته الثلاث الاولى على
تحت انقاعة من جهة الشرق والجهة الثانية تطل على بين
النهرين وهي الغربية والجهة الشمالية تنظر الى نهر بردى وما
هناك من الاشجار والازهار وهناك شجرة حور محتاط
بها اربعة رجال فلا ينظر الواحد لمن يقابله لعظم ساقها .
وللجامع ثلاثة أبواب الاول الشرقي وهو في صدر تحت

القلعة ويسمى باب الحلق ، والثاني شماليه يخرج الى الميضا
ويسمى باب الفرج ، والثالث غربيه ينحدر منه في درج الى
اول الوادي ويسمى باب المنزه . انتهى

ومن محاسن الشام (بين النهرين) وهو مبتدأ الوادي
يشتمل على فرجة سماوية بها دور وقصور وسويقة بها
حانوت طباخ وصاجاتي وقطافاني وبقاعي وحواضي
وفاكهاني وشواوقلاجين وسكر داني ، وتقلي وقاعة ابن وعدة
للجلبية وحمام يشرح صدور البريد^(١) وتقطرة يتوصل منها
الى جزيرة لطيفة من رأسها ينقسم نهر بردى فيصير نهرين
والقسوم منه نهر الصالح المعتقد الشيخ ارسلان أعاد الله
علينا من بركاته وعلى المسلمين طول الزمان وبها مقصفان^(٢)
للبطالين فيما بين المقسمين وقبائلها زاوية للشباب التائب يقام
بها السبت والثلاثاء من الاوقات بالوعاظ والدواخل ما يصير
الحاضر غائبا . ويتوصل الى زقاق الفرايين . الشتمل على
قاعات واطباق وغرف وكم رواق ، الجميع يطل على بين

(١) كذا (٢) المقصف المتزه الظليل على شاطئ نهر

النهرين ولكل مكان من ذلك ناعورة يستلذ صاحبها بانسها
وتجلب له الماء اذا سمع حسها . ومن أحسن ما قاله الشيخ
ابو الفضل ابن القدوة احمد ابن العارف محمد وفاء :

نواعير نعت لي رشاً للقلب رداعي

فهام القلب مني على حس النواعي

ومن محاسن الشيخ زين الدين عمر بن الوردي قوله فيها :

ناعورة مذعورة ولهانة لي حارّه

اناء فوق كتفها وهي عليه دائره

ابن نباته :

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها

واضلعها كادت تعد من السقم

أدور على قلبي لاني فقدته

وأما دموعي فهي تجري على جسعي

ومن بديع مجير الدين ^(١) محمد بن تميم :

(١) كان في الاصل هنا « محي الدين » وفي صفحة ٦٩

« محب الدين » وفي صفحة ٧٢ « مجير الدين » وفي صفحة

٨٤ « نجر الدين » والصواب ما اعتمدناه — المطبعة السلفية

ناعورة قالت لنا بأنينها
قولاً ولن تدري الجواب ولا تعي
كم في من عجب يرى مع اني
ابداً اسير ولا افارق مضجعي
لا رأس في جسدي وقلبي ظاهر
للاظرين واعيني في اضلعي
ومن اغراضه قوله :

وناعورة شبهتها اذ رأيتها
وما زال فكري بالثرائب يسمع
بطائرة مخضرة كل ريشة
لها تحتها عين من الدمع تسفح
ومن بدائع بن خطيب الأندلس :

وناعورة تحسب من صوتها
متياً يشكو الى زائر
كأنما كيزانها عصبية
رموا بصرف الزمن القاهر

قد منعوا ان يلتقوا فاعتدى
 أولهم يبكي على الآخر
 ومن تحرير القيراطي قوله :
 وناعورة قد ضاعفت بنواحيها
 نواحي وأجرت مقلتي دموعها
 وقد ضعفت مما تن وقد غدت
 من السقم والشكوى تعد ضاوعها
 التقى ابن حجه قوله فيها :
 وناعورة قد سلسلت دور انسنا
 وأهدت لنا روحاتها نفحة الصور
 اذا ما سقت دوراً تحرك عودها
 لنا وتغني في البسيط على الدور
 شيخه علا الدين بن القضايمي :
 وذات شجوا سألت مداً لم تصنها
 تبكى بفرط دموع ويضحك الروض منها
 ابن نباتة رحمه الله تعالى :

وناعورة قسمت حسبها
 على واصف وعلى سامع
 وقد ضاع نشر الربا فاغتندت
 تدور وتبكي على الضائع
 ومن محاسن شعره قوله فيها :
 اعجب لها ناعورة قلبها
 للماء منشى العيش والعشب
 تعبانة الجسم ولكنها
 كما ترى طيبة القلب
 الامير مجير الدين بن تميم رحمه الله :
 أبدت لنا بالعدر ناعورة
 أدمعها في غاية السكب
 تقول لما ضاع قلبي وقد
 ضعفت بالنوح وبالندب
 صيرت جسمي كله اعيناً
 تدور في الماء على قلبي

ومن تضامين ابن تميم قوله :
 وناعورة شبهتها حين ألبست
 من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
 كطاوس بستان تدور وتنجلي
 وتنفض عن ارياشها بلل القطر
 ومن لطائفه قوله فيها :

ناعورة مذ ضاع منها قلبها
 دارت عليه بأنة وبكاء
 وتعلت بلقائه فلاجل ذا
 جعلت تدير عيونها في الماء

ومن محاسن الشام شرفاها وما حويا من المناظر
 والقصور ، وما فيها من الولدان والخور ، وتقرب الى الله
 تعالى أهلها ببناء المدارس ، رغبة في جوار المجرّد الفقير البائس .
 ورتبوا له من الخبز واللحم والطعام ، والزيت والخلو
 والصابون والمصروف في كل شهر على الدوام . فيجلس
 الطالب في شبّاكها ينظر الى الماء والخضرة والوجه الحسن ،

فكيف لا ينبعث الى طلب العلم ويتحرك من فهمه ما سكن
ويقال ان بمدرسة الكججانية قبة بها طاقات بعدد
أيام السنة ، والشمس دائرة على تلك الطيقان ولا تدخل
اليها وهذا من حسن الهندسة

وأما جامع تنكز فانه في الشرف الادنى وهو من
الغايات هندسة وبناء فيه عشرون شباكاً على خط الاستواء
يشرف على الاتهار ومرجبة الميدان وما حوى . وبوسط
صحنه يمر نهر بانياس يتوضأ منه الناس وبه ناعورتان يملآن
ويفرغان الى حوضين بهما سائر الاشجار ، وجميع الرياحين
والازهار. وبينهما بركة مربعة بها كأس في غاية التدوير،
يجري الماء اليها من النواعير . فهو متنزه يقصد ، والمصلي
معبد . وفي كل شرف منهما عدة من المدارس والمساجد،
ولكل واحد ما يكفيه من الاوقاف استولت عليها ايدي
المتشبهين بالفقهاء فآظروا فيها انواع المفاسد . فلاحول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم

وكل شرف يطل على (الشقرا) و(الميدان) ؛ و(القصر

الابلق) و(المرجة) ذات العيون والغدران . وما أحسن
قول الشيخ [شمس] الدين محمد النواجي الشافعي في وصف
الشرف الاعلى :

الا ان وادي الشام أصبح آية

محاسنه ما بين أهل النهى تتلى

وان شرفت بالنيل مصر فلم يزل

دمشق لها بالغوطة الشرف الاعلى

ونقلت من خط العلاء علي بن المشرف المارديني في

غلام اسمه علي في الشرف الاعلى :

جنى علي^١ ولكن وجهه حسن

وفعله المرتضى يحلو به الشغف

بدر من الشرف الاعلى له نسب

وهل لغير علي ينسب الشرف

الامير مجير الدين محمد بن تميم يصف الميدان :

عجباً لميداني دمشق وقد غدا

كل له شرف اليه يتول

والنهر بينهما لغير جنابة

سيف على طول المدى مسلول

وقال ابن الشهيد في (الشقراء) و (الميدان) :

لم تحك جلق في الحاسن بلدة

قول صحيح ما به بهتان

وأئن غدوت منافسا في غيرها

هايننا (الشقراء) و (الميدان)

ومن تحرير القيراطي قوله في وصف الشقراء :

سربي الى الشقراء من جلق

وأئن الى الخضراء منك العنان

فيها جنان لو رأى حسنهما

ابو نواس للهيا عن (جنان)

وانزل بواديها الذي تربه

مسك وحصبا النهر منه جنان

ومن محاسن الشام مرجتها * قرأت كتاب وقف تربة

السلطان الملك الظاهر (برقوق) سقى الله عهد السكائنة

بالصحرا خارج (باب النصر) من (القاهرة) المحروسة
وهو متصل الثبوت الى آخر وقت تسجيلي على بعض
القضاة الشافعية، من جلته طاحون الشقراء بمرجة (دمشق)
المحروسة ظاهر قصر الملك الظاهر ابي الفتوحات (بيبرس)
سقى الله عهده بالقرب من (زاوية الاعجام) ويليهما قصبية
سوق عدة حوانيتها احد وعشرون حاوتا وعلوها الطباق
المطلة على المرجة المذكورة وبآخرها المسجد المطل على نهر
بردى . انتهى

قلت وأدركت الطاحون غير دائرة . ولقد هدمها
وكيل المقام الشريف (برهان الدين النابلسي) المعروف
بابن ثابت في أوائل دولة السلطان الملك الاشراف
(قايتباي) خلد الله تعالى ملكه . فبلى هذا كانت المرجة
عامرة أهلة وهي من المحاسن التي لا تدرك وبعضهم يشبهها
بصدر الباز^(١) كأنه مشبهها به لان الوادي ينضم من رأسها

(١) لا يزال منتهى (المرجة) في جهة الغرب يدعى الى اليوم
(صدر الباز)

ويعاوه جبالان وشبه هذين الشرفين بالاجنحة

ونقلت من خط النبي ابن حبه قوله فيها :

ذكرت احبتي بالمرج يوما

فقوت ادمعي نيران وهجبي

وصرت اكبدا احزان وحدي

وكل الناس في هرج ومرج

ومن بديع القاضي عبي الدين بن عبدالظاهر قوله فيها :

ومرجة في واد يروقك روضها

ولا سيما ان جاد غيث مبكر

بها فاض نهر من جين كأنه

صفائح اضحت بالنجوم تسمر

تلاحظها عين تفيض بادمع

يرقرقها منه هنالك محجر

وكم غازلته للغزاة مقالة

تسارق اوراق الغصون فتنظر

إذا فاخرته الريح ولت عليه
 باذيال كشياب الربا تتعثر
 به الفضل يبدو وانريم وكم غدا
 به الروض يحي وهو لاشك جعفر^(١)

ومن محاسن الشام محلتا (الخلخال) و (المنديبع) فحلة
 (الخلخال) بها سوقة وحوانيت وفرن وحمام وهي مسكن
 الاترك وكذلك المنديبع والشرفان وبه يدق طبخاناتهم وبها
 زاويتا الادهمية والحضود^(٢) وهي تحف بالناس والاعيان
 ومن أحسن قول الشيخ جمال الدين محمد بن نباته في
 وصف الخلخال :

ياحبذا يومي بوادي جلق
 ونزهتي مع الغزال الحالى
 من اول الجبهة قبلته
 مراتشفا لآخر الخلخال
 (والمنديبع) محلة وسوقة وحمام وافران وبها مدرسة

(١) فيه تورية بال برمك (٢) كذا في الاصل

(الختاوية) وهي من اعاجيب الدهر يمر بصحنها نهر (بانياس) ونهر (القنوات) على بابها ولها شبابيك تطل على المرجة وبها الواح الرخام لم يسمح الزمان بنظيرها وعدة [من خلاوي الطلبة وبجوارها دار الامير الاصيل (ابن منجك) رحمه الله تعالى وبها سكن القاضي بهاء الدين بن جحي الشافعي رحمه الله تعالى . وهذه المحلة من محاسن دمشق وشرفها. انتهى نقلت من خط الشيخ شمس الدين محمد النواجي في وصف المنبيع :

ياسادة اهدوا محاسن جلق

لطرفي ففاضت بالبكا عبرات^١

منبيع جفني فوق ربوة جبهي

يزيد ودمعي بعدكم قنوات^(١)

ومن محاسن الشام المتزه المسمى بالجبهة وهي أرض

مربعة قدر فدانين عليها سقائف تظلمها من غير طين بين

(١) فيه تورية بمحلة (المنبيع) ومنتزهي (الربوة) و (الجبهة)

ونهر (يزيد) و (القنوات)

شجر الصفصاف والجوز والخور وكل مفرش حصير تحيط
به جداول الماء من اربع جهاته مع البرك والبحرات بالنواافر
وهي على جنب نهر (بردى) وبه النواعير وبها حوانيت
للشرايحية والجزارين والطباخين والحواضرية والاقسماوية
والنكاهين وغير ذلك . وبها مسجد ومدرستان ومرابط
الدواب . ومقاصفية واقفون في خدمة الناس . وعندهم
اللحف والانطاع والعبى لمن يبات

وفيهما يقول التقي ابن حجة الحموي (دويت) :

لما ملأ (الجهة) بالانوار

لمناه على ذلك خوف العار

قال انصرفوا سئمت من بلدكم

و«الجهة» من منازل الاقمار

وفيهما يقول علي بن سعيد صاحب (المرقص والمطرب)

وقد رأها عند شمس الاصيل قبيل المغرب :

ان للجهة في قلبي هوى

لم يكن عندي للوجه الجميل

يرقص الماء بها من طرب
 ويميل النصف في الظل الظليل
 وتود الشمس لو باتت بها
 فلذا تصفر في وقت الاصيل

ويعاوها نهرا (القنوات) و(بانياس) المنحدر الماء اليها
 منه ومن فوق النهر حمام النزه والى جانبه مقصف بحوانيت
 فيها البضائع ويمر بوسطه نهر القنوات . ويتوصل منه الى
 زاوية الحريري المشهورة وليس أبداع من منظرها وينحدر
 منها الماء الى المتنزه المسمى (قطية) وهي مقصف على نهر
 بردى وعليه النواعير متشعبة اراضيه بمداول الماء والبرك
 والبحرات . وبه قصبة ذات حوانيت يعاوها اربعة أطباق
 ومربط للدواب . وعند المقاصفي العبي والحف والانطاع
 حتى الاطباق والملاعق لمن يأكل وهذا مما لا يوجد في بلد
 من البلاد

انشدني قاضي القضاة عز الدين احمد الكتاني الحنبلي

فيها :

أياحسن سلسال على نهر قطية
 اذا ما جرى فيها نخوض ونلعب
 تهدده اغصانها برءوسها
 فينظر من طرف خفي ويهرب
 وقال ابن عماد الاندلسي وابدع :
 نهر يريم بحسنه من لم يريم
 ويجيد فيه الشعر من لم يشعر
 فكأنه وكان خضرة شطاه
 سيف يسل على بساط أخضر

ومن محاسن الشام المنتزه المسمى بالبهنسية * وهو
 روض يجمع بين الاشجار، والفواكه والازهار، مع عيون
 الماء، وتظهر منه الى (مرجة جسر ابن شواس). به مقاصفي
 وبيع وشراء ويتوصل منه الى اراضي (حمص) ما بين
 رياض وغياض. ويعاوها محلة (النيارين). وهي أعظم
 المحلات وأخضرها وأنضرها. حسنة الاثمار كثيرة الازهار
 وبها سويقة وحمم يقال له (حمام الزمرد) وجامع بخطبة

وهي مسكن الرؤساء والاعيان وبها دار قاضي القضاة نجم
الدين يحيى بن جحى وفيها قتل رحمه الله تعالى ومنها تدخل
الى أرض الربوة

وأعجب من هذا ان السالك الى الربوة من حين يخرج
من باب (جامع يلبغا) يمشي بين اشجار . وأثمار . ومياه .
وظل ظليل . لا يمكن ان يرى الشمس . الا ان يقصد
رؤيتها انتهى

وفيهما يقول بدر الدين ابن لؤلؤ الذهبي يصف النيرين :
رعى الله (وادي النيرين) فاني

قطعت به يوما لذيذاً من العمر

درى اني قد جبتّه متنزها

فمدّ لاقدامي ثياباً من الزهر

واوحى الى الاغصان قربي فارسلت

هدايا مع الارياح طيبة النشر

وأخذني الماء القراح وحيثما

سنحت رأيت الماء في خدمتي يجري

وأجاد الوداعي بقوله ثم أفاد :

ويوم لنا بالنيرين رقيقة

حواشيه خال من رقيب يشينه

وقفنا وسامنا على الدوح بكرة

فردت علينا بالراءوس غصونه

سيف الدين المشد وأبدع :

وصباً صبت من (قاسيون) فسكنت

بهبوبها وصب الفؤاد البالي

خاضت مياه (النيرين) عشية

وأنتك وهي بليلة الاذيال

ومن محاسن الشام محلة (الربوة) قال بعض المفسرين

الربوة أحدثها بنو كنعان وابتدأوها . وهي المذكورة في

قوله تعالى « وأويناها الى ربوة ذات قرار ومعين » يعني مريم

وعيسى عليهما السلام وإنما قيل لها ربوة لأنها مرتفعة مشرفة

على غرطتها ومياهها . وكل رب مرتفع على ما حوله يقال له

ربوة ومنه تربية الصبي لترفعه في النفس والجسم . والمعين

الماء الذي يخرج من الارض

وقال ابن مطرف في ترتيبه : الربوة فيها ثمان لغات
رُبوة . ورَبوه . وربوة . ورُبَاوة . ورَبَاوة . ورابية
ورُبِّي والجمع رُبِي

والربوة مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي وبه صفة
محراب يقال انه مهد عيسى عليه السلام يزار وينذر له . وبها
جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وبها قاعات واطباق
وفيها عين ماء يقال لها (الملمم) ومرابط للدواب وبها
سويقتان قاطع بينهما نهر (بردى) وبها صيادو السمك
يصطادون والقلايون على جبل النهر يقاونه ويذبح فيها كل
يوم خمسة عشر رأساً من الغنم خلاف ما يجيئها من اللحم
من المدينة وبها عشرة شرايحية ليس لهم شغل غير الطبخ
والغرف في الزبادي والصيحون وكل ما تشتهيهِ الانفس
فيها وبها فرنان وثلاثة حوانيت برسم عمل الخبز الشوري^(١)
وأما الفواكه فلا قيمة لها فاني اشتريت الرطل^(٢) بربع

(١) كذا (٢) وزن الرطل الدمشقي ثمانمائة درهم

درهم وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش مثله والتفاح
 كذلك وبها حمام ليس على وجه الارض نظير ذلك كثيرة مائة
 ونظافته وله شبايك تطل على النهر وهو مبني ما بين
 الانهر من فوقه ومن تحته . وبها طارمة المسجد الديلمي الذي
 جدده نور الدين الشهيد وله اوقاف على قرآن ووعاظ وقراءة
 البخاري وغير ذلك كالمؤذن والفراش والبواب والوقاد
 وفيه يقول تاج الدين الكندي :

ان (نور الدين) لما ان رأى

في البساتين قصور الاغنياء

عمر (الربوة) قصرًا شاهقًا

نزهة مطلقة للفقراء

وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم وأحسن رحمه الله ::

ياحسن طارمة في الجو شاهقة

ما ان تملّ بها العينان من نظر

نزّه لحاظك في طاقاتها ترى

اصناف ما خلق الرحمن للبشر

ترى محاسن وادٍ يحتوي نرها
 لذاذة السمع والابصار والفكر
 وربوة قد سمت حتى نخال لها
 سرّاً تحدّته للأنجُم الزهر
 ما بين روض وأنهار سلسلة
 تجري وتحمل انواعاً من الثمر
 كم بت فيها وخدني شادن غنج
 حلو التثني كغصن البانة النضر
 اشكو اليه الذي ألقى ومقلته
 تشكو اليّ الذي يلتقى من السهر
 حتى رأيت نجوم الليل قد غربت
 عنا وهبت علينا نسمة السحر
 قمنا بجرر أذيال العفاف بها
 والله يعلم منها صحة الخبر
 الأخير في لذة تمضي ويعقبها
 خطيئة تسلك الانسان في سقر

ومن لطائفه قوله :

موضع القس^(١) جنة الخلد اضحت

مهجتي كل ساعة تشهيا

طوقتي بفضلها فلماذا

كلما زرتها اغرد فيها

وهذه القاعة التي بناها نور الدين الشهيد هي على شعب جبل جميعها متخذة بالواح من خشب سقفا (نهر يزيد) وأساسها من تحتها (نهر ثورا) ومنظرها من الغابات التي لا تدرك وقبالها في الجبل الغربي ضريح العاشق والمعشوق. وعليها صومعتان مبيضتان وبينهما سبعة مقاصف كل مقصف فيه من الثريات والمصاييح والغطاء والوظاء ما لا يحتاط به الوصف حتى ان بعض الناس يطلع اليها ليتنزه فيها. يومافيقم بها شهراً وجبلها متقابلان متلاقيان عليها الجبل الغربي بذيله دف الزعفران والجبل الشرقي رأسه مثل الجنك. ولهذا اطنب الشعراء في وصفها

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن تباتة في وصفها :

بالجناك من مغنى دمشق جمائم

في دف اشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها الشجبي بكاسه

غنت عليه بجنكها وبدفها

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي

انهض الى (الربوة) مستمتعا

تجد من اللذات ما يكفي

فالطير قد غنى على عوده

في الروض بين الجناك والدف

ومن محاسن الشيخ عمر بن انوردي قوله :

دمشق قل ماشئت في وصفها

واحك عن (الربوة) ماتحكي

فالطير قد غنى على عوده

في الروض بين الدف والجناك

ومن لطائفه قوله وقد اغار الصفدي على بيت ابن

الوردي :

ياربوة أطربتني وحسنت لي هتكي

اذلست ابرح فيها ما بين دف وجنك

ونقلت من خط الشيخ شعبان الآثاري^(١) :

كم تحت جنك الربوة الفيحاء من

دف زهت اشجاره بشنوفها

سقياً لها من ربوة من حل فيه

ها أطربته بجنكها ودفوفها

ونقلت من خط الشرف القواس قوله :

بربوة الشام ربت منيتي

وقر قلبي وهي دار القرار

وطيرها المطرب في جنكه

غنى على ناي وعود وطار

ونقلت من خط الشرف القواس قوله :

(١) في الاصل (شيبان الاماري)

اودّ بأنني لو أرى الجنك ساعة
 وأنفق فيه كل ما أنا أملك
 فليس لنفسي في سوى الجنك مطلب
 فدعهم يقولوا فيه للصب مهلك
 ونقلت أيضاً من خطه :
 سرتني الى الوادي وقف متنزها
 فالجنك غنت فوقه الاطيار
 لو لم يكن هو جنة المأوى لنا
 ما كان تجري تحتها الانهار
 ونقلت من تحرير الشيخ برهان الدين القيراطي قوله :
 سقى الجنك منهل الرباب فشوقنا
 لطيب مغاني ارضه ماله حصر
 وحييا بقطر الشام انهارها التي
 على شهدها للدمع من مقلتي قطر
 ووجدت سماء الغيث ارضاً سماؤها
 غصون رياض الزهر آفاقها زهر

فكم جاءني منها نسيم ممسك
وعرفها للقارئين بها العطر
وطلع الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط الشهير
بضفدع مع ابن خلكان الى الربوة فوجدا غامانا يعومون.
ويلعبون في نهر (ثورا) الذي تحت التخوت المعروف.
بالمنيقية فانشد ضفدع قوله :

لربوتنا واد حوى كل بهجة
فعيش الورى يحاو ليه ويعذب
ترق لنا الانهار من تحت جنكه
فلا عجب انا نخوض ونلعب
فانشد ابن خلكان رحمه الله :

وسرب ظباء في غدير تخالمهم
بدوراً بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول خليلي والغرام مصاحبي
أمالك عن عهد الصباية مذهب.

وفي دمك المطول خاضوا كما ترى

فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا
ومن محاسن الشام (المقسم) الذي تنقسم منه السبعة
الأنهار وأصله من ينابيع (عيون التوت)
واليها يشير برهان الدين القيراطي بقوله :
عندي لارض دمشق فرط صباية
فسقى حماها الرحب صوب غيوث
وعيوننا لفراق ممشها حكي
جريان أدمعها (عيون التوت)
وعمر [بردى] على قرية الزبداني كالبحر الى ان يلتقي
على قرية (الفيحة) الفيحاء [بمياه ينبوعها]
وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطي في
وصف الزبداني :

دمشق وافي بطيب نسيمها المتداني
وصح قول البرايا من عشر الزبداني
قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى في (الملتقط) ان
ماء العيون بارد رطب ، وجيده من العيون الشرقية ينفع

الكبد الحارة ، وضرره احداث الترهل ، ودفع ضرره
بالحمام والرياضة . يصلح الامزجة الحارة

وقال ابقراط الماء يحفظ على البدن رطوبته ويقمع
الحرارة ولا يغذو ولكن يرقق الغذاء وينفذ الى العروق ،
وهو يضر اصحاب الرطوبات والبلغم ، الا انه اذا طبخ في اناء
جديد كخزف أو قوارير قلت رطوبته ونفخه . وأفضل
المياه مياه العيون الحارة الارض ، التي تخرج من الاودية
بشدة على مقابلة الشمال ، وتجري على الطين الحر مكشوفة
للسمس والرياح ، ولا تمر على بطائح ، ويكون ماؤه صافياً
براقاً ، وأجوده أخفه وزناً ، وأسرعه قبولا للسخونة
والبرودة ، وأعذبه طعماً .

ويقال من ظاهر (باب السلام) الى ظاهر (باب توما)
ثلاثمائة وستون عيناً تجري الى القبلة . قلت : ورأيت غالبها
وارتويت من عذبتها . انتهى

وتنقسم هذه الانهار السبعة منها (يزيد) و (ثورا)
بذيل الجبل الشرقي . ويشق نهر (بردى) ببطن الوادي

ونهر (بانياس) ونهر (القنوات) ونهر (القناية) ونهر (الداراني)
بذييل الجبل الغربي

وآخر ما يتصفى من هذه الأنهار ويفضل منها هو
نهر (بردى) وينزل في (المقسم) على نحو من عشرين درجة
كاشادروان ؛ فرؤيته تذهب الهم وتزيل الحزن
وما أطف قول القاضي صدر الدين ابن الأدي
رحمه الله :

قالوا فؤادك بردٌ عن محبتهم

فقلت نار الهوى لا تنظفي أبدا

بردت قلبي عن الأحباب مذر حلوا

بما (يزيد) على (ثورا) وما (بردا)

وقال صاحب دواوين الانشاء العلاء ابن فضل الله :

انزل بياناس ففني نهرها

سرب به تجلى عروس السرور

واسمع حديث الماء في جريه

فانه يشفي عليل الصدور

وجمعها الشيخ شعبان الأثاري في قوله وأجاد :
شوقي (يزيد) وقلب الصب ما (بردا)
و (بان يآسي) من المعشوق حين غدا
ومدمعى (قنوات) والعذول حكى
(تورا) يالوم الفتى في عشقه حسدا
على مغنية بالجنك جاوبها
شبابه كم بها من عاشق شهدا
فالبدر (جبهتها) والردف (ربوتها)
وخلها مات من خالخالها كدا
ومن محاسن الامير ابن درياس قوله :
والنهر قد عشق الغصون ولم يزل
ابداً يمثل شيخصها في قلبه
حتى اذا فطن النسيم فجاءها
من غيرة فامالها عن قربه
جواتي عليه مهيمنا بعتابه
سراً فجعد وجهه من عتبه

ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ما فتّح النّور الا أشرف النّور

فما اشتغالك والمنثور منشور

يا حبذا ودروع الماء تنسخها

انامل الريح لولا أنها زور

وقال ابن قرياص :

وتحدث الماء الزلال مع الحصى

فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى

فكان فوق الماء وشياً ظاهراً

وكان تحت الماء دراً مضمراً

وقال :

أيا حسنها من رياض غدا

جنوني فنونا بأفنانها

جئى الماء فيها على رأسه

لتقبيل اقدم اغصانها

وقال القاسم بن علي في خيال الاغصان في الماء :

انظر الى الغدران كيف ترقرت
فبدا بها شبح الغصون الميس
معكوسة الاشكال تحسب أنها
قامت على الأيدي له والأرؤس
وأبداع منه قول المناذري :
وقانا لفحة الرمضاء واد

وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا
حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً
الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا
فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى
فتامس جانب العقد النظيم
وما أحسن قول ابن المشد :

والرَّوض بين تكبّر وتواضع
شمخ القضيب به وخرّ الماء
ويعجبني قول ابن النبيه :

تبسم ثغر الزهر عن شذب القطر
ودبّ عذار الظل في وجنة النهر
فإن رِقَّ واعتلّ النسيم صبايةً
إذا مرّ في تلك الرياض فعن عذر
توسوست الاغصان عند هبوبه
فما برئت إلا على رقية القمر
يخادعني الورد الجني وانني
بوجنة من اهواه قد حرت في امري

ويبسم عن ثغر الاقاح بنفسج
فألثمه شوقا الى لعس الثغر
ومن محاسن ابن تميم قوله :

والنهر مذلق الغصون محبة
اضحت تطيل صدوده وجفاد

فتراه يجري لاثماً اقدامها
وخريره شكوى الذي يلتقاه
ومن لطائفه قوله :

ونهر حالف الالهواء حتى
غدا طوعاً لها في كل أمر
اذا سرقت حلى الاغصان القت
اليه بها فيأخذها ويجري

وقال ابن لؤلؤ رحمه الله تعالى :
وحديقة مطلولة باكرتها
والشمس ترشف ريق ازهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصى
فاذا جرى بين الرياض تشعبا
وقال أيضاً :

والنهر كالمبرد يجلو الصدى يرده عن قلب ظمآنه
ومن نكته البديعة قوله :

ونهر يحب الدّوح أصبح مغرماً
 يروح ويغدو هائماً بوصالها
 إذا بعدت عنه شكا بخيريه
 جفاها وامسى قانعا بخيالها
 . ومن اغراضه قوله :

ونهر اذا ما الشمس حان غروبها
 عليه ولاحت في ملابسها الخضر
 رأينا الذي أبقّت به من شعاعها
 كأننا أرقنا فيه كأساً من الحجر
 . ومن معانيه قوله :

وحديقة ينساب فيها جدول
 طرفي برائق حسنه مدهوش
 يبدو خيال غصونها في مائه
 فكأنما هو معصم منقوش
 . ومن ملاحه قوله :

يا حبذا النهر الذي أمواهه
تسبي العقول بحسن ما تبديه
هو في الحدائق غير ان عيوننا
ان لا حظته تر الحدائق فيه

وقال محي الدين بن قرناص :

فديتك ائت روضتنا تجدها
تميل الى لقائك بالصدور
يعانقك القضيب بها سروراً
ويخفق فرحة قلب الغدير
ومن لطائفه قوله :

لما تبدى النهر عند عشية
والروض يخضع للصبا والشمالين
عاينته مثل الحسام ، وطله
مثل الصدا ، والريح مثل الصيقل .

وقال ايضاً :

يا حسنه من جدول متدفق
يلهي برونق حسنه من ابصرا
مازلت أنذره عيوناً حوله
خوفاً عليه أن يصاب فيعثر
فأبى وزاد تمادياً في جريه
حتى هوى من شاهق فتكسرا
ابن قرناص الحموي :

سرق النسيم حلى الغصون بلطفه
لما أتاها وهي في اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها
من خوفه في صدره وجرى بها
وقال جالينوس : الماء الذي يجري في الأنهار ، وتعلوه
الأشجار ، حار غليظ يعظم الطحال والكبد ، ويقمح
اللون ويفسد المعدة ، ويولد الحميات . وكذلك ماء البئر
لأنه يتحرك الى البروز حركة بطيئة ويطول ترده في
الأرض العفنة . وجميع الماء العفن كماء الآجام والبطائح

ردىء ؛ واردةً منه ماء البئر والقنا لانه محتقن لا يخلو عن تعفن .
وأردأ من الجميع الماء الذي يجري في مسالكك من رصاص ..
واقوى الماء المعتدل البرودة فانه يقوى الشهوة والمعدة .
ويحسن اللون ، ويتنع عفن الدم وصعود البخارات الى
الدماغ ، ويحفظ الصحة . ومن اعتاد شرب الماء المبرد في
الهواء لم يحتج الى الثلج لأن مضره الثلج تتبين بعد وقت .
فانها تتجمع قليلا قليلا واذا صار اصحابها الى سن الكهولة .
عرفوا شرها . على ان الماء المثلوج يمرىء ، وينهض الشهوة ،
ويقوى المعدة ؛ ويصالح الأمزجة الحارة ، ويأمن الترهل .
إلا انه يضر الصدر والحنجرة والدماغ والأسنان
والعصب . واصحاب الاحشاء الوردية تدفع مضرته بالرياضة
والحميص (١) انتهى

ومن محاسن الشام « الحواكير » وهي كالحدائق في
سفح (جبل قاسيون) فان الفاصل بينه وبين (جبل الربوة)
عقبة قرية (دمر) التي بحد (قبة سيار) يقال ان سياراً هذا ،

وبشاراً كانا يتعبدان على رأس هذين الجبلين اللذين للربوة
وكأنهما كانا من أصحاب الخطوة فاذا أراد احدهما الاجتماع
بالآخر يضع قدمه على جانب الجبل والآخر عند صاحبه
فكانهما كانا يمشيان في الهواء فبنوا لهما هاتين القبتين على
هذين الجبلين

رجع * وكان حكماء اليونان اذ درعوا هذه الرياحين
والازهار في سفح (جبل قاسيون) لحكمة وهو أنه يقبها
البرد كونها في دارة ، وان النسيم اذا مرّ بها يحمل منها [من
طيب الريح] ما استطاع ويسري به الى من تحتها من أهل
المدينة والسكان . ولهذا قال (ابقراط) ينبغي للمعتنى بصالح
بدنه ان لا يدع حظه من الاستمتاع بروائح الازهار والرياحين
فانها تقوى الروح وتنعش الحرارة الغريزية التي بها قوام
الحياة ، والليل احوج اليها من الصحيح لانه قد عجز عن
الاخذ من المطاعم والمشارب فهي تنوب عن فعلها في
التقوية . انتهى

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ « من عرض بريحان

فلا يردّه ، خفيف الحمل طيب الروح « يعني عليه السلام
بالريحان كل ذى رائحة ذكية من الازهار

وقال ابن سينا : ينبغي [للمرء] ان لا يستعمل من
المشمومات الا ما كان موافقا لمزاجه وطبعه فان كان مزاجه
حاراً يستعمل البارد وان كان بارداً يستعمل الحار ويجعلها
اصنافاً مختلفة من حار وبارد فيعتدل لكل مزاج

وينبغي ان لا يتناول المشموم الا غباً وعند توقان نفسه
اليه فانه أشهى والذم موقعاً وكذلك جميع المحسوسات اذا
احجم نفسه عنها ثم تناولها مشتتياً لها فانه يجد لذتها على
الكمال . الا ترى العطارين تمل خياشيمهم من الروائح الطيبة
وتكل فلا تجد لها رائحة وكذلك مدمنو الروائح القذرة
المنتنة فان خياشيمهم تألف ذلك التن حتى لا يكاد أحدهم
يتأذى به . وينبغي ان لا يدني شيئاً من المشمومات الى انفه
فانه أشهى وابقى لزهرة الرياحين . انتهى

ومن محاسن الشام « الورد » وهو جنس تحته ستة
أنواع بدمشق خلا الاسود ، وهو بارد يابس قابض يقوى

القلب والاسنان

جيده « الجوري » يصلح للدماغ الحار والكبد ،
يسكن الصداع ويضر أكله البهائم وشرابه يبرد الدماغ ؛
دفع مضرته خلطه بالكافور . واذاربي بالعسل او بالسكر
جلال ما في المعدة من البلغم ؛ واذهب العقونات . وهذا
يكون من الورد النصيبي ؛ وماؤه بارد لطيف ، والاكثر
منه يبيض الشعر

ونقلت من (الفردوس) للإمام الحافظ أبي شجاع
شيرويه بسنده عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل خلق الورد من بهائه ؛
وجعل له ريح انبيائه ؛ فمن أراد أن ينظر الى بهاء الله ،
ويشم رائحة انبيائه فليتنظر الى الورد الاحمر ويشمه »

وكتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ورقة :
« سطرها المملوك ومنظر الروض قد شاق ، ودمع الغيث
قد رقا ووجه الارض قد راق ، والغصون المتعطفة قد
ارسلت أهواء القلوب بالاوراق ، وجماعها المترنمة قد جذبت

القلوب بالاطواق . والورد قد احمر خذه الوسيم ، وفكت
ازرارَه من أجياد القضب انامل النسيم ، وخرجت
اكفه من اكمامه تأخذ البيعة على الازهار بالتقديم . انتهى

ومن محاسن الخوارزمي قوله :

أما ترى شجرات الورد مظهرة

لنا بدائع قد ركن في قضب

كأنهن يواقيت أضيف بها

زبرجد وسطها شذر من ذهب

ومن لطائف محمد بن عبد الله بن طاهر قوله فيه :

أما ترى الورد يدعو للورود على

عذراء صافية في لونها صهب

ترى صدهن ياقوت مركبة

على الزمرد في أوساطها ذهب

ومن بديع ابن المعتز بالله قوله فيه :

ووردة في بنان معطار حيّ بها في خفي اسرار

كأنها وجنة الحبيب وقد تقطها عاشق بدينار

وأوضحه ابن خطيب دارياً بقوله :

انظر الى الورد ما أحلى شمائله

سبحان خالقه من يابس الحطب

كأنه وجنة المحبوب تقطها

كف المحب بدينار من الذهب

صاغه اللغوي الاندلسي في انضمامه بعد الفتح فقال :

ورد تفتح ثم انضم منطقته

كما تجمعت الافواه للقبل

وما أطف قول القائل :

أهدى إلى معذبي ورداً ولم يك وقته

فسأله عنه فقل ل من الحدود قطفته

قبلته فكأنني في خده قبائله

أبو الوليد الشاطبي :

فوق خد الورد دمع

من عيون السحب يذرف

برداء الشمس أضحى

بعد ما سأل يجفف

ومن التشاييه البديعة ما كتب الى بعض اللطفاء :

ودونك يا سيدى وردة

يذكرك المسك أنفاسها

كعذراء ابصرها مبصر

فغطت باكامها رأسها

وأنشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين أحمد

الخالوف :

حكمت شجرات الورد في الروض اذ غدا

يقلمها في خدها مبسم القطر

سقاة محل ابرزت في أكفها

كنوس نضار قد ترصعن بالدر

ومن مقاصد أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز بالله قوله :

وترى الغصون تميل في أوراقها

مثل الوصائف في صنوف حرير

والورد في خفر القموع كأنه

حجر الحدود بخضرة التعدير

واحسن القائل فيه :

الورد احسن منظراً تتمتع الاخطاظ منه

فاذا انقضت أيامه ورد الحدود ينوب عنه

وقال ابن العفيف رحمه الله :

قامت حروب الزهر ما

بين الريض السندسيه

وأنت باجمعها لتف

زو روضة الورد الجنيه

لكنها انكسرت لأن

الورد شوكته قويه

ونقلت من خط زين الدين عبد الرحمن الخراط في

الورد على الماء :

عجبت وقد رأيت عيناي ورداً

يسير بجدول عذب الشروع

فلم ير ناظري ابدأ خدوداً
جرت من قبلهن مع الدموع
وما أطف قول برهان الدين القيراطي :
ان للروح في دمشق المأوى
ذا قرار وذا معين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد
لى بأزارها صباية عروه (١)

وأبدع الشريف الرضى بقوله :
كم وردة تحكى بسبق الورد
طليعة تسرعت من جند
قد ضمها في الغصن قرص البرد
ضم فم لقبلة من بعد
دخل مجير الدين ابن تميم الى حديقة هذه الوردة
وجمعها :

(١) هو (عروة بن حزام) الذي تضرب الامثال بيكائه
الديار

سبقت اليك من الخدائق وردة
 وأنتك قبل أوانها تطفيلاً
 طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت
 فمها اليك كطالب تقبيلاً
 ونقلت من خط ابن حجة له :

أرى الورد عند الصبح قد مدّ لي فما
 يشير إلى التقبيل في ساعة اللمس
 وبعد زوال الصبح يبدو كوجنة
 وقد أثرت في وسطها قبلة الشمس
 ومن نكته البديعة قوله :

قالوا لزهر الخلاف عرف
 يذوع في ساعة القطاف
 فضيع الورد قلت كلا
 الورد أذكي بلا خلاف
 وتلطف القائل :

كتب الورد الينا في قراطيس الخدود

يا بني اللهو صلوني قد دنا وقت ورودي
 ونقل النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) عن
 المتوكل أنه كان يقول « انا ملك السلاطين والورد ملك
 الرياحين فكل منا أحق وأولى بصاحبه » حتى حرمه على
 الناس واستبد به وقال « لا يصالح للعامة » فكان لا يرى
 الورد الا في مجلسه . ولهذا قال علي بن الجهم في رثائه (١) :
 وبات اللهو وهو سخين عين

وصار الورد بعدك في انتها (٢)

وكان لا يلبس في أيام الورد الا الثياب الموردة
 ويجلس على الفرش والاسانيد الموردة ويورد جمع الآلات
 وينشد قول جحظة :

عزيز على بان يمسك ساقطاً أوان تراك نواظر البخلاء
 ويقال أن كسرى مر بوردة ساقطة على الارض
 فقال « أضاع الله من اضعاك » ونزل وهو في موكبه
 ووضعها على رأسه

(١) كانت في الاصل في « انشاء » (٢) اعلاه في « انتهاب »

قلت : وكل من تعرّض الى وصف الورد وتشبيهه
شغل عن عار رتبته وبتدبير حسنه ، ولو سكتوا عن ذلك
كان اليق بهم لانهم لم يتأدبوا معه مع علمهم بانه سلطان
الرياحين . ومن هذا قول بعضهم :

للورد عندي محلٌّ ورتبة لا تمُّ

كل الرياحين جند وهو الامير الاجل

واعصري ان مثل هذا النظم السافل يمشي على كثير
من الناس ، وما احمرت وجنات الورد الا خجلاً من نسبة
هذا الشعر اليها بين الندماء والجلال . انتهى كلامه .

ومن النكت اللطيفة ما يحكى عن الفضل قال : دخلت
على الرشيد يوماً وبين يديه طبق ورد عند جاريتته ماردة
- وكانت تحسن الشعر والادب مع الحسن والجمال - فقال
يا فضل قل في هذا الورد شيئاً ، فانشدته بديهة :

كأنه خد محبوب يقبله

فم الحبيب وقد ابدى به خجلاً
فقال الرشيد قم يا فضل فاخرج عنا فقد هيجتني

هذه المأجنة : فقامت وقد أرخيت الستور عليهما
ونقلت من خط المرحوم مجد الدين عبد الوهاب
ابن سجنون خطيب النيرين وطبيب بيمرستان الصالحية
أنشد في ضعف موته سنة أربع وتسعين وستمائة ، وقد
عاده بعض أصحابه ، ومعه وردة بيضاء فقال :

وورداً أبيضاً قد زاد حسناً

فعمد الضد لا يخجل احمرار

يمثله النديم اذا رآه

مداهنَ فضة فيها نُضار

ونقلت من خط التقي ابن حجة قوله فيه :

كم وردة بيضاء قد حكمت لنا مذ ازهرت .
طلعة بدر كامل والشمس فيها كوررت .

وقد ولده من قول السري الرفاء فيه :

بدا أبيض الورد الجنى كأنما

تنسمة الناشي بمسك وكافور

كان اصفراراً منه وسطاً ايضاضه

برادة تبر في مداهن بلور

وقال سعيد بن حميد في الورد الاحمر والابيض معاً:

يا حسنها من وردة بيضاء جاءت بالعجب

كجام بلور به قراضة من الذهب

وقال سعيد بن حميد فيه وما تقدمه ليس لسعيد

بل للوأواء الدمشقي:

أناك انورد محجوباً مصوناً كمشوق تكففه صدود

كان عيونه لما توافت نجوم في مطالعها سعود

بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الحدود

ومن لطائف بلدينا ابن المعتز بالله قوله فيهما معاً:

أهدت الي يد نفسي الفداء لها

الورد نوعين مجموعين في طبق

كان ايضه في وسط احمره

كواكب اشرقت في حمرة الشفق

الشريف الرضي في وصف الورد الثالث وهو الأسود :
 وورد أسود خلناه لما تضرع نشره ملك الزمان
 مداهن عنبر غض وفيها بقايا من سحق الزعفران
 وقال ابن عيينة يصل يصف الورد الأصفر :

شجرات ورد أصفر بعثت في قلب كل متيم طربا
 يا من رأى من قبلها شجراً سقى اللاحين فأنبت الذهبا
 ومن محاسن الطخرائي قوله فيه :

ألم تر أن جيش الورد وافي بخضر من مطارفه وصفر
 أتى متلماً بالشوك أو في نصال زبرجد وتروس تبر
 الرابع قال المطوعي في الورد القحابي الذي باطنه أحمر
 وظاهره أصفر :

ووردة جمعت لونين رائقة

خدي حبيب وخدي هائم عشقا

تعانقا فبدا واش فراعها

فأحمرَّ ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وله :

قحايي الورد في البستان يدعو
 تبرجها الرجال الى الرحيق
 لها نوعات ظاهرها كتبر
 ولكن البواطن كالعقيق
 تحال الجملنار على بهار
 وتبري الرياض على شقيق

ابن المعتز :

وذي لونين نشر المسك فيه بروق بحمرة فوق اصفرار
 كعشوقين ضمهما عناق على حدثان عهد بالزار
 ومن لطائف أبي بكر الخالدي قوله فيه :

وردة بستان قحايية زينت من الحسن بنوعين
 باطنها من قشر يا قوته وظهرها من ذهب عين
 قبلتها حبا لها اذ بها حياني البدر على عين
 كأنها خدي على خده يوم اجتمعنا غدوة البين
 والخامس الورد الجوري وفيه قال الشيخ عمر بن

الوردي :

قالت اذا كنت ترجو أنسي وتخشى نفوري
صف ورد خدي وإلا أجور ، ناديت جورى
والنوع السادس من الورد هو الأصفر المطبق

وقرية الزيداني هي قلعة الورد يستخرجون بها ماورد
القاهرة المحروسة ومكة المشرفة وغيرها من البلاد. وكذلك
فاكها هي المنقولة الى القاهرة المحروسة وغيرها

وفيه يقول نجم الدين صاحب ديوان الانشاء بجاء :
وورد أتينا النار تقبض روحه

وتبعها نحو الحبيب تكرما
فاما رأها احمرّ واصفر قائلا

خذي نفسي ياريح من جانب الحمى

وفيه يقول شهاب الدين بن الشبلي :

يا سيدي والذي خلأثقه كالروض أيدي الصبا تدمتها
بعثت ورداً اليك عسى تقبض لي روحه وتبعها

وقل آخر :

لمأس قول الورد حين جنيته

والنار لاستقطاره تتسعر

ناشدتكم نفسي خذوه وإنما

لا تعجلان بقبض روعي واصبروا

ومن رقيق شعر بلدنا محمد بن المزين الدمشقي قوله :

شاب ورد الرياض من ورد خديك وانفرك

فله الناس أثبتوا وانتقى الورد للكرك^(١)

ومن محاسن الشام الورد النسريني وهو نوار أبيض

وأصله بري يمتد ويعرش كالكرم وله أغصان برءوسها

الورد كل غصن فيه مائة وردة وأكثر . قال ابن البيطار

في مفرداته : وبعض الناس يسميه بالورد الصيني وأكثر

ما يوجد بالشام بعد انفراك الورد المتقدم

(١) الكرك بلدة في منطقة (شرقي الاردن) الآن : وكان

الحكام في القرون الوسطى قد اتخذوها منفى لمن يريدون إبعاده

عن الشام أو مصر . وفي تلك المنطقة (الحميمة) التي كانت منفى

آل العباس رضي الله عنه قبل قيام دولتهم

وقال ابن سينا: الورد حار يابس في الثانية يقوي القلب اذا اديم اشتامه ، ويحلل الرياح الكائنة في الرأس والصدر ويخرجها بالعطاس ، واذا تدلك به في الحمام مسحوقا بعد تنشيفه طيب رائحة البشرة والعرق . انتهى

وقال السامري : هو من خصوصيات الشام ، وبالديار المصرية نسرين ليس هو هذا ، انما هو ورد سياج بساتين الشام . وهو نوار ابيض شديد العرق يجمعونه بمصر ويبيعونه ولا يجمع في الشام ولا يباع لكثرة . وهو يطلع في الغالب من عند الله تعالى بدمشق وخروجه بالشام مع النسرين . انتهى

ونقلت من خط الشيخ شمس الدين الدماميني :

أقول لصاحبي والروض زاهٍ

وقد ابدى الربيع بساط زهر

تعال نباكر الروض المفدى

وقم نسعى الى ورد ونسرى

ومن رقيق شعر ذي الوزارتين :

ابان لك النسرين أو خلت أنه
أكف سقاة جلت اكوؤساً صفراً
مداهن عاج حشوها التبر اذ علت

رعوس ززوج البست حللا خضرا
ومن محاسن الشام النرجس وهو جنس تحته أنواع :
الاول اليعفورى ، الثاني البرى ، الثالث المضعف . قال
ابن البيطار : فى الرابعة ، وهونبات له ورق مجوف وليس
عليه ورق . طولها اكثر من شبر وعليها زهر ابيض
مستدير ، فى وسطه شىء لونه اصفر ومنه ما لونه اسود
وثمرته سوداء كأنها فى غشاء مستطيل . وهو طيب الرائحة
واذا اكل أصل النرجس مسلوفاً أو شرب هيج القيء فاذا
شم زهره نفع من وجع الرأس ويفتح سدد الدماغ . وشمه
ينفع الزكام الباردة ، وفيه تحليل قوى الرطوبات ويخفف
ويلطف ويحلو

وقال جالنيوس : ان النرجس راعى الدماغ والدماغ

راعى القلب

وقال بقراط : كل شيء يغذو الجسم والترجس يغذو

العقل

والترجس المحرق وهو البري اذا شق بصله وغرس
صار مضعفا . ومن أدهن شم الترجس في الشتاء أمن
البرسام في الصيف . وهو معتدل في الحرارة واليبس

وفي (اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب رضي
الله عنه) للحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد بن الجزري
الشافعي رحمه الله تعالى حديث مسلسل بالقضاة الى القاضي
شريح قال **حدثنا** افضى قضاة الامة امير المؤمنين علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« شموا الترجس ولو في اليوم مرة ولو في الجمعة مرة ولو
في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان
في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الاشم
الترجس » ورواه أيضا صاحب (الفردوس) مسلسلا
بالقضاة الى افضى الامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ولفظه « شموا الترجس فانه ما منكم احد الا

وله شعبة بين الصدر والفؤاد من الجنون والجذام
والبرص لا يقطعها الا شحم النرجس «
وقال ابن سينا : من كان له رغيضان فليجعل احدهما
في ثمن النرجس ، لان الخبز غذاء الابدان والنرجس
غذاء الارواح «

وكان كسرى يقول : اني لاستحي ان اغازل من
احب بمجلس فيه النرجس . أخذه بعضهم وقال :

غضى لحاظك يا عيون النرجس

فعمسى افوز بنظرة من مؤنسي

فلقد يحير اذا رآك شواخصاً

ترمينه بلواحظ المتفرّس

ومن لطائف أمير المؤمنين ان المعتز قوله في النرجس

عيون اذا عاينتها فكأنما

دموع النداء من فوق اجفانها در

محاجرها بيض واحداقها صفر

واجسادها خضر وانفاسها عطر

مجير الدين بن تميم :

ولما أتى النرجس المجتنى بقرب الريع وإيناسه
نثرنا على رأسه فضة وتبراً فراق جلاسه
وأصبح يخطر ما بيننا وذلك النثار على رأسه

ومن تشاييه ابن قلاقس قوله :

وشادن اهيف حيا بنرجسة
كأنها اذ بدت في غاية العجب
كف من الفضة البيضاء ساعدها
زبرجد حملت كأساً من الذهب

ومن مقاصد ابن وكيع قوله :

مانظرت عيناى في روضة احسن من نرجسة غضه
كزعفران وسط كافورة أو ذهب افرغ في فضه

ومن مقاصد عبد الله بن المعتز قوله :

نرجسة لاحظني طرفها تاوح في بحر دجى مظلم
كأنما صفرتة في الدجى صفرة دينار على درهم

ومن اغراضه قوله :

كأننا جشنه بالخنج منفتحاً
 كأس من التبر في منديل كافور
 ومن مداعبات أمين الدين جوبان قوله :
 نفس غصن البان اذناه
 وماس عند الصبح زهواً وفاح
 وقال هل في الروض مثلي وقد
 تعزى الى مثلي قدود الرماح
 فصدق النرجس زهو به
 وقال حقاً قلتَ ذا او مزاح
 بل أنت بالطول تحامقت يا
 مقصوف عمر بالدعاوي القباح
 فقال غصن البان من تبهه
 ما هذه الا عيون وقاح
 ومن مداعبات ابن تميم قوله :
 ولما اتى النرجس المجتنى
 بشيراً الربيع بقرب المزار

نثرنا على رأسه فضة

ولم يخل في بعضها من نضار

فأصبح يخطر ما بيننا

وفي رأسه بعض ذلك النثار

ومن تضامينه قوله :

غدير دار نرجسه عليه

ورق نسيمه فصفا وراقا

تراه اذا حللت به لورد

« كأن عليه من حدق نطاقا »

ومن تضمين ابن حجة قوله :

الى الحمى نسبات الصبح مذ بعثت

ندى به ذيل ثوب الزهر مبلول

قالت نراجسه مذ حدقت ورننت

« مهما بعتم على العينين محمول »

(١) ابن الرومي واستحي من هجوه النرجس
 انظر الى نرجس تبدت
 صبحاً لعينيك منه طاقه
 واكتب اسامى مشبيه
 بالعين في دفتر الجماعه
 واي حسن لطرف شاك
 من يرقان يحمل ماقه
 كراثة ركبت عليها
 صفرة بيض على رفاقه

و في تصحيفه قول الميكالي :

اهلاً بنرجس روض يزهر بحسن وطيب
 يرنو بعيني غزال على قضيب رطيب
 وفيه معنى خفي يزينه في القلوب

(١) هذه الايات ليست لابن الرومي الذي اشتهر بمدح
 النرجس ودم الورد ، بل هي لأبي العلاء السروري ، وقد
 أوردها النواجي في (حلبة الكميت) ص ٢٠٣

تصحيفه ان نسقت ال حروف براء حبيب

وقال ايدمر المحبوي وابدع :

وكأن نرجسه المضاعف خائض

في المياء لف ثيابه في رأسه

ومن غرائب ابي عبدالله الحداد الاندلسي قوله :

انظر الى النرجس الوضاح حين بدا

كأنه ناظر عن جفن مبهوت

كاذرع الغيد في خضر البرود حكمت

على أناملها أصفى اليواقيت

ومن دقائق ابن وكيع قوله رحمه الله :

اشرب فلست على صحو بمعذور

واطرب على صوت نايات وطنبور

اما ترى النرجس الريان يلحظنا

كأن اجفانه اجفان مخمور

كأن اصفره في وسط ابيضه

قراضة أودعت احشاء بلوز

إما تراه ومرُّ الريح يعطفه
كأنه زعفران وسط كافور

إذا بدا في اختلاف من تلونه
أراك كيف امتزاج النار بالنور

ومن تشابيه أمير المؤمنين للأأمون قوله :

ويا قوتة صفراء في رأس درة

مركبة في قائم من زبرجد

كأن جمان اللؤلؤ في حنباها

بقية دمع فوق خد مورد

ومن جيد السبك قول خافر الحداد الاسكندراني :

كأنما النرجس لما بدا

لناظر في ساحة (الأزمين)

زبرجد قد جعلوا فوقه

أفداح تبر في صواني لجين

وقال أيضاً رحمه الله :

كأنما النرجس الطافي حين بدا
 قعاب تبر على جامات بلور
 كان أوراقه والشمس تقصرها
 أوراق شمع فمن خام ومقصور^(١)
 ومن بديع ابن تميم قوله فيه :
 شبّهت نرجسة أهدى اليّ بها
 خلي وقد جئت في التشبيه بالعجب
 كفاً من الفضة البيضاء ساعدها
 زمرد وسطه كأس من الذهب
 ومن محاسنه قوله فيه :
 كيف السبيل لأن أقبل خدّ من
 أهوى اذا نامت عيون الحرس
 واصابع المنثور توميء نحونا
 حسداً وتغمزها عيون النرجس
 ومن لطائفه قوله فيه :

(١) الخام قماش أبيض ويكون مقصوراً اذا غسله القصار ودقه

لا تمش في أرض وفيها نرجس
 أو أقحوان غب كل مقام
 ان اللواحظ والشغور أجلها
 عن وطئها في الروض بالاقدام
 ومن نكته البديعة قوله :

اني لاشهد لاجمى بفضيلة
 من أجلها قد صرت من عشاقه
 مازاره أيام نرجسه فتى
 الا واجلسه على أحداقه
 ومن أغراض الشبلي قوله :

ونرجس قابل في مجلس
 ورداً غلا في نعته الناعت
 نخذُ ذا ينجبل من لحظ ذا
 وطرف ذا في خد ذا باهت
 ومن تضامين ابن حجة قوله :

حدائق الروضة الغناء نرجسها
عيونه بدموع الطلّ مذ رمقت

همنّا الى رشف ثغر الكاس من فرح
« فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت »

والطف ما سمعت قول القائل :

يغض من فرط الحيا طرفه
ما أحسن الغض من النرجس

ومن عقود ابن لؤلؤ قوله :

باكر الى الروضة تستجلبها	فثغرها الاشنب بسام
وبليل الدوح فصيحاً غدا	في الأيك والشجر ورتتمتام
والغصن فيه الف قد بدا	والنهر في أرجائها لام
والنرجس الغض اعتراه الحيا	فغض طرفاً فيه أسقام

ويعجبني قول ابن مكائس :

وجداول الماء يجري بين نرجسه
لدى البصائر جري الطيف في القل

ومن المعاني التي افترضها ابن قرناص قوله :

من لى بروضة نرجس فاقت على
 انواع أزهار الربيع المبهج
 كقواعد من فضة قد ذهبت
 تعلو على عمد من الفيروزج
 وقال على بن سعيد صاحب (المرقص) في تفضيل
 الورد عليه :

من فضل النرجس وهو الذي
 يرضى بحكم الورد اذ يرأس
 اما ترى الورد غدا قاعداً
 وقام في خدمته النرجس
 ومن محاسن الشام البنفسج وهو العراقي وقلبيجى
 وابيض . وهذا النبات له ورق قابل التدوير له ساق يخرج
 من اصله عليه زغب أصفر وعلى طرف ساقه زهر طيب
 الرائحة جداً ولونه لون الفيروز ينبت في المواضع الظليلة
 الحسنة

وهو بارد رطب ينفع الدماغ الحار ويسكن صداعه

واذا ربي مع السكر ينفع من السعال الكائن من حرارة
 وقال جالينوس: في السادسة ورق هذا النبات جوهره
 جوهر ماء بارد قليلا ولذلك صار متى صنع ورقه كالضماد إما
 مفرداً وإما مع دقيق الشعير سكن الاورام الحارة وقد
 يوضع على العين اذا كان فيها لهيب وينفع من التهاب المعدة
 والاورام الحارة وتثق المعدة ويقال ان زهره اذا تشرب
 بالماء نفع من الخناق العارض للصبيان وهو المسمى « ام
 الصبيان » وينوم نوماً معتدلاً ويسكن الصداع العارض
 من المرة الصفراء والدم . والبنفسج الناشف يسهل المرة
 الصفراء المحتبسة في المعدة والامعاء أيضاً . والشربة منه
 ثلاثة دراهم الى سبعة دراهم مدقوقة منخولا مع مثله
 بالسكر ويشرب بالماء الحار والله اعلم . انتهى

ومن لطائف ابن تميم :

عاينت ورد الروض يلطم خده

ويقول وهو على البنفسج محقق

لا تقربوه وان تضوِّع نشره
ما بينكم فهو العدو الازرق
ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :
ان البنفسج تروح النفوس له
ويعجز الوصف عن تحديد معجبه
اوراقه شعل الكبريت منظرها
وريحها عنبر تحي النفوس به
والاصل فيه قول عبد الله بن المعتز :
بنفسج جمعت اوراقه فحككت
كحلا تشرب دمعاً يوم تشتيت
كانه فوق قامات يبلوح بها
اوائل النار في اطراف كبريت^(١)
قال النواجي في كتابه (تأهيل الغريب) رأيت لبعض

(١) في هامش الاصل : وقد رأيت في نسخة اخرى :
ولازوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفت بها اوائل النار في اطراف كبريت

صيارقة الادب على هذا التشبيه نقداً حسناً فإنه قل « ان
كانت النار في اوائل الكبريت قد وافقته في اللون فقد
خالفته في الرائحة ، وشرط المشبه ان يكون اعلى رتبة في
التشبيه ، والبنفسج يجل علو قدره عن ذلك ، فإنه من اهل
الجنة والكبريت من اهل النار

وقد زاحمه عليه ابو العلاء عطاء بن يعقوب في رسالته .
فقال « وحديقة سماوية اللباس ، مسكية الانفاس . كبقايا
النقش في بنان الكعاب ، أو النقس في اصابع الكاتب .
لازوردية فاقت بزرقها اليواقيت ، كأوائل النار في اطراف
الكبريت »

قال وقد قل من وفاه حقه من المتأدين حسناً ، واتى
في تشبيهه بما يلائمه صورة ومعنى . وقلت :

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب اخضر عليه قطن قد ندف

شعر:

خيلي هبا ينفضي عنكما الهوى
 وقوما الى روض وكأس رحيق
 فقد لاح زهر الياسمين منورا
 كاقراط در قمعت بعقيق
 بلدينا العلاء بن ابيك الدمشقي في الياسمين الاصفر
 قوله :

كانما الياسمين حين بدا اصفره في جوانب الكشب
 عساكر الروم نازلت بلداً وكل صلبانها من الذهب
 وقال الزحاري :

ولفاء خلناها سماء زبرجد
 لها انجم زهر من الزهر الغض
 تناولها الجاني من الارض قاعداً
 ولم ار من يجنى السماء من الارض
 ونقلت من خط ابن حجة قوله فيه :
 الياسمين يقول مذ ولى الشتا
 ومضى الربيع بأعين ومباسم

دَيْن المصيف علىَّ آن أو انه

وقد استحق اليوم قبض دراهمي
ومن محاسن الشام المنشور . وهو أصفر وأبيض
وبنفسجي وازرق . والازرق فيه حراقة ، وطعمه يشبه
طعم الفجل يدثيء ويهضم . انتهى

ومن لطائف الامير مجير الدين محمد بن تميم قوله :

ومذ قلت للمنثور اني مفضل

على حسنك الورد الجليل عن الشبه

تلون من قولي وزاد اصفراره

وفتح كفيه ومال الى وجهي

ومن محاسنه قوله فيه :

انعم على المنثور منك بزورة فلقد أراه والسقام حليفه

ما اصفر الاحين غبت ولم يزل

يدعو بان يأتي اليك كفوفه

ومن مقاصده قوله :

من قال ان الورد كالمنثور في عظم المكانة جد فيه تعنيفه

ما حمرَّ وجه الورد الا اذغدا المنثور يلطم خده بكفوفه

ومن اغراضه قوله فيه :

يشير بتوبة الندماء جهلاً والمنثور عندهم نصيب

وكيف وقد عقدنا كل كف بكف منه انا لا نتوب

ومن محاسنه قوله فيه :

مولاي للمنثور حق وهو أن

تلقاه اذ يلقي بكأس رحيقه

اكرمه أو فاعلم بان كفوفه

تدعو على من لم يتم بحقوقه

ونقلت من خط الشيخ بدر الدين الدماميني فيه :

لله منشور بروضك نشره

يطوي عبير المسك والكافور

قطر الندى فيه جواهر نظمت

يا حبيذا المنظوم في المنثور

ونقلت من خط القاضي زين الدين عبد الرحمن بن

الخراط فيه :

دع المنثور شمسُ الور د غشت نوره نورا
ألم تره اذا يبدو هباء فيه منشورا

وقال عرقلة في المنثور الاحمر واجاد :

انظر الى المنثور ما بيننا

وقد كساه الطل قمصانا

كانما صاغته أيدي الحيا

من أحر الياقوت صلبانا.

ومن نكته البديعة قوله فيه :

حاذر أصابع من ظاهت فانها

تدعو بقاب في الدجى مكسور

فالورد ما ألقاه في حجر القضا

الا دعاء اصابع المنثور

ومن لطائفه قوله فيه :

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس ال

مزورٌ قال وقوله لا يدفع

فتح عيونك في سواي فأنا
عندي قبالة كل عين اصبع

ومن محاسنه قوله فيه :

لما ادّعى المنثور ان الورد لا
يأتي وان يصلي بنار سعير

ودّت تغور الاقحوان لو انها

كانت تمض اصابع المنثور

ونقلت من خط التقوى ابن حجة قوله فيه رحمه الله :

رأيت مع المنثور بهض وقاحة

ولم ادر ما بين الغدير وبينه

تلون منه ثم مدّ أصابعها

الى وجهه عمداً وخضر عينه

ومن بدائعه قوله فيه :

صافح منثور الربا وردة

فلامه القمري في الأيك

قالت ورود الروض في غيضة
 هل جاز في اصبعه شوكة
 ويعجبني قول الحاجي وابدع :
 ولقد ثرت مدامعي ودمي معاً
 يوم الوداع وخاطري مكسور
 لا تعجبوا لتلون من ادمعي
 لا بدع ان يتلون المنشور
 صاعد اللغوى قوله فيه وابدع :

قد اقبل المنشور ياسيدي كالدر والياقوت في نظمه
 ثناك لازال كانفاسه ورأس من عاداك مثل اسمه
 ومن محاسن الشام السوسن ، وهو ابيض واصفر
 وازرق

قل العلامة ابن الجوزي في كتابه (لقط المنافع) هو
 ضرب من الرياحين وجيده الاسمانجوني الطري ، حار
 يابس ، يابن قصبية الرئة وينقيها ، وينفع الحلق ووجع
 الطحال ، ويصفي الصوت وينفع التهاب المدة وحرقة البول .

وقروح الكلى والمثانة، ويزيد في المنى، ويقوي الذكر،
وينفع جميع علل السودا والبلغم، والشربة منه ثلاثة دراهم
وقال ابن سينا: في الرابعة ومن الناس من سماه اسيرس
ومنهم من سماه ايرس^(١) اخربا وأهل رومية يسمونه غلاديون
وهو نبات له ورق شبيه بالخناجر في عرضها محدد الطرف،
وله ساق خارج من وسط الورق وطوله ذراع. غليظ
جداً عليه غلاف ذات ثلاث زوايا وعلى الغلاف زهر لونه الى
الفرقين ولون وسط الزهر احمر قان وله ثمر في غلاف شبيه
في شكله بالقثاء والثمر مستدير اسود وحريف وله أصل كثير
العقد طويل احمر. يصلح للخراجات العارضة في الرأس
والكسر العارض بقحف الرأس. واذا تضمد به مع الخل
ابراً الاورام البلغمية والاورام الحارة وقد شرب بالشراب
الحلو المعمول بماء البحر للشدخ وعرق النساء وتقطير البول
والاسهال واذا شرب بالخل حلل ورم الطحال

ومنه البري وفيه يقول ابن المعتز بالله في الابيض :

(١) يسمى زهر السوسن Iris بالفرنسية والانكليزية

والسوسن الابيض منشور الخلل
كقطن قد مسه بعض البلبل

وقال ابن تميم وابدع :

وكان سوسنة بدت في روضها

بيضاء ضاعف نشرها وقع النداء

نؤارة برد النسيم وهب في

وقت الصباح بثوبها فتجردا

ومن التشبيه المقاب قوله فيه :

ياحسن نوفرة بدت في بركة

ابداً يفيض الماء فيها ديدنا

ما ان بدت الا وظلت مفكراً

في توفر وراح ينبت سوسنا

ومن محاسن القاضى الفاضل قوله فيه :

وأبيض السوسن في رياضه يسبي قلوب الزهر بالتجرد

يظلل مسروراً به كأنه اقداح باور على زبرجد

وقال ابن تميم فيه وكأنه تلميح الى معنى ابن المعتز :

ياحسبها من روضة ازهارها ابدت لعيني لؤلؤاً وزبرجدا
والسوسن المبيض في ارجائها كالقطن بالله التدي فتليدا

وقال ابن المطر زبي في السوسن الاصفر :

يارب سوسنة قبالتها كلفاً

وما لها غير نشر المسك في السوق

مصفرة الوسط مبيض جوانبها

كأنها عاشق في حجر معشوق

وقال ابن المعتز في السوسن المشرب بالحمرة :

سقيماً لارض اذا ما نبهت بنهي

على الهدوء بها قرع النواقيس

كأن سوسنها في كل شارفة

على الميادين اذ ناب الطواويس

وقال ابن حجة فيه مضمناً :

بداسوسن الروض المديح ازرقا

وأصفر يعلو طوله فوق مبيض

كأن الربا أرخت ذبول غلائل

مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن محاسن الشام الزنبق وهو من خصوصياتها .
وهو قضبان خضر دون الذراعين عليها ورق عرض ورق
الطارخون واطول منه وفي رأسه زهر ابيض شبيه قبل
تفتحه بالمكاحل فاذا انفتح تلفيه مسدسا وبوسطه شيء
كالابر في رفعها واطول منها وعلى رءوسها نقط صفر تصبغ
كالزعفران ، عطر الرائحة شديد العرف واه دهن حار

شعر :

وقال كل الزهر في خدمتي	قد نشر الزنبق اعلامه
ما رفعت من دونها رايتي	لولم اكن في الزهر سلطانها
وقال ما تحرز من سطوتي	فقهقه الورد به هازئا
يقول ذا الاشيب في حضرتي	وقال للازهار ماذا الذي
وقال للازهار يا عصيتي	فانفتح الزنبق من قوله
ويضحك الورد على شيبتي	يكون هذا الجيش بي محققا

معين الدين عسرون قوله فيه :

وزهراء هيفاء القوام رشيقه منعمة شقت عليها الغلائل
 كأن اعاليها قناديل فضة وقد اوقدت منهن تلك الفتائل
 المنقول من خط ابن حجة الحموي توله فيه رحمه الله :

اصابع المنشور لها مدها لقرص خد الورد من بعد القبل
 هز له الزنبق ربحاً عالياً فالراية البيضاء عنيه لم تزل

ومن محاسن الشام البهار . قال ابن البيطار وهو
 الاقحوان الاصفر عند بعض الناس في الثالثة وهو نبات له
 ساق رخصة وورق شبيه بورق الرازبانم وزهره أكبر
 من زهر البابونج أصفر اللون اسود الوسط شبيه بالعيون
 ولهذا يسميه بعض المناربة بعين البقرة وينبت في الدمن
 وله حدة وحرارة وتحليل ويشفي من الاورام الصلبة اذا
 خلط بشمع مذاب ودهن

وقال التيمي في كتابه (المرشد) ومنه نوع صغير
 الشكل جداً يسمى في الشام « عين الخجل » اذا جمع نوّاره
 وجفف وسحق وجعل في بعض أكحال العين جلاظمة
 البصر العارضة له وجلا البياض الكائن من الماء المنصب

اليها المفسد لحسن البصر وأحد نورها

وفيه يقول ابن اسرافيل

حكاني بهار الروض حين أفتته

وكل مشوق للمشوق يصاحب

فقلت له ما بال نونك أصفر

فقال لاني حين أعكس راهب

ويضارعه الاقاح :

ولو كنت حيث الروض قد مده الثرى

بساطان امواه الجد اول معلما

ومن فوقه زهر الاقاح متورا

رأيت السما كالارض والارض كالسما

ومنه الاقحوان :

وقد لاح زهر الاقحوان كأنه

يمس به خصر ارق من العضب

رعوس مسامير من التبر رصعت

دوائرها الصوانغ بالاولو الرطب

ظافر الحداد قوله فيه :

والاقحوانة تحكي ثغر غانية

تبسمت فيه من عجب ومن عجب

في القد والبرد والريق الشهي وطية

ب الريح والذون والتغنيج والشنب

كشمسة من لجين في زبرجدة

قد أشرقت تحت مسمار من الذهب

ومن مرقص ابن حمديس الصقلي قوله فيه :

من قبل أن ترشف شمس الضحى

ريق الغواصي من ثغور الاقح

باكر الى اللذات واركب لها

سوابق الالهو ذوات المراح

ومن لطائف الخالدي قوله فيه :

يا رب ربع مقفر موحش

خال نزلناه قبيل العشي

كأنت نور الغافقي به

تغر فم نض على مشمش

ومن محاسن ابن عباد الأسكندري :

والأقحوانة تجار وهي ضاحكة

عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب

كأنها شمسة من فضة حرست

خوف الوقوع بمسار من الذهب

ومن محاسن الشام الأذريون . ر صنف من الأقحوان

ومنه ما نواره أصفر ومنه ما نواره أحمر فالأصفر ذهبي وفي

وسطه رأس صغير أسود

وقال الغافقي هو نبات يدور مع الشمس ، وينضم

نواره بالليل . وزعم قوم أن المرأة الحامل إذا أمسكته بيديها

مطبقة أحدهما على الأخرى نال الجنين ضرر عظيم شديد

وان أدامت أمساكه واشتد منه سقطت

وقال صاحب (الفلاحة) أن دخانه يهرب منه الفأر

والوزغ وهو نبات حار رديء الكيفية ، إذا شرب من مائه

أربعة ذراعاً قياً بقرة وان جعل زهره في موضع هرب
منه الذباب وان دق وضمد به أسفل الظهر أنمط العاضاً
موسطاً

وقال هرمس : الأذريون حار في الثالثة يابس فيها ،
ويقال المرأة العاقر اذا احتملته حبلى . انتهى
وما ابلغ قول ابن المعتز فيه :

الأذريون شبيهه والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

وما احسن قول الصنوبري فيه :

كان اذريونها من فوق تلك القصب
خيام مسك فوقها سرادق من ذهب

وقال ابن حجة فيه :

كان اذريونها ونوره قد ابهجا
وميض برق لامع في جناح ليل قد دحا

وقال ابن تميم :

وكان اذريونها في روضة

سرج تضيء على صفا انهارها

والسرج تخفيها الشموس وهذه

سرج تزيد الشمس في انوارها

ويأحق به البابونج . قال ابن الجوزي في (لقط المنافع)

افضله ما كان أصفر طريا طيب الرائحة ، وهو حار يابس

يحال الاخلاط الرديئة ويقوى الاعصاب وينفع الصداع

والوسواس واليرقان . واذا جلست المرأة في مائة المطبوخ

ادر الطمث واخرج الاجنة ويدر البول ويفتت الحصى

الذي في الكلى والشربة منه ثمانية دراهم

وكذلك زهر الكركيش قال الشاعر :

انظر الى الكركيش وهو محقق

كالتبر محتاط عليه يدار

فكأنه فم شادن متبسم

من فوق رأس لسانه دينار

ومن محاسن الشام الآس . قال ابو حنيفة خواصه .

عظيمة وخضرته دائمة وله زهرة بيضاء طيبة الرائحة وثمرته سوداء ومنها ما هو أبيض كالؤلؤ بين ورق كالزبرجد يباع مجموعا بالرطل وبأغصانه من غير ميزان ويحلو إذا ائنع وعصارة ثمره رطبة تفعل فعل الثمرة وهي جيدة للمعدة مدرة للبول موافقة إذا خلطت بشراب لمن عضته الرتيلاء وللسع العقرب وطبخ الثمر يصبغ الشعر

وقال (ديسقوروس) : الآس اذا دق ورقه وسحق وصب عليه ماء وخلط به شيء يسير من دهن ورد واتضمد به وافق القروح الرطبة والمواضع التي يسيل اليها الفضول والاسهال المزمن والنملة والجمرة والاورام الحارة العارضة للانثيين والثدي والبواسير واذا دق يابساً ودر على الداحس نفع منه وقد يجعل في الآباط وهو بارد يابس

وقال جالينوس : في السابعة هذا النبات من قوى متضادة والأكثر فيها الجوهر الارضي وفيه مع هذا شيء حار لطيف فهو لهذا يجفف تجفيفاً قويا وورقه وقضبانه وثمرته وعصارتها ليس بينها في القبض كثير خلاف

لكنه يولد السهر ، ورفق مضرته بالبنفسج الطرى ويصالح
الامزجة الباردة والله اعلم

وما احسن قول ابن طباطبا فيه :

الآس فرد يدبغ في محاسنه ما مثله في معانيه بموجود
يبدو باغصانه خضراء تلبسه كألسن الطير تشوى بالسفايد

وانشدني فيه شيخنا المرحوم العلامة برهان الدين

الباعوني الشافعي :

وروضة بانها يهتز من طرب

شبيه مرتشف من خرة الكاس

يثني النسيم على الآس النضير بها

فهو العليل الذي يثنى على الآسي

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى « روح وريحان »

انه الآس . وهو باليونانية المرسين

عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهبط آدم من

الجنة بثلاثة اشياء الآسة وهي سيدة الرياحين الجنة

وتلطف سليمان بن محمد الطرابلسي بقوله :

أحبب بقضبان آس في سائر الدهر توجد^(١)
 كأنها حين تبدو سلاسل من زبرجد
 وقال ابن حجة : تتبععت ما قيل في وصف الآس فلم
 أقف على ما أرضاني إلا قول القائل رحمه الله وأجاد :

خليلي ما للآس يعبق نشره
 إذا شم أنفاس الرياح الهوا
 حكى لونه اصداغ ريم معذر
 وصورته الآذان قبل النوا
 وقال :

عوارض الآس أبدت في موشحها
 نظما باغصانه للنبت خرجات
 وقد حلا لي باوراق ماوزة
 والمملوز في الدنيا حلالات
 ونقل الحافظ أبو القاسم خلف بن عبد الملك بسنده
 عن الحسن رضي الله عنه قال حياني رسول الله ﷺ بكلمات

(١) في النسخة المصرية « في سائر الدهر »

يديه بورد فلما أدنيته من أنفي قل بالحاء « انه سيد رياحين
الجنة بعد الآس » انتهى

ويلاحظ به الريحان وهو جنس تحته انواع ترنجبي
وحماجي وطبرى وطراطر وحمام . ونقل الشيخ جمال الدين
محمد بن نباته في كتابه (شرح العيون في شرح رسالة ابن
زيدون) عند ذكر كبرى انوشروان انه كان جالسا واذا
بحية قد دنت من عش حمامة في بعض شرف الايوان
لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم قتلها وقل « هكذا نفعل
بعدو من استجار بنا » فلما كان بعد ايام جاءت الحمامة
بجب في منقادها فالقتته اليه فأخذه وقل « ازرعوه » فنبت
ريحاناً لم يكن رآه ولا عرفه فقال « نعم ما كافأتنا الحمامة .
نسأل الله تعالى الذي اللهم ان يلهمنا الاحسان الى رعيتيه .
والشكر على نعمته » انتهى

قال ابن وكيع في الريحان الترنجبي :

لم ادر من قبل ريحان مردت به

ان الزمرد اغصان واوراق

من طيبه سرق الاترج نكبه
يا قوم حتى من الاشجار سراق
ومن محاسن ابى القاسم بن العطار فى الحامى قوله :
اماترى الريحان أهدى لنا حاماً منه فأحيانا
نحسبه فى طاه والندى زمرداً يحمل مرجانا
وأنشدنى ذو الوزارتين الشهبانى أحمد بن الخلوف
فى الريحان الطراطرى :

وريحان نصير غض جفناً
وأسبل فوق قامات ذوائب
حكى قضب الزمرد فى اخضرار
وآثار الخضاب بكف كاعب
ومن غزل السرى الرفا قوله فى الريحان الحمام :
قضيب من الريحان شا كل لونه
إذا ما بدا للعين لون الزبرجد
تشبهته لما بدا متجعداً
عذاراً تبيدى فى سوائف أغيد

ومن مطرب أبي القاسم ابن العطار قوله :

أعددت محتفلاً ليوم فراغي

روضاً غداً انسان عيّن الباغى

روض يروض هموم قباي حسنه

فيه لكأس اللهب أي مساع

وإذا انثنت قضبان ريحان به

جاءت بتل سلاسل الاصداغ

وقال ابن عبد ربه :

وريحان يمس على غصون

يطيب بشمه شرب الكئوس

كسودان لبسن ثياب خز

وقد شطاحوا بها شيب الرعوس

ونقلت فيه من خط ابن حجة قوله :

يقول ريحان روضي للنسيم وقد

تعطر الكون منه حين وافاني

سُرقت نشري وهاديت الأناج به
 وليس تحمل مني عود ريحان
 وريحان هذا الذي استعمله ابن حجة أخذه ابن
 المعيار وهو :

لما تبدى عذار الحب قلت له
 رفقاً ومهلاً عليه أيها الجاني
 لا تخش شيئاً فما في اخذ محتمل
 بأن يحط عليه عرق ريحان
 ويضارعه النمام . قال ابن الجوزي انه حار يابس قوي
 التحليل لما في الدماغ من الفضول البلغمية والصداع البارد:
 ونقلت من خط البدر البشتكي قوله فيه :
 اني أرى البستان فيه ثلاثة
 عندي بها حسناته آثام
 العين صافية به ونسيمه
 واش وزهر رياضه نمام
 ومن لطائف الصفي الحلي قوله فيه :

ومجاس راق من واش يكدره
 ومن رقيب له باللوم ايلام
 ما فيه ساع سوى الساقى وليس به
 بين الندامى سوى الريحان تمام
 ويعجبني قول ابن تميم :

ولم أنس اذ زار الحبيب بروضة
 وقد غفلت عنا وشاة ولوام
 أقول وطرف النرجس الغض شاخص
 الينا ولانمام حولي إلمام
 أيا رب حتى في الحدائق أعين
 علينا وحتى في الرياحين تمام

ومن محاسن الشام شقائق النعمان . قال صاحب
 المفردات : في الثانية وهو صنغان : يرى وبستاني . ومن
 البستاني ما زهره أحمر ومنه ما زهره الى البياض وله ورق
 شبيه بورق الكزبرة الا انه أدق تشریفاً وساقه أخضر
 رقيق وورقه منبسط على الأرض وأغصانه شبيهة بشظايا

القصب رقاق على أطرافها الزهر مثل زهر الخشخاش وفي
وسط الزهر رعوس لونها أسود وكحلي الى السواد وأصله
في عظم زيتونة أو أعظم . وأما البري منه فانه أعظم من
البستاني وأعرض ورقاً وأصلب ورعوسه أطول وله زهر
أحمر قان وفيه ما بعضه أحمر وبعضه أصفر وله أصول
دقاق كثيرة وتو أشد حرافة من غيره

ومن الناس من لم يفرق بين شقائق النعمان البري
وبين النبات الذي يقال له «ارغماموني» وزهر الصنف من
الخشخاش الذي يقال له رواس . وهو دمان السعال لتشابه
لون زهرها في الحمرة . وهذا غلط فان زهر الارغماموني
وزهر الصنف من الخشخاش المسمى بالرواس اقل اصباغاً
في الحمرة من شقائق النعمان . غير ان ظهورها في الزهر
كظهور الشقيق . وقوى الشقيق حارة جاذبة فتاحة .
وكذلك الشقيق اذا مضغ اجتذب البلغم . وعصارتة تجلو
الآثار الحادثة في العين عن القرحة ، والاكتحال بها
يسود الحدقة ويمنع الماء النازل ويحدر الطمث اذا احتملت

به المرأة ويدر اللبن . واذا خلط زهره مع قشور الجوز
الرطب صبغ الشعر وقلع القوباء والله اعلم . انتهى

وفيه يقول الشريف الرضي :

جام تكون من عقيق احمر

ملئت دوائرہ بمسك اذفر

خط الربيع قوامه فأقامه

بين الرياض على قضيب اخضر

بلدينا العلاء بن ايبك الدمشقي قواه فيه :

وشقيقة حمراء ذات توقد

مطوية في اليوم تنشر في غد

فكان حمرتها وحسن سوادها

خد الحبيب زها بخال أسود

وانشدني فيه ذو الوزارتين صاحب الصناعتين .

الشهاب الخالوف :

خلت الشقيق وقد يرى في زرعه

شققاً تقطع في سماء زمرد

وكان أسوده إذا لا حظته

آثار كحل في لواحظ أرمد

ونقلت من خطه والنشدينه :

ما للشقائق اذ ابدى الربا زهراً

يفتر عن مبسم كالدر منتضد

اسود باطنها من نوره حسداً

حتى الشقائق لا تخلو من الحسد

والشدي ونقلت من خطه :

وروضة أنف ابدى النمام بها

شقائقاً شكلها يبدى لمن رمقا

غيرى بكت وأبانت شعرها وذوت

فضل النقاب وأدمت خدها حنقا

ونقلت من كتاب (خمائل العطار) للدنيسري احمد

العطار قوله :

كفى الروض حسنا ان بين زهوره

شقيقة نعان تلوح وتبتدي

كجام عقيق وسطه قرص عنبر
وخذ به خال ومقلاة أرمدا

ونقلت من خط ابن حجة قوله :

سألت الشقيق الغض عن نقطة بدت

على خده والروض منها تعطرا

فقال سواد المسك هام بوجنتي

وقد أكثر التقبيل فيها فأثرا

وقال أيضا التقوى ابن حجة :

انهض الى جنة روض زاهر

لا يعتريك في مقالتي شك

وانظر الى كأس شقيق ملئت

رحيق ظل والختام مسك

ونقلت من خط القاضي بدر الدين الدماميني المالكي

الاسكندري :

سوادك يازهر الشقائق قد زها

بحمرة أوراق يروق سناؤها

يحاكي قلوباً بالصدود تسودت
 وجرحها لحظ فساتل دماؤها
 ومن بديع اكتفائه قوله :
 شقائق النعمان ألهو بها
 ان غاب من أهوى وعز اللقا
 والحد في القرب نعيمي وان
 خاب فاني أكتفي بالشقا ئق
 ومن غزل ابن منقذ قوله :
 الا عجب صاغ الربيع من الزهر
 مداهن تبر لم يصغن من التبر
 شقائق في اغصان تبر كأنها
 خدود بدت فيها عوارض من شعر

ومن غزل ابن وكيع :

شقيقة جاءتك من روضة
 يقصر عنها كل مشموم

سوادها في صين محترها
كشامة في خد ملطوم

وقال بعضهم:

وبين الرياض اجون زهر شقائق

مطاردها جمر أسافلها سحوم

كما طرحت في الفم نار ضعيفة

فمن جانب جمر ومن جانب فحم

أخذه ظافر الحداد الاسكندري:

وللشقائق جمر في جوانبه

بقية الفحم لم يستره باللهب

وما ارشق قول ابن رشيق:

رأيت شقيقة حمراء باد

على اطرافها لطح السواد

يلوح بها كأحسن ماتراه

على شفة الصبي من المداد

وقال آخر:

شامتك السوداء يا قتلي
 في خدك الأحمر تحكي الشقيق
 شقت قلبي مع سويدائه
 فصار قلبي في هواها شقيق
 وقال الميكالي وابدع :

تصوغ لنا كف الربيع حدائقا
 كمقد عقيق بين سمط لآلي
 وفيهن نوار الشقيق وقد حكى
 خدود عذارى' نقطت بغوالي
 ومن محاسن ابن حمديس الصقلي قوله :
 ولم تر عيني بينها كشقائق
 تلبلبها الأرواح في الورق الخضر
 كما مشطت غيد القيان شعورها
 وقامت لرقص في غلائلها الحمر
 قوله :

وترى شقائقه خلال رياضها
 اوفت مطاردها على أزهارها
 فكأنها والريح يصقل خدها
 والسحب تملأها بماء نضارها
 أقداح يا قوت لطف اترعت
 راحاً فبات المسك حشو قرارها
 وكأنها وجنات غيد أحذقت
 بخدودها حمرا خطوط عذارها
 ونقلت من خط الجمالي علي بن الكجالي ظافر الخزر جي
 من كتابه (التشبيهات) :

انظر الى حسن شقيق الربا
 تنظر الى ما يحمل الزهرا
 من كل حمراء بها نقطة
 سوداء طابت بيتنا نشرنا
 كمثل خد فوقه شامة
 مسودة قد انبتت شعرا

او قطعة المسك اذا القيت
في وسط كأس ملئت خمرًا
ومن مخترعاه قوله :

ولاح لنا زهر الشقائق تابعاً
كمثل زنوج ضرجتها دماؤها
ومن دقائق ابن وكيع قوله :

قم فاسقني يا رفيقي من السلاف الرحيق
اما ترى الطل يحكي على احرار الشقيق
لا آئنا ضمنتمها مداهن من عقيق
واحسن منه :

والشمس لا تشرب خمر الندى
في الروض الا بكئوس الشقيق
ومن أهاجي جمال الدين الخزر جي قوله :
اني لا بنض في الشقائق منظرًا
سمجاً لان اديمه لون الدم

فكانت هي جرح طعنة اسمر
قد شد اوسطها بقطعة مرهم
وقال أبو النصر سالم بن سعاد الحمصي في الشقيق
والنرجس :

وروض اريض من شقيق ونرجس
لنوريهما من تحت قبض الزبرجد
خدود عقيق تحت خيلان عنبر
واجفان در تحت أحداق عسجد
ومن بليغ الارجاني قوله :

لما تباشر اصباحاً شقائقها
بانث وكانت قصها حمرا
ردت على رأسها الاذيال من طرب
لجعلن على من بلغ الخبرا
وقال الصنوبري في الورد والشقيق :

قد أحدق الورد بالشقيق فاشرب عقيقاً على عقيق
كأنه حوله وجوه مستشرفات على حريق

وقال أبو نصر في الشقيق والسوسن :

وروضة زهرها عند الصباح غدا

يدعو الندامى الى شرب بتغليس

شقائق مثل أعراف الديوك بها

وسوسن مثل أعراف الطواويس

وقال القاضي عياض رحمه الله تعالى :

انظر الى الزرع وجماته

تحكي وقد هبت عليها الرياح

كتيبة خضراء مهزومة

شقائق النعمان فيها جراح

ومن محاسنه قوله فيه :

شقيقة شق على الورد ما

قد كسيت من خالص الصبغ

كأنها لما بدت وجنة

قد بان فيها طرف الصدغ

ومن محاسن الشام الينلوفر . وهو أصفر وازرق

وبنفسجي واحمر . قال ابن الاثير في عجائبه يسمى « حب العروس » . وهو نبات هندي واكثر ما ينبت بنفسه في مستنقعات الماء وراكدها ولا ينبت الا في الماء العذب الواقف من ارض طيبة ومن شأنه انه يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت ، ويزيد انفتاحه بزيادة علو الشمس ، فاذا اخذت الشمس في الهبوط اخذ في الانضمام حتى يكمل انضمامه عند غيبوبة الشمس ويغطس في الماء . ويقال ان طائراً لطيفاً يدخل في الزهر وينضم عليه ويغيب في الماء ليله فاذا أصبح طلع وتفتح فيخرج الطير

وهو بارد رطب مسكن للصداع الحار ويكسر شهوة الجماع وينفع من الاحتلام اذا شرب منه درهم بشراب الخشخاش ويجمد المنى . قال ابن البيطار : في الرابعة هو نبات له ورق شبيه بورق القلقاس الا انها ارق واسمه فارسي معناه النيل له اجنحة تنبت في المياه الراكدة والاعجام وورقه من اصل واحد . وقال ابن الجوزي : شبه البنفسج في قوته ومنفعته إلا انه ابرد وأرطب يذهب وجع

الاسنان اذا استعمل مضغعة وينقى السواد والبلغم وانفعه
 الاصفر وهو من خواص الشام . انتهى
 وفيه يقول المطوعي وابدع :

وبركة حفت بنيلوفر

قد جمعت من كل لون عجيب

كأن نيلوفرها عاشق

نهاره يرقب وجه الحبيب

حتى إذا الليل دنا وقته

وانصرف المحبوب خوف الرقيب

اطبق جفنيه عسى في الكرى

ينظر من فارقه عن قريب

وقال فيه :

خناجر من خناجر ترعت

وهي على الماء من دم حمر

ومن لطائف الباخريزي قوله فيه :

اشرب على بركة نيلوفر
مخضرة الاوراق حمراء
كأنما ازهارها اخرجت
السنة النار من الماء

ومن تشايه ابن حديس الصقلي قوله :

ونيلوفر أوراقه مستديرة

تفتح فيما يئنين له زهر

كما اعترضت خضر الفراش وبينها

عوامل ارماع أسنمها حمر

ومن مقاصده قوله فيه :

لا تغفلن عن الصبوح وقم بنا

نتعم بطيب لذادة للأنفس

في بركة تبتدي لنا نيلوفرا

خضلا تضاحك عيون النرجس

كأسنة من فضة قد خضبت

بدم وافت في عصائب سندس

ومن محاسن ابن سحنون خطيب الذير بين قوله :

يا حسنه نيلوفرًا في مائه

طاف وفي احشاه نار تسعّر

يحكى أنامل عادةً مضمومة

جمعت وزينها خضاب أخضر

ومن غراميات عبد الجليل بن دهبول قوله :

وبركة تزهو بنيلوفر نسيمه أشبه ربح الحبيب

حتى اذا الليل دنا وفته ومالت الشمس حين المغيب

اطبق جفنيه على إلفه وغاص في الماء حذار الرقيب

ومن تشابيه ابن تميم قوله :

ونيلوفر كالزهر شكلا ومنظرا

محاسنه فيها اللواحق ترتع

وكل نجوم لكن الفرق انها

تغيب صباحا وهي في الصبح تطلع

وقال فيه :

وناظر نحو عين الشمس يرقبها
حتى اذا غربت اغضى يتنكيس
كأنه ودروع الماء تشمه
تحت الشعاع كالليل الطواويس
ومن بدائع قوله (١) :

نيلوفر النيل قد ابدى تلونه
واحمر وارزق من شامينا وشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه
يسمو وانت بليد وهو فيه ذكا
وقال فيه :

ونيلوفر حاكي النجوم جهالة
ولم يدر أن الزهر يعنو لها الزهر
فلما بدا في الليل نكس رأسه
حيًا واختفى في الماء حتى بدا الفجر

(١) وفي نسخة : ونقلت من خط التقوي بن حجة وأجاد ثم

أفاد بقوله

ومن بدائعه قوله :

ونيلوفر يحكي النجوم ومأوه
يحكي سماء لا يغارها وصفا
غيب كما غابت ويبدو كما بدت
ويشبهها شكلا ويفضلها عرفا

ومن مقاصده قوله فيه :

يا حسن نوفرة^(١) صفراء حين بدت
ابتدت حاسنها عن منظر عجب
كانها حية في الماء ساجحة
يبدو على رأسها تاج من الذهب
أحمد بن الخلوفا رحمه الله تعالى :

ونيلوفر شبيهته في غديره
بقايا سلاف في كئوس زجاج

(١) قال الزبيدي في التاج ان العوام يسمون النيلوفر

« نوفر » كجواهر

تمثل أذنان الطواويس إذ غدا
 يمود بانياقوت صفحة عاج
 بلدينا العلاء بن أيبك الأدمشقي قوله :
 يا حسنه في بركة قد أصبحت
 محشوة مسكا يشاب بندة
 وكأنه إذ غاب عند مسائه
 في الماء واحتجبت نضارة قده
 صب تهاده الحبيب بهجره
 ظاماً فغرق نفسه من وجدده
 وقال الامير مجير الدين محمد بن تميم فيه :
 لما حكى زهر الكواكب نوفر
 واقام وهو على المطال حرايص
 خاف الحريق وقد رمته بشبهها
 فلذاك امسى في المياه يغوص
 وقال فيه :

نيلوفر [غص] تلبس مائه يوماً وتاه على النجوم بذوبه

لحظته أعينها فنكس رأسه خجلاً وغاص من الحيا في ثوبه
ومن محاسن الشام البان . قال ابن البيطار : شجره يسمو
ويطول في استواء ، وخشبه خوار خفيف وقضبانه سمجة
خضر وهديه ينبت في القصب وهو طويل أخضر شديد
الخضرة وثمرته أشبه قرون اللوبيا إلا أن خضرتها أشد قوفاً فيها
حب فإذا انتهى انفتق وانتثر حبه ، وهو أبيض أغبر نحو
الفسق ومنه يستخرج دهن ويقال لثمره السوع^(١) وهو مربع
ويكثر على الجذب وإذا أرادوا طبخه رض على الصلابة وغربل
حتى ينعزل قشره ثم يطحن ويعتصر وهو كثير الدهن
ودهنه ينفع من الكاف والتمش ومن الجرب والحكة والعلة
التي يتقشر معها الجلد ، ويأطف صلابة الكبد والطحال
وماؤه يستخرج في شهر كانون الثاني ، يشد القلب . وخشبه
يعمل منه الخلالات وهو عطر الرائحة

الشاب الظريف محمد بن العفيف التامساني رحمه الله :

(١) في مفردات ابن البيطار « السوع » وفي كتب اللغة

« السباع » كسباب

تبسم زهر البان عن طيب نشره
وأقبل في حسن يجل عن الوصف
هـاموا اليه بين قصف ولذة
فان غصون البان تصلح للقصف
ومن لطائف ابن قريظ قوله :

مذاقبل الصيف وولى الشتا اذهب عنى البرد والقرآ
أما ترى البان على غصنه قد قلب الفرو الى برا
ومن اغراض ابن تميم قوله :

ياهاجر أروضا لاجل البان اذ ولى به والورد فيه مصان
أرأيت روضا شب فيه ورده ينسى اذا ماشاخ فيه البان
ومن محاسن الشام « قف وانظر » قال ابن البيطار :
هذا من خواص (دمشق) وما والاها من أرض الشام ،
ويعرف بالآس البري . وهو نبات له ورق شبيه بورق
الآس البستاني الا انه اعرض منه وفي طرفه حد شبيه
بطرف سنان الرمح وله ثمرة مستديرة في وسط الورقة
بعرق اخضر يشبه الشريط واذا انضجت كان لونها احمر

كالمرجان وفي جوفه حب صاب وله قضبان شبيهة بقضبان
النبات الذي يقال له لوقس كثيرة مخرجها من اصل واحد
طولها نحو من ذراع بواحد مملوءة ورقا | وأصله شبيه بأصل
النبات الذي يقال له اعسطس اذا ذيق كان (١) | عفا مائلا
الى المرارة وورق هذا النبات وثمره اذا شربا بالشراب ادرا
البول وفتتا الحصى وادرا الطمث وقد يبرىء اليرقان وتقطير
[البول] والصداع وينبت في مواضع خشنة واجراف
قائمة . انتهى

وأما تمر الحنا فانه يطلع خارج البلد في الغور وفي
الارض الحارة من قرى الشام ويعمل منه دهن . وفيه
يقول السراج الوراق :

ودوحة تامر لما تبدت كاذناب الثعالب في المثال
عليه دق كافور سحيق تضمخ بالمسوك وبالغوالي
ومن تشاييه تاج الدين السكندی فيه :

(١) هذه الزيادة من مفردات ابن البيطار في مادة (أس بري)

ودوح رياض كلما استقطر الندى
اعار بسيط الارض ثوب ظلال
ترى تمر الحناء فيه كأنه
اكف عذارى في شباك لآلى
وانشدني فيه الشيخ علاء الدين على البلاطنسى الشافعي
سابق الى رشف الطلا بحديقة
فيها خدود قد زهت وثلغور
قد خلت فيها تمر حناء غدا
شبه الكفوف الى المدام يشير
ومن محاسن الشام الحيلاني وهو شجر يشبه الصنصناف
غير انه في اوائل الربيع تصبغ جميع أغصانه بالاحمر كقضببان
المرجان وله رؤية بديعة
وفيه يقول الشيخ صلاح الدين خليل بن ابيك
الصفدي :
لنا حيلانة قد حالفتنا
تسر بها الخواطر والعيون

فقلت لصاحبي لما تبدت
 متى نبتت من الشفق الغصون
 ويلحق به شجر الزنخات وله زهر طيب الرائحة
 يخرج في أيام الورد . وفيه يقول مؤلفه البدرى :

وزنخات أبيض مع أحمر في غصن
 كالدر والياقوت أو ثياب خام يمضي
 وكذلك شجر السرو فان رؤيته حسنة وأكثر ما

يوجد بدمشق

وفيه يقول احمد بن وضاح :

يا سرو لا يجتزئ منابتك الحيا
 ولا يزُّ عن اعصانك الورق النضر

وقد كسيت اعطافك اللبد مثاما

تلف على الخطي رايته الخضر

وانشدني ذوالوزارتين احمد الخلوف التونسي المالكى :

وسروة شق النسيم رداءها

فابت فصوص التبر في الحلال الخضر

كزنجية ماست بغنج وشمرت
 عن الساق ذيابلاوا كتست حلة الشعر
 اذا سقيت كأس الهنا قضيب سوقها
 امالت رعوسا لا تمل من السكر
 ونقلت من خطه وانشدنيه :

وسرو كزنج شبروا الذيل اذ غاوا
 يهزهم خفق الربابة للطرب
 اذا مشطت ايدي النسيم فروعها
 ترى حملا خضرا تزرر بالذهب

وفيه من رسالة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر
 قوله « والاعصيان قد اخضر نبت عارضها ، ودنانير
 الازهار ودراهمها تهيأت لتسليم قابضها . والخور قد
 حاور السهي بالتباشير ، والسرو قد كشفت عن سوقها
 وقالت لها الغدران بهديرها انه صرح ممرد من قوارير »
 وانشدني شيخنا العلامة بقرية السلف ابراهيم

الملاح :

ولما رأيت السرو في الروض مائسًا
وايدى الهوا فيه تزيد وتنقص
حسبت رفاعيا اتى قاعة الهنا
واسبل فيها شعره وهو يرقص

قلت : وجميع هذه المحاسن بالحواكيز ، غير ان الماء
لا يصل اليها الا بجهد كبير . لعلوها عن (نهر يزيد) ،
فاصطنعوا لها الدولاب ودورانها بكلل بهيم شديد . وفيه
يقول ابن لؤؤ الذهبى :

حا كورة دولابها الى الغصون قدشكا
من حين ضاع زهرها دار عليه وبكى
ودار في دولابه الصلاح الصفدي حيث قال :

ابدى لنا الدولاب قولا معجبا
لما رأنا قادمين اليه
اني من العجب العجيب كما ترى
قلبي معي وانا ادور عليه

والأصل فيه قول ابن تميم فيه :
 تأمل إلى الدولاب والنهر إذ جرى
 ودمعهما بين الرياض غزير
 وضاع النسيم الرطب والروض منبها
 فأصبح ذا يجري وذاك يدور
 ومن معاني ابن دمرdash قوله فيه :

وزب دولاب سقى دوح الحمى
 فأعادها سكرى على الإطلاق
 وجدت كوجدي بالهوى نفاها
 مثلى وحقك من عيون الساقى
 ومنه قول الشهاب الخفاجي :

حالة الدولاب دات أنه في فرط حزن
 كان يسقى ويعنى صار يسقى وينى
 ونقلت من خط أحمد بن صالح قوله :
 دولابنا صب طليق دمعاه
 مأسور حب قلبه وضلوعه

يبكي على فقد الاحبة ناثراً

من بعدم جهد المقل دموعه

ومن لطائف ابن تميم قوله :

ودولاب روض كان من قبل اغصنا

تميس . فلما فرقتها يد الدهر

تذكر عهداً بالرياض فكاه

عيون على أيام عهد الصبا تجري

ومن معاني الأسعدي قوله :

شاهدت دولاباً له ادمع

تكفلت للروض بالرى

فاعجب له من فلك دائر

ما فيه برج غير مائي

ومن محاسن الشام ارض (اللزّة واللوان) . فان جحاء

اليونان لما رأوا الجانب الشمالي يصالح لزراعة الازهار ورأوا

طيبة ارض الجانب القبلي اختاروها لغرس الاشجار

فتنه المشمش وهو أحد وعشرون صنفاً بدمشق :

جموى ، سندياني ، اويسي ، عربيلى ، خراساني ، كافوري ،
 بعابكي ، لقيس ، لوزي ، دمشقى ، وزيرى ، كلابى ،
 سلطاني ، حازمي ، ايدمري ، ساني ، بردى ، مالوح ، فراط
 النجاني ، جلاجل القلوع

قال جالينوس في السابعة وهي ثمرة باردة أحسن من
 الخوخ وأجود منه لكونه لا يفسد كما يفسد الخوخ في
 المعدة ولا يحمض . وإذا أكل الشمس بعد الطعام فسد
 وطفا في رأس المعدة وإن كان فيها فضل رديء استحال
 الى طبيعة ذلك الفضل فلا يؤكل الا قبل الطعام ويشرب
 فوقه السكنجبين

وقال ديستوريدوس : في الاولى له طعم أحسن من
 طعم الخوخ وأجود للمعدة ويسهل الصفراء ويولد خلطاً
 عظيماً غليظاً

وقال الرازي في (الحاوي) اتاني رجل أبحر فحدثت
 أن الشمس يذهب بخره ، فاطمته من رطبه فذهب
 البخر . ثم كان يستعمل نقيعه دائماً فلا أحسب أنه يوجد شيء

أشد لتبريد منه . وقال أيضاً في كتابه (دفر المضار) انه
يبرد المعدة جداً ويورث الجشاً الحامض ويقمع الصفراء
والدم . ولا سيما ان كانت معه ادنى مرارة . وينبغي أن
يجتنبه من تكثر به الرياح ومن يسرع اليه الجشاً الحامض
وإذا اخذ عليه الشراب الصرف والجوارشن الكموني
والكندري نفعه . فاما اصحاب المعدة الحارة والجشاً الدخاني
والعطش الدائم فكثيراً ما ينتفعون به ولا سيما في يوم بعد
يوم ويوم يمسهم فيه حر وعطش ولا ينبغي ان يشرب عليه
ماء الثلج . ويؤخذ لمن يكثر من أكله الاهلبيج ثم بزر
الرازيانج والسكر ليؤمن بذلك من المائية التي تتولد
عنه في الدم فانها تتعفن على الايام وتبيح الحشيات ان لم
تتدارك بما قلناه الا أن يكثر من التعب حتى يجري منه
العرق الكثير وتصيبه هيضة قوية أو يد من شراباً قويا
يغزر عليه بوله وعرقه . وأقل ضرراً من جميع اصناف
المشمش الحموي لرقه حاشيته وحسن طعمه وحلاوته وعطر
رائحة نواره

وفيه يقول جحظة :

ومشمش زهره كالزهر مشرقة

بحسن ما فيه من نور ومن نور

كأن محمره في وسط أبيضه

حكى عقيقا على جامات بلور

وقال ابن سينا المشمش له نوار ابيض مسدس مخضب

بالحمره عطار الرائحة ، ثم يعقد مع اخراج الورق كاللوز

الاخضر بقاب ابيض ويخشب ويطبخ منه الطعام

المعروف بالشمشية ثم يصفر ويأخذ في الانضاج حتى

ينتهي فينشف ويحمل منه الى البلاد

وفيه يقول محمد بن عطية بن حنان الكاتب القيرواني :

ومشمش ما بدا يوما لذي بصر

الا وأصبح بين العجب والعجب

كأن مخبره وصفا ومنظره

شهد تكنفه قشر من الذهب

ومن تشاييه ابن وكيع قوله :

بدا مشمش الاشجار فيها كأنه
 يلوح على تلك الفصون الموائل
 قباب بمحمر الذبائح ضرجت
 وقد زينت من عسجد بجلاجل
 ونقمت من خط الشرف القواس الدمشقي :
 خلت في الروض مشمشاً جاء في الحمل بالعجب
 كسماً من زبرجد بنجوم من الذهب
 ومن محاسن بلدينا العلاءي بن ايبك :
 ومشمش جاءني من أعجب العجب
 اشهى إلى من المذات والطرب
 كأنه في هبوب الريح تنشره
 بنائق خرطت من غلص الذهب
 ومن تشاييه الصلاج الصندي قوله :
 بدا مشمش الاشجار يذكي شهابه
 على حسن أغصان من الدوح مئيد

حكى وحكت اشجاره في اخضرارها
 جلاجل تبر في قباب زبرجد
 ومن لطائف ابن تميم قوله وقد اهداه لبعض أصحابه :
 امولاي عز الدين يا من جميله
 الى قاصديه ما عليه عيار
 جسرت وقد اهديت نحوك مشمشاً
 وذلك شيء ما عليه غبار
 وما كان هذا لونه غير أنه
 علاه لخوف الردّ منك صفار

ومن محاسن الشام القراصيا : وهي سبعة اصناف
 رشيدية ، بعلبكية ، افرنجية رومية ، طعامية ، بزرة ،
 وفيجية - نسبة لقرية عين الفيحة ، وهي تحمل منها الى
 السلطان بالديار المصرية - وأحسنها البلدية المنسوبة لواد
 مكرم وهو بين الربوة الى تحت صحن المزة
 قال ضياء الدين بن البيطار : القراصيا أنواع ، فمنها
 الحلو والمر والعفص والحامض . فالحلو منه حار رطب في

الدرجة الثانية ينحدر عن المعدة سريعاً ويشير التخم ويرخي
المعدة ويستحيل مع كل طبع وإذا اكل اسهل البطن واين
الطبيعة ولا سيما اذا ابتلع بنواه وهو مع ذلك يزيد في
الانعاظ

وقال اسحاق بن عمران : خلط القراصيا غليظ مزلق
فاسد الغذاء يولد السوداء ، وحامضه الذي لم يطب قاطع
اللعش عاقل للبطن

وقال ديسقوريدوس : في الاندلس حب الملوك وفي
بلاد الروم الكراز. وهي شجرة معروفة أغصانها سبطة
مشوبة بحمرة ولها ورق أطول من ورق المشمش ولها ثمرة
شبيهة بحبة العنب في التدوير ، تندلى في شيء شبه الخيوط
الخضر اثنان اثنان في الغالب وازيد من ذلك : ولونها
أحمر ومنها ما يكون اسود وأشقر ، وفيها ما هو منصبغ
ببعض حمرة

وهو في الاولى ، وان استعمل رطباً لين البطن ،
وان استعمل يابساً أمسك البطن ، وصمغ - اذا خلط

بشراب ممزوج بماء - يبريء السعال ويحسن اللون ويحيد
 البصر وينهض الشهوة وينفع من به حصاة
 وقال جالينوس : في السابعة وفيه قبض ولكن ليس
 هو سواء والحامض اكثر قبضا وينفع المعدة البلغمية
 المملوءة فضولا لان الحامض يجفف اكثر من تجفيف
 العفص والحلو . وصيغ هذه الشجرة فيه من القوة العامة
 الموجودة في جميع الادوية اللازمة التي لا تلذع معها فهي
 كذلك نافعة من الخشونة الكائنة في قصبه الرئة . واذا
 شربت بشراب نفعت صاحب الحصاة لان فيها قوة
 لطيفة

وطعام القراصية نافع ولذيذ وسهل والله اعلم . اهـ
 وفيه يقول مؤلفه رحمه الله :

كانما القراصيا لما بدت للنظر
 حبة مرجان ترى في رأس خيط أخضر
 وله أيضاً :

تحكي القراصيا وقد لاحت بعرق نضر

كنجمة في شفق بدت بذيل أخضر
وله أيضاً:

ان القراصية التي زهت بلون مورد
كعقبة حمرا بدت بعلاقة تحكي الزبرجد
ومن محاسن الشام الكثرى . وهو باليونانية الانجاص
وهو أصناف : عثمانى . عيلاني . خلاني . سميرقندي .
صيني . ملكي . صقلاني . مغاربي . يبرودي . رحبي .
درسي . قناديلي . خنافسي . معنق . دهروري . عريب .
بعلبكي . ماوردي . عقرباني . شتوي . صيفي . سكري
قهلي

قال ابن سينا : وفي بلادنا نوع من الكثرى يقال له
شاه امرود كبير الحجم شديد الاستدارة رقيق القشرة
حسن اللون وكأنه ماءسكر منعقد جامد يميل الى الصفرة
يتكسر للجمود لا لغلظ الجوهر طيب الرائحة جداً اذا
سقط عن شجره اضمحل وهذا مما لا مضرة فيه ولا
يحمل من بلده وهو معتدل رطب

وقال جالينوس : ورق الكمثرى واطرافها قابضة فاما ثمرتها ففيها مع قبضها حلاوة ومائية . واجزاء هذه الثمرة ليست متساوية المزاج وان منها ما هو ارضى ومنها ما هو مائي . وان شئت قلت من وجه آخر بعضها بارد وبعضها معتدل المزاج . من اجل ذلك متى اكل الكمثرى قوى المعدة وسكن العطش ، ومتى وضع كالضماد جفف وجلا جلاء يسيرا ، وبهذا السبب أعلم اني قد ادمت به جراحات عند ما كنت لا أقدر على دواء آخر

والكمثرى البري اكثر قبضاً وتجفيفاً من سائر الكمثرى فهو لذلك يدمل ما هو من الجراحات ويمنع المواد من التحلب

وقال (ديسقوريدوس) : في الاولى الكمثرى وهي اصناف كثيرة وكلها قابض ، ولذلك يستعمل في الضمادات المانعة من مصير المواد الى الاعضاء . واذا أخذ أو شرب طبيخه بعد أن يجفف عقل البطن ، واذا اكل الكمثرى والمعدة خالية اضر بآكله . وورقه ايضاً قابض ، ورماد

خشبه قوي المنفعة للذين يعرض لهم خنق من اكل الفطر وهو ما يظهر بارض الشام على ضرب الحكاة . وقد قال قوم انه اذا طبخ الكثرى البري مع الفطر يمرض آكاه

واعترض اسحق بن عمران على قوله في ان الكثرى اذا اكلت على الريق تضر بآكلها ولم يخبر بالسبب في ذلك ولا أى الكثرى يفعل ذلك . فأقول انه ذم الكثرى على الريق اذا اخذ على سبيل اللذة والغذاء لا على سبيل الحاجة والدواء ، وخاصة اذا كان عفصا او قابضا ، وان كان العفص أخص بذلك لان من خاصيته ان الاكثار منه يولد النفخ فاذا اخذ على خلاء المعدة تمكن من جرمها وقام فعلة فيها ولم يؤمن على صاحبه مع الادمان عليه أن يورثه قولنجا يعسر الحمله . فأما على سبيل الحاجة للدواء فان استعماله على الريق لا محالة أفضل لان استعماله بعد الطعام مطابق وزائد في ضعف المعدة لانه بافراط قبضه يجمع أعلى المعدة وتقهر القوة المسكة التي في أسفلها . وأما العفص من الكثرى فهو أقل غذاء واقطعها للاسهال والتيء المراري

وأشدها مئونة للمعدة والأمعاء ، لأنه لا فراط خشونته
 وغلظ جسمه وبعد انقياده مضر بمصب المعدة جداً .
 ولذلك وجب أن يتلطف له بما يرخي جسمه ويزيل غلظه
 ويلين خشونته مثل سلقه في الماء أو تعليقه على بخار الماء
 حتى ينضج أو يلبس عجينا ويشوى ويربى بسكر الطبرزد
 أو غسل على حسب مزاج المستعمل له

وقال البصري : الكثرى الحلو بارد في الأولى يابس
 في الثانية والصيني منه بارد في الدرجة الثانية رطب في
 الدرجة الأولى وفيه عطرية وقبض وتقوية القلب والتفاح
 خير منه

وقال اسحق بن عمران : الحامض منه دابغ للمعدة
 مدر للبول مشه للأكل

وقال بقراط : ما كان من الكثرى صلباً فهو يبرد
 ويجفف ويعقل البطن وما كان ليناً نضيجاً حلواً فهو
 يسخن ويرطب ويطلق البطن

قلت وخالف البصري في قوله « والكثرى الذّ من

التفاح وما يتولد منه في البدن احمد مما يتولد من التفاح وهو أسرع انهضاما»

وقال الرازي في (الحاوي) : الخالص من الخلاوة من الكثرى لا يبرد ، وأكله يعقل البطن الا أن يؤكل بعد الطعام فيسرع باحدار الثقل ثم تكون عاقبته عقل البطن . والصيني أقل ماء وأقوى فعلا وأشدّها عقلا واكثرها في تسكين العطش

وقال في كتابه المسمى بدفع مضار الاغذية : الكثرى كثير النفخ بطيء الانهضام . وينبغي أن يحذره من يعتريه القولنج ولا يشرب عليه ماء بارداً ولا يأكل بعده طعاما غليظا ، واذا أكل منه فليكن على جوع صادق ، وليطل النوم بعده ويشرب عقيبه شرابا عقيقا صرفا أو يأخذ عليه زنجبيلاً مربى ثم يجعل ادامه في ذلك اليوم مرقه اسفيدباجة أو مرق مطبنة ويدع لها ولا يتعرض للمشوى . وان اكل مع السمين المهري بالطبخ لم يضره ذلك . والكثرى حقو للمعدة ضار للمبرودين ومن يعتريه القولنج وشهه

أجبه وأقله حلاوة ونوار الكهثرى ابيض مستدير مشرق
أكبر من نوار الخوخ واعظم رائحة . انتهى والله اعلم

وفيه يقول عبد الله بن برغش :

وكهثرى تراه حين يبدو

على الاغصان مخضر الثياب

كئدى خريدة ابدته تيبها

له طعم الذ من الشراب

وما ارشق قول ابن رشيق فيه :

نظرت الى البستان احسن منظر

وقد حجب الاغصان شمس المشارق

به زوج رمان يابوح كأنه

قناديل تبر محكمات العلايق

ومن تشابهه صرّ درّ قوله فيه :

حي بكمثراية لونها

لون محب زائد الصفرة

تشبه نهد البكر ان اعدت

وهي لها ان قلبت سره

ومن محاسن الشام التفاح . وهو بدمشق اصناف
كثيرة فلندكر بعضها : سكري . مسكي . فتحي . صيني .
شتوي . بلدي . صيفي . قاسمي . فاطمي . تحابي . فصي .
حديشي . جناني . حرستاني . لبناني . حلواني . دهشاوي .
اخلاطي . بريري . نبطي . ماوردي . بطيخي . مجهول

قال البصري : نواره اشبه شيء بازرار الورد عند
ظهوره ثم يفتح مع اخراج ورقه برائحة طيبة الشدا
وفيه يقول ابن عمار :

وزهر تفاح اضحى الغصن منتظما

كأنه لؤلؤ يبدو وياقوت

وللرياض على ارجائها ارج

كان فيه ذكي المسك مفتوت

قالت الحكماء : جسم التفاح صديق الجسم ، وريحه

صديق الروح

وقال جالينوس : في السابعة ومنه ما هو حلو ومنه ما فيه
 عفوصة ومنه ما فيه قبض ومنه حامض ومنه ما بين الحموضة
 والحلاوة مسيخ الطعم وما كان منه على هذه الاوصاف
 فالاغلب عليه طبيعة الماء يكون مزاجه ابرد وارطب معاً،
 وأما الذي فيه عفوصة فالاغلب عليه المزاج الارضى البارد
 وأما القابض منه ففيه هذا الجوهر المائي البارد كما أن في
 الحلو منه جوهرًا مائياً معتدل المزاج . وكذلك يمكنك
 أن تستعمل منه ما هو أشد قبضاً واكثر حموضة في ادمال
 الجراحات وفي موضع ما يتحلب في ابتداء حدوث الاورام
 الحارة الى موضع الورم وفي تقوية فم المعدة عند استرخائها
 ويستعمل منه ما هو مسيخ الطعم ولا طعم له - كالماء -
 في مداواة الاورام التي هي في ابتدائها أو التي في تزايدها وفي
 جميع التفاح رطوبة كثيرة باردة ، ومما يدلك على ذلك انه ليس
 منه ولا واحد تبقى عصارته ، بل جميعه اذا عصر فسد عصيره
 خلا السفرجل فان عصارته تبقى . واليونانيون يدخلونه في
 عداد التفاح المسمى نيظروما فان هذين النوعين لشدة

قبضهما ليس فيهما من الرطوبة الا اليسير ، وأما تلك الانواع
من التفاح فكلها ان طبخت عصارتها مع العسل صار منها
رب يبقى وان تركت وحدها لم يبقى

وقال الرازي : التفاح مقولم المعدة موافق للمجرورين
الا انه بطيء الهضم وينفخ ولا سيما الفج الحامض وكذلك
ينبغي ان لا يشرب عليه من يجد منه ثقلا في معدته ماء
باردا ولا يأكل عليه طعاما حامضاً بل يشرب عليه الشراب
ويأكل امراق المطجنات

وقال الحكماء ان من خاصيته توليد النسيان ويكسل .
واذا اخذ اليسير منه نفع من الوسواس السوداءوي . وأكل
التفاح يحدث الخلط في البراز وشمه يقوي الدماغ والنفس .
والله أعلم بالصواب

وفيه يقول الزين الخراط في جارية أهدى اليها تفاحة :
وعذراء أهديتُ تفاحة اليها فقالت تفكه بشاني
حديثي تفاحه سُكرني كفتحي وتفاح خدي جناني
واحسن منه قول صلاح الدين بن شاكر الکتبي :

وغادة تيمنى حبها تقول صف خدي بالاحمر
فقلت فضى غدا مخضبا قالت حديثي قلت ذاسكري
ومنه قول جلال الدين ابن خطيب داريا :

قلت العذراء لما شانت المنع بمنحى
هاك تفاح حديثي حلولا تطمع بفتحى

ومن محاسن صاعد اللغوي قوله :

تفاحة اذكرنى نصفها خد حبيبي يوم عانقته
ونصفه الآخر شبهته بلون وجهي حين فارقته

ومن نفاثات ابن حبيب قوله :

وتفاحة فيها احمرار وخضرة

مضمخة بالطيب من كل جانب

تكامل فيها الحسن حتى كأنها

تورد خد فوق خضرة شارب

ومن مقاصد ابن نباتة قوله :

كرات عقيق في غصون زبرجد

بكف نسيم الريح منها صوالج

نقلبها طوراً وطوراً نشمها
 فبين خدود يدينا ونوافج
 وما أرشقي قول ابن رشيق القيرواني :
 تفاعلة شامية من كف ظبي الكحل
 ما خلقت مذخلقت تلك لغير القبل
 كأنما حمرتها حمرة خد خجل
 ومن لطائفه قوله :

وتفاعلة من كف ظبي أخذتها
 جناها من الغصن الذي شبه قده
 لها لمس ردفه وطيب نسيمه
 وطعم لما فيه وحمرة خده
 ومن لطائف بشار بن برد :

وتفاعلة من خالص التبر نصفها
 ومن جانار نصفها وشقائق
 كأن الهوى قد ردد بعد تفرق
 لها خد معشوق الى خد عاشق

ومن أغراض الصاحب بن عباد قوله :

ولما بدا التفاح أحمر مشرقا
دعوت بكأس وهي ملاء من الشفق
وقلت لساقبها أدرها فإنها
خدود عذارى قد جمعن على طبق

ونقلت من خط جمال الدين ابى حسن على الخزر جي

قوله :

تفاحة محمرة قد بدت
يميلها الريح على غصن
كأنها خدات قد جمعا
يلوح فيها طابع الحسن

ومن محاسن الشام الدراقن وهو أصناف بدمشق

ويسمى في القاهرة الخوخ ولم يكن بها سوى الزهري

والمشعر فنذكر من أصنافه ما يحضرنا الآن بدمشق :

خواجكي ، رصاصي ، حمصي ، نيرباني ، لوزي ، لزيق ،

لقيس ، كلابي ، صالحى ، ختمى ، مظفري ، مسافري ،
صوري ، زهرى ، لحم الجمل ، مجبول
قال أبو حنيفة : شجره سريع الأخذ في الارض ،
قصير المدة ، أنهى مكثه عشر سنين ، ويضمحل ثمره ،
وتنشف شجره ، وله نوّار احمر ينور من أصله الى آخر
فرعه ، زهي المنظر

وفي زهره يقول عبي الدين بن قرناص الحموى :
مرت بانجار الدراقن سحرة
وقد رنحت اعطافه نسمة الفجر
فشبهته لما رأيت احمراره

عيون مخامير أفاقوا من السكر
قال جالينوس : في السابعة وفي نفس شجرة الخوخ
المسمى بالدراقن بدمشق وقضبائها وورقها مرارة ولذلك
متى سحق وضمد به السرة قتل الديدان التي بالجوف .
وهو مع هذا يخلل . واما ثمرها فزاجها رطب يبرد
وقال في كتاب اغذيته : ان الرطوبة المستكنة في

هذه الثمرة وجرمها نفسه سريعاً الفساد رديئان في جميع
الخصال ؛ ولذلك لا ينبغي أن يؤكل الخوخ بعد الطعام
كما جرت عادة بعض الناس لأنه إذا طفا في المعدة فسد
وقال ابن ماسويه : يولد بلغماً غليظاً سريع الفساد
والعفونة في المعدة

وقال الرازي في (الحاوي) : الخوخ بشهي الطعام
جيد للمعدة الحارة والعطش واللهب منها ويزيد في الباه
ويطفي الحرارة

وقال ابن سينا يشبه أن يكون زيادته في الباه للابدان
الحارة اليابسة

وقال ابن الجوزي في (لقط المنافع) : الخوخ بارد
رطب نضيجه ينفع المعدة ويشهي الطعام ، غير أنه رديء
الخلط سريع السلوك في فساد المعدة يصلح للشباب في
البلاد الجنوبية ويؤكل بعده الزنجبيل المر

وقال الرازي في (دفع مضار الاغذية) : الخوخ ينفع
المحموم وقت صعود الحمى الحادة اذا كانت غيباً خالصة

ويولد في الدم مائة يكمل استحالتها الى الدم بعفن ويهيج
الحميات بعد شهر أو شهرين كما يفعل المشمش الا ان
الحميات المتولدة من الخوخ اقوى نافضاً واطول مدة والله
سبحانه وتعالى أعلم

وفي الخوخ الزهري يقول القيراطي :

حللنا بيستان به الدوح واقف
وجدول صافي الماء من تحته يجري
كان النجوم الزهر زهري خووخه
ولم أر مثلي شبه الزهر بالزهر
ومن محاسن العلائي الوداعي :
وخوخة قد حكمت لونين خلتها
خدي محب ومحبوب قد التصقا
تعانقا فبدا واش قراعهما
فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا
ومن لطائف النصر الجماعي قوله :

وخوخة يحكي لنا نصفها
 وجنة معشوق رأها الكئيب
 ونصفه الآخر شبهته
 بلون صب غاب عنه الحبيب

ومن محاسن الشام الآجاص ويسميه أهلها بالخوخ
 وهو أصناف: صيفي، زجاجي، قبرصي، أسود، عين البقر،
 خوخ الدب، خوخ الطعام، اغبر، شقير، حاكي،
 برقوق، مجهول، بزرة. وله نوار أبيض صغير دون نوار
 الكثرى.

قال ابن ماسويه الآجاص يغذي غذاء يسيراً ويرطب
 المعدة بلزوجة ويبردها ويلين الطبيعة ويسهل المرة الصفراء
 ويسكن العطش. وهو صنفان أبيض وأسود فالأسود
 هو الآجاص على الحقيقة، والأبيض هو المعروف
 بالشاهلوج وهو يطيء الانهضام وليس بمسهل كغيره
 وكلاهما بالشام

وقال ابن زهر: الآجاص رديء للمعدة ملين للبطن

واحسنه ما كان بدمشق فانه اذا خف كان جيداً للمعدة
ممسكا للبطن ويختار منه ما كان لحميارقيق البشرة والكبير
الرخو القليل القبوضة وأرداه الصغير الصاب الشديد
العفوضة الابيض وغالب عليه الزرقة المعروف عند أهل
مصر بشقير

والبرقوق نوع منه صغير لكنه اذا نضج حلا
وقال ابن الجوزي : الآجاص بارد رطب المختار منه
الاسود الحلو الكبير يلين الطبيعة لكن خلطه غليظ
بطيء الانهضام يطلق الصفراء والحامض أشد اطلاقا
وينفع الصداع والشقيقة وينقص اليرقان وينفع الشباب
في الصيف بالبلاد الحارة . دفع مضرته معجون الورد أو
العسل . انتهى والله أعلم

وفيه يقول مصنفه البدرى :

يا حسن آجاص اتى يحكى لعين البصر

اكرأ بدت من فضة قد ضمخت بعنبر

وقال ابن المعتز فيه :

لقد شاقني الآجاص لما رأيتہ

يميل مع الاغصان مع كل مائل

تطلعن من بين الغصون كأنها

فقاح زنوج تحت خضر الغلائل

وكل هذه الاصناف والالوان بالمرزة وارض اللوان . وبها
الدور الوسيعة الفناء ، المليحة الاساس والبناء . وفيها
أعيان الناس ، وهي الجامعة بين حسن الانواع والاجناس .
مع الهواء الصحيح ، والاعتدال بالترجيح . وبها سويقتان ،
فيهما سائر ما يشتهي من الالوان . ومصلى بخطبة وخطبة
بجامع جديد ، وفيها ضريح الولي المعتقد الشيخ صديد . أعاد
الله علينا من بركاته ، وأمدنا بصالح دعواته

ويتوصل منها الى قرية (كفر سوسة) وبها معصرة

زيت وأشجار زيتون من زمن عيسى عليه السلام ، مع

الفواكه الكبيرة بطريق الانضمام

قال ابن البيطار : الزيتون في السادسة وورق هذه

الشجرة وعيدانها الطرية فيهما من البرودة بمقدار ما فيهما

من القبض . واما ثمرتها فما كان منها مدركا نضيجا فهو حار .
حرارة معتدلة وما كان منها غير نضيج فهو أشد قبضاً .
وبرداً .

وقال اسحق بن عمران : الزيتون الاخضر دابغ
للمعدة مقول للشهوة بطيء الانهضام رديء الغذاء . واذا
رمي في الخل كان أسرع انهضاماً وأكثر عقلاً للبطن .
واذا عمل بالملح اكتسب منه حرارة وكان الطف من
المنقع في الماء . والزيتون اذا تمضمض به شد اللثة والاسنان
المتحركة . أما الزيتون الاسود النضيج فانه سريع الفساد
رديء للمعدة غير موافق للعين واذا تضمد به منع القروح
الخبیثة من أن تسعی في البدن والاسود ينقلب الى المرة
الصفراء وهو أسرع انهضاماً من الاخضر وورقه قابض
اذا دق وسحق وتضمد به نفع من النار الفارسية ومنع
الحمرة ان تسعی في البدن ومنع النملة والقروح الخبیثة
وينفع من الداحس والله أعلم . انتهى
وفيه يقول محمد بن دانيال :

كانما الزيتون حول النهر
 بين رياض ذخرفت بالزهر
 عقد زمرد هوى من نحر
 أو خرز خرطن من بازهر
 ومنها الى أرض المراز والشويكة وهي من محاسن
 الشام واليهما ينسب الرمان الشويكى
 والرمان أصناف : شويكى ، بردى ، ماوردى ،
 مليسي ، كوفى ، برجنيقي ، سعاقي ، شويخي ، مصري ،
 سلطاني ، محجر ، مطوق ، تدمري ، لقيط ، حصوي ،
 طقاطقي ، قطي ، مشبه ، حامض للطعام ، لفان ، رأس
 البغل ، مجهول

قال أبو حنيفة الدينوري : شجر الرمان معروف
 وله نوار أحمر كالازرار ثم يكبر ويفتح كقوالب السكر
 مشرقة الرعوس بعضها ما هو مثنى والبعض مسدس
 وداخل هذا القمع نوار أصفر يعلوها ورق أحمر أرق بشرة
 من الحرير . وعند السامرة وعباد النار وغيرهم يسمى

بالمليح المهجور لكون الناس لم يعتنوا بزهره ولا
يحتفلون به كغيره

وفيه يقول الامير ابو فراس :

وجلنار مشرق على اعالي شجره

كان في رعوسه احمره واصفره

قراضة من ذهب في خرق معصره

وقال ابن وكيع :

وجلنار بهي ضرامه يتوقد

بدا لنا في غصون خضر من الري ميد

يحكي فصوص عقيق في قبة من زبرجد

اخذه الصفدي :

وجلنار تبدى في غصنه يتوقد

كأنجم من عقيق سماؤها من زبرجد

ومن محاسن ابن دمر داش قوله :

لما بدا الجلنار في القضب

والطل يبدو عليه كالجب

كانما أكوّس العقيق به قدملت من برادة الذهب
قال ابن البيطار : الرمان في الثامنة وكاه قابض الا
اليسير ، لان الرمان منه حامض ومنه حلو ومنه قابض
فيجب ضرورة ان تكون منفعة كل نوع بحسب الطعم
الغالب عليه . وحب الرمان اشد قبضا من عصارته واشد
تجفيفا وقشره اكثر في الامرين جميعا وحينئذ الرمان الذي
تساقط عن الشجر اذا عقد كان اجود

وقال ابن زهر الرمان في الاولى كله جيد الكيموس
جيد للمعدة قليل الغذاء والحلو منه اطيب طعما من غيره
غير انه يولد حرارة ليست بكثيرة في المعدة ونفخا ، ولذلك
لا ينفع المحمومين ، والحامض انفع للمعدة الملتهبه ، وهو
اكثر ادراكا للبول من غيره

وقال ابن الجوزي الحلو حار رطب وقيل بارد معتدل
جيده الكبار منفعته يلين الصدر والحلق ويصلح للسعال
والباه ويوافق للمعدة ويحدث نفخا . دفع مضرته بالرمان
الحامض يتولد منه غذاء صالح يصلح للامزاج المعتدلة

والسكربول في الخريف

والرمان الحامض بارد يابس لطيف قابض جوده
الكثير الماء ينفع للكبد ويقمع الصفراء ويمنع سيلان
الفضول الى الحشا، خصوصاً شرابه . ويدر البول اكثر
من الخلو لكنه يضر الصدر والصوت والمعدة ودفع مضرته
بالخلوة العسلية يصلح للامزاج الملهية وللشباب في الصيف
ومن أكل ثلاثة اقلاع من الرمان بشحمه فانه دباغ المعدة
وفيه فائدتان : الاولى انك اذا اردت معرفة الرمان هل
حبها فرد ام ازواج تنظر الى تشرح قمعها ان كان فردا
فهي بالفرد وان كان الزوج فهي بالزوج . الثانية انك تطعم
انساناً ببغض انساناً مائتي حبة واربعاً وثمانين حبة رمان
حلو واطعم المبعوض في ذلك الوقت بعينه مائتين وعشرين
حبة فانها يتحابان الى المات . نقلته ممن جربه فصيح والله اعلم
ومن لطائف جمال الدين الشواء قوله :

من رام للرمان وصفا يقل مثل الذي قد قلت اعلانا
حق نضار لم يزل مودعا فيه يواقيتنا ومرجانا

وما أبدع كلام أمير المؤمنين المأمون فيه :

رمانة ما زلت مستخرجاً في الجلام من حقتها جوهرها
فالجلام أرض وبناني حيا يطار يا قوتنا بها أحيا

ومن تشابيه أبي الحسن الجوهري فيه :

وحبات رمان لطاق كأنها

شواردياقوت اطفن عن الثقب

اشبهها في لونها وصفائها

بقطرات دمع وردت من دم القلب

ومن محاسن كشاجم قوله :

ومحمة من بنات العصون ويمعها ثقلها أن تميدا

منكسة التاج في رأسها تفوق الحدود وتحكي النهودا

تغض فتفتر من مبسم كأن به من عقيق عقودا

ومن محاسن ابن الرومي قوله :

ولما فضضت الختم عنهن لاح لي

فصوص عقيق في بينوت من التبر

فدرّ ولكن ليس يدنيه غائص
وماء ولكن في مخازن من جمر
ومن معاني ابن حمديس قوله :

قد لاح رماننا بروضته بين صحيح وبين مفتوت
من كل مصفرة مزعفرة تفوق في الحسن كل منعوت
كأنها حقة فان فتحت فصرة من فصوص ياقوت
ومن عقود ابن لؤلؤ الذهبي قوله :

ورمان رقيق القشر يحكي نهود الغيد في اثواب لاد
اذا قشرته طلعت لدينا فصوص من عقيق اونجاد
ومن مخترعات علي بن سعيد الخيري الانصاري في
رمان معشوقه :

وساكنة في ظلال الغصو ن بخدر تروقك افئانه
تضاحك أترابها عندما غدا الجوّ تدمع أجفانه
كما فتح الليث فاه وقد تخرج بالدم أسنانه
ومن محاسن الشام قرية (داريتا) وهي قبلي (الشويكة)
وبها السيدان الجليلان (ابو سايمان الداراني) و (ابو مسلم

الخلولاني) اعاد الله تعالى علينا من بركاتهما المتواترة وافاض
علينا من بحار علومهما الزاخرة

واليها يتشوق خطيب محاسنها الشيخ جلال الدين ابو
المعالى محمد بن احمد سليمان المعروف بابن خطيب داريا من
القاهرة المحروسة بقوله :

سقى الله من شرقيّ جامع جلق
منازل لايهوى سواها غريبها
منازل لولا الساكنون بها لما
تذكرتها يوما ولو فاح طيبها
وما قل منها اذ رضيت ببعدها
نصيبى ولسكن قل منى نصيبها
وما لى الى الاوطان شوق وانما
هوى كل نفس ابن حل حبيبها

واليها ينسب البطيخ الداراني

قال (الرازي) البطيخ الهندي وهو الاخضر يقوى
الترطيب مستعد لان يصير بلغا حلوا ولذلك صار ناقما

لاصحاب حميات الغب والمحرقه

وقال (ديستور يدوس) الخلط المتولد من البطيخ
 خلط رديء وكثيراً ما تعرض منه الهيمضة ويعين على القيء
 وقشر البطيخ اذا استعمل عوضاً عن الاشنان كفا الزهومة
 وذهب برائحة الزفر واذا جفف قشره والقي في القدر مع
 اللحم الغليظ أسرع نضجه وهراه

وقال (ابن الجوزي) : البطيخ الهندي بارد رطب
 جيده للمائي الحلو ينفع الامراض الحارة ويسكن العطش
 ويسبيء الهضم دفع مضرته بالسكر يصالح للامزاج الحارة
 الصفراوية والشباب في الصيف واذا اخذ من مائه في سكر
 اوسكنجبين ادر البول وغسل المثانة والكلى وكان اكثر
 في التبريد وينفع اصحاب اليرقان الحادث عن حرارة الكبد
 اذا شرب مع الطباشير والسكر وهو مصحح للاخلاق يضر
 المشايخ والكبد والطحال اذا كانت وارمة والاكثر منه
 يولد الهيمضة وسوء الهضم وينبغي ان يتوقاه اصحاب المزاج
 البارد فان تناولوه اتبعوه بالعسل . انتهى والله سبحانه

وتعالى أعلم

وفيه يقول تاج الدين الكندي وأجاد :

انظر الى البطيخ في تشقيقه

يحكى لدى التشبيه كل أنيق

صفائح بلور بدت في زمرد

مركبة فيها فصوص عقيق

ومن أغاز الصلاح الصفدى قوله :

ما رباعيٌّ حروف وهي خمس في البناء

كله نبت ولكن نصفه طائر ماء

ومن لطائف بلدينا الوأواء الدمشقي قوله :

وذات ريق ان ترشفته وجدته احلى من المن

اذا بدت في كف جلابها رأيتها في غاية الحسن

كسلة خضراء مختومه على الفصوص الحمر في القطن

وقال صاحب (مطالع البندور) البطيخ يغسل الطعام

غسلا ، ويذهب بالاذى اصلا . وكانت ملوك الفرس تأمر

يرفع الحلوى ايام الرطب ويرفع الاشنان ايام البطيخ

والبطيخ الاخضر بدمشق اصناف . وهو داراني .
 ومرجى نسبة الى المرج ، ودومي نسبة لقرية دوما ،
 وحبشي ، وقبلي ، وعواميدي وهو المسمى بالنموس . انتهى
 ومن محاسن الشام قرية (يلددا) وهي من القبلة الى
 شرقي قرية (عربيل) وما بينهما من القرى الجميع برسم
 زراعة كروم العنب وعرائشه

وقال صاحب (معاياة العقل في معاناة النقل) التعريش
 الرفعة لقوله تعالى « وهو الذي أنشأ جنات معروشات »
 والعرش ارفع من السماء . انتهى

والعنب صنوف بدمشق . فمنها البلدي ، خناصري ،
 عاصمي ، زيني ، ييتموني ، فناديلي ، افرنجي ، مكاحلي ،
 بيض الحمام ، حلواني ، بوارشي ، جبلي ، قصيف ، ابراز
 الكايبة ، قشاميش ، كوتاني ، عبيدي ، شحاني ، جوزاني ،
 دراقني ، منح العصفور ، عرايشي ، رومي ، شبيهي ، نيطاني ،
 عصيري ، رناطي ، ورق الطير ، سماقي ، حرصي ، مجزع ،
 شعراوي ، دربلي ، قاري ، علوي ، عينوني ، مورق ،

مشعر ، مسط ، مرصص ، محضر ، مقوس ، حمادي ،
تفاحي ، رهباني ، زردى ، مبرد ، مخصل ، مغاربي ،
شحمة القرط

وقال (ديسقوريدوس) : الكرم في الخامسة وهو الذى
يعتصر منه الشراب وورقه وخيوطه اذا سحقا وتضمد
بهما سكتا الصداع . والورق اذا كان بارداً قابضاً فانه اذا
تضمد به وحده او مع سويق الشعير سكن الورم الحار
العارض للمعدة والالتهاب العارض لها . وعصارة الورق
تنفع الذين بهم قرحة الامعاء والذين يتقيأون الدم والذين
يشكون معدتهم والحوامل من النساء . وخيوط الكرم اذا
انتفعت بالماء وشربت فعلت ذلك . ودمعة الكرم وهى
شبيهة بالصمغ تجمد على القضبان اذا شربت مع الشراب
اخرجت الحصى واذا تلطخ بها ابرأت القوابي والجرب
المتقرح والذى ليس بمتقرح . وينبغي اذا احتيج الى
التلطبخ بها ان يتقدم بغسل العضو بالنظرون واذا تمسح
بها مع الزيت دائماً حلت الشعر ، وخاصة الدمعة المجموعة

من قضبان السكر الطرية واذا احترقت ورشحت منها
الدمعة كما يرشح العرق وهي التي اذا لطخت على الثآليل
المسماة مرميقيا^(١) ذهبت بها . ورماد قضبان السكر
ورماد شجير العنب اذا تضمد به مع الخل ابرأ المتعدة التي
قد قلع منها البواسير وابرأ من التواء العصب وقد ينفع من
نهشة الافعى واذا تضمد به مع دهن ورد وسذاب وخل
خمر نفع من الورم الحار العارض في الطحال

وقال ابن الجوزي في لفظه « العنب » : حار رطب
والابيض احمد من الاسود والاكثر منه يصدع الرأس
ومنفعته يسهل البطن ويسمن ، وهو قريب من التين في
فضله على سائر الفواكه . مضرة يعطش ويرخي المثانة .
دفع مضرته بالزمان الحامض يتولد منه دم جيد يصلح
للمشايخ والامزاج الباردة في الخريف وفي البلاد الشمالية
والحصرم ينفع المحرورين ويطيبخ منه طعام لذيد

وفي اللغة قال الحصرم ثمر السكر قبل الحلاوة والميم

(١) كذا في الاصل . وفي مفردات ابن البيطار « مرمعا »

فيه زائدة مأخوذ من الحصر وهو العجز عن النطق ، أو
من الحصر الذي هو احتباس الباطن وبه سمي الرجل
البخيل لمنعه ما في يده وتشديده . والحصير الملك سمي بذلك
لامتناعه عن الاعين أو عن الضيم . قال الشاعر :

وقمائم غلب الرقاب كأنهم

جند لدى باب الحصير قيام

وسميت جهنم « للكافرين حصيرا » لمنعها من فيها
أو لتمنعها هي في نفسها قال تعالى « وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا »

فالحصرم طبعه البرد واليبس ولذلك قبض الاجسام
ومنع المسام من اخراج ما فيها من الفضل . انتهى كلام
(معاياة العقل)

وفيه يقول الطغرائي وابدع :

تري الثريا من عناقيدها تلوح في أخضر كالغيب
كم درة فيها وكم لؤلؤ^(١) صحيحة التدوير لم تثقب

(١) في ديوان الطغرائي « كم مبعج فيه وكم جزعة »

واستعار هذه الثريا لعرشة ابن تميم فقال :
 نفى عني الهجيرَ ظلالُ كرم
 وأمتعني ونزه ناظرِ ثريا
 ولاحت عرشة فرأيت منها
 سماء كل أنجمها ثريا
 ومن لطائف الصاحب ابن عباد :
 وحية من عنب قطفتها
 تحسدها العقود في الترائب
 كأنها من بعد تمييزي لها
 لؤلؤة مثقوبة من جانب
 ومن تشابيه ابن المعتز قوله :
 وحية من عنب من جنةٍ متخذة
 كأنها لؤلؤة في وسطها زمرذه
 ومن محاسنه قوله في العنب الأبيض :
 شربت حميا الكرم تحت ظلاله
 على حسن محبوب الشمائل أغيد

كأن عناقيد الكروم وظلها
كواكب در في سماء زبرجد
ومن أغراضه قوله في العنب الاسود :
حتى اذا حرمرى جاء مرحلة^(١)

بفاتر من هجير الجو مستعر
طلت عناقيدها يخرجن من ورق

كما اختفى الزنج في خضر من الازر
وقال ابن الصائغ في العنب العاصمي :
وعاصمي قد غدا طعمه

أروى من الماء لدى الحائم
أورث خلي أكله هيضة

فأعجب له من مسهل عاصمي
وقال ابن الرومي في العنب الرازقي :

كأن الرازقي وقد تناهى وباهت بالعناقيد الكروم
قوارير بماء الورد ملأى تشف ولوؤؤ فيها يعوم

وتحسبه من الشهد المصفي^١ إذا اختلفت عليك به الطعوم
فكل جمع منه ثريا وكل مفروق منه نجوم
وقال محمد بن عبد الله المحسن الكفرطاني في الاسود:

جاءنا منك تحفة نحن منها أبدأ في تضاعف السراء
عنب اسود كأن عليه حلالاً من حنادس الظالماء
خلته في خلال أوراقه الخضر و لون اسوداده للصفاء
كقموع على أنا مل خود لحن من كم غادة خضراء

ونقلت من خط التقوى ابن حجة ملغزاً في الكرمة:

عنا قيد على قضب تدلت

حكى منظومها عقد الآلى

إذا عصرت ترى في الكاس منها

دواء قد تركب من دوالى

البرهان البهنسي قوله :

اخبروني عن فاضل بأصول

وفروع يسمو على كل فاضل

اسبغ الله ظله فهو ظل
 سابع وافر مديد وكامل
 وأبو محجن يقول ادفنوني
 تحته ان أتاني الموت عاجل
 كم الينا قد مد كفاً ندياً
 صير العيش أخضراً في المنازل
 نقطة الطل فوقه أوضحته
 عند توقيعها به وهو عاطل
 ما تبدي لنا بعين ولكن
 حرّفته وصحفته الافاضل
 قرأينا للترك فيه اسم عين
 بفتور الاجفان جاء يغازل
 ان تذكره حرف الكل يبدي
 كرما والندی من الكف هاطل
 أو توثته يقبل الهاء في الحاء
 ل ومن بعد ذابري هو حامل

ويقل شطره لمن عاب منه
لك هم بالعكس عندي حاصل
فيه حلو وفيه مسرٌّ ويبدو
عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول يرى فعل أمر
واقرب الفعل منه فالأمر حاصل
هو خشب مسندات ولكن
حال يجلي يبدو رقيق الغلائل
ومن الغمر جسمه الغض يدي
وتراه من بعد ذا وهو ذابل
وإذا ما فرطت فيه تراه
لم يحل عنك وهي نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة وكذا لي
فرحاً من راح سرت في المفاصل
فتراه يوماً عقود عقيق
نظمت سلكها بغير أنامل

وتراه يبدو عقود جان
 ما لها غير ثغر حي مماثل
 وتراه طوراً سلاقة راح
 ولدر الحباب فيها حواصل.
 وعلى عوده يعني علينا
 اعجمي به تهيج اللبائل.
 لك منه فواكه وشراب
 كل عصر اليك تلقاه واصل.
 وحلاواته بها كل قلب
 كسروه والقلب للكسر حامل.
 وصله في مصر قليل ولكن
 هو بالشام لا يزال مواصل.
 وتراه بذات عرق مقبها
 في نعيم وظله غير زائل.
 واذا قلت في الخيم بالغو
 ر رأيناك فيه أصدق قائل.

ولقد جاءنا بعنب لطيف
 عند تصحيحه لمن هو هازل
 كيف لا والكتاب عن حبتيه
 قد أتى مخبراً بتلك الفضائل
 فتفكك من حبه في قطوف
 دانيات لكل آت وراحل
 واقم تحت ظله فهو لغز
 ظله ظاهر على كل قائل
 ثم دم في الالغاز بالحل والعقد
 غنيا إذا أتى اللغز سائل
 وزيبه حار والحامض منه بارد . قال أبو حنيفة
 الدينوري الزيب جفيف العنب خاصة ، ثم قيل لما جفف
 من سائر الثمر قد زيب الا التمر فانه يقال تمر الرطب ولا
 يقال زيب والزيب هو العنجر
 وقال جالينوس تنطج وتحلل تحليلا معتدلا وهو في
 السادسة . وعجم الزيب يجفف في الدرجة الثانية ويبرد في

الدرجة الاولى وجوهره جوهر غليظ ارضى كما قد تعلم
ذلك من طعمه اذ كان يوجد عيانا وهو يسكن ما يكون
في فم المعدة من التلذيع اليسير

وأفضل أنواع الزبيب اكثره لحما وارقه قشراً
وبعض الناس يميل الى الزبيب الكبار الحلو فيخرج عنه
عجمه قبل أن يأكله والفاعل لذلك محسن في فعله
والكشمش هو الزبيب الصغير الذي لا عجم له وهو اجود
وقال صاحب (لقط المتافع) الزبيب صديق المعدة
والكبد ينفع الكلى والمثانة ووجع الامعاء ويحد الزهني
وينفع من قد اجتمعت في بدنه اخلاط بلغمية فاسدة الا
أن مضرة احراق الدم ، ودفعها بالخيار الاخضر ، ينفع
الامزاج الباردة والقابض منه قليل اللحم يقوى المعدة
ومن أراد حبسه اكل الزبيب القابض بعجمه

وبالاسناد الى النبي ﷺ قال « نعم الطعام الزبيب
يطيب النكهة ويذهب البلغم » . وقال امير المؤمنين
المنصور « كلوا الزبيب واطرحوا عجمه فان في عجمه داء

وفي شحمه دواء « هكذا حدثني ابي عن ابيه عن جده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أمره بذلك . فتنبه والله أعلم ويعمل من ماء العنب الدبس والملبن . قال الرازي في (دفع مضار الاغذية) الملبن غليظ مولد للسدد والقوانج بطنيء الحركة والنزول رديء في أكثر أحواله واجتنابه اصلح ، اللهم الا ان يكون الانسان جائعاً . واصلاحه بالفانيد ، ويسرع نزوله . وينبغي ان يحذره من به غلظ في كبده وطحاله ويعتريه الحصا في كلاه ، وليس يضار للصدر والرئة . انتهى

قلت وبين هذه الكروم المذكورة قطع اراض جميعها أصول (لوز) ليس لها نظير في أيام تنويرها وهي من محاسن الشام

قال ابن زهر : اللوز له نوار ابيض وأحمر يقال ان الاحمر ثمرته مرة . وفيه يقول الامير مجير الدين محمد بن تميم :

خرجنا للتبزه في بقاع

يعود الطرف عنها وهو راض

ولاح الزهر من بعد نخلنا
 ضبابا قد تقطع في اراض
 ومن محاسنه قوله :

يا حسنها دوحة باللوز حالية
 يبدو اعينيك منها منظر عجب
 كانها قبة بيضاء قائمة
 على عمود ولكن مالها طنب
 ومن لطائفه قوله :

بروحى من ابصرته متزها
 بروض نضير وشعته الغمام
 وقد ثرت من فوقه الدوح زهرها
 كما ثرت فوق العروس الدراهم

ومن مقاصده قوله :
 روض تحلى بالنبات فماله ولحسنه الآسما نظير
 والزهر مثل الزهر تحسب أنها فيه إذا هب النسيم تنير
 ومن بدائعه قوله في الزهر على النهر :

ولما نثرنا الزهر في النهر وانبرت
تجمده أيدي الصبا والجنائب
حسينا سماء قد تجعد غيمها
ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب
وقال :

أبدت غصون اللوز من زهرها
ما كان في الأكام مستورا
ظلت يومي كاه مفكراً
في عنبر أعشب كافورا
ومن مخترعاه :

يا حسن منعطف الحديقة أذ بدت
تجلو لزارها سنى نوارها
وكأننا حسد النسيم رياضها
فاذاع ما كتمته من أسرارها
ومن أغراضه البديعة قوله :

لما أتينا اللوز لم يبعث لنا
نشراً وطال مخافة ان يجتني
فشكوته للريح فاستلبته من
اعلى العصون وفرقتة بيننا
ومن مجونه قوله :

فديتك زهر اللوز جاء مبشراً
بفضل على شرب المدام معين.
فقم نجتلي بنت الكروم ونجتني
كواكب زهر من سماء غصون.

وقال ابن فضل الله فيه مع ورقه :
ويا رب زهر أبيض بين أخضر
تتبه على كل الرياض رياضه.
كاثقاب نقش أخضر فوق معصم
صقيل تجلي بينهن بياضه.
ومن النكت البديعة قول ابن نباتة :

أهلا بسائرة الصبا من نحوكم
 وبما عهدنا من تعاهد طولها
 أملت على الزهر المقطب ذكركم
 حتى تبسم ضاحكا من قولها
 ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :
 وروض به ثغر الازاهر باسم
 وطرف الحيا من ضحك نواره باكي
 فلا تحسبوا برق الغمامة باسم
 هو المبسم الحالي ولكنه الحالي
 ومن لطائفه قوله :

مررت على دوح ينوح حمامه
 ودولابه يبكي على شاطيء النهر
 فقلت على ما أنت باك ودائر
 فقال على ما ضاع من نشر الزهر
 ومن ملحه قوله :

وروضة قال لنا نهرها معاتباً إذ رقّ للشارب.

أكون في خدمتكم جارياً ويضحك الزهر على شارب

وأنشدني شيخ الادب العلاءي المليك :

باكر الى زهر الرياض واستقنى

كاس الطلا والراح روح الانفس

أو ما ترى نصب الربيع خيامه

في الروض فوق مطارف من سندس

وأنشدني أيضاً :

بادر الى الزهر في عرس الرياض ضحى

فالورق غنت على العيدان في الورق

والريح شبب والاعصان راقصة

والزهر تنثر اوراقا من الورق

ويعجبني في الزهر على النهر :

لم لا أهيم الى الرياض وطيبها

وأظل منها تحت ظل صافي

والزهر يلحظني بشعر بانم

والماء يلقاني بقلب صافي

ومن تحرير القيراطي قوله :

سقياً لا قطار الشام فكيم من أنجم في روضها نجمت
وإذا السماء بارضها نزلت طلعت زهور نجومها وسمت

وقال محيي الدين بن قرناص :

قد أتينا الرياض لما تجلت وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما سقطت من أنامل الاغصان
وقال أيضاً :

مال القضيب بروضة من سكره

لما سقاه عقاره آذار

حتى اذا سرق النسيم دراهماً

من كره صاحت به الاطيوار

وقال أيضاً :

هلم يا صاح الى روضة قد تمقت ازهارها السحب

الزهر فيها شيق مغرم وجدول الماء بها صب

وقال بدر الدين بن لؤلؤ الذهبي :

هلم يا صاح الى روضة يجلو بها العاني صدا همه

نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كفه
ومنه قول أحمد بن أبي صالح فيه :

بادر اليها ياندي روضة قد وشحتها انمل الغمام
غنت على العود مطوقاتها فزهرها يرقص بالاكمام
وما أبدع قول يحيى بن هذيل :

نام طفل الزهر في حجر النعاما لاهتزاز الظل في زهر الخزامى
وسقى الوسمي اغضان النقا فهوت تلم افواه الندامى
وقال ابن قرناص :

لقد عقد الربيع نطاق زهر يضم لغصنه خصرأ نحيلاً
ودب مع العشي عذار طل على نهر حكى خدأ اسيلاً
وقال ابن مليك الحموي :

كأن زهر الربى والطل بلله

تغر بدا باسمها يفتر عن شنب

أولا فكأس لجين ملؤه ذهب

مكامل من عقود الدر بالحبيب

وقال المعوج الشامي في ازداره قبل تفتيحه :

حقاق من النوار مزرورة العرى
 على قطع الياقوت واللاؤلؤ الغض
 فتحن على الاغصان اجفان فضة
 وبالأس كانت مطبقات على الغمض
 وقال الشيخ ادريس وقد طلع باخوانه الى الزهر :
 واخوان صدق قد أناخوا بروضة

وليس لهم الا النبات فراش
 نخلهم والنور يسقط فوقهم
 مصاييح تسرى نحوهن فراش

وقال العلاءى بن أسد في غلام يتفرج في النزهة :
 سلطان حسن أفتديه بناظري وأعيذه من نزعة الشيطان
 يوما بزهر اللوز لما زارني قضيت ذلك اليوم بالسلطاني
 وقال عفيف الدين بن محبوب المغربي في غلام بات
 تحت شجرة :

وليلة بات بدري [تحت] [انجمها]
 من العشاء نديما لي الى السحر

يحبو بوَرد وِورد طول ليلته
 من خده ولماه العاطر الخضر
 حتى اذا اسكرتني خمر ريقته
 غنى فاغنى عن المزمار والوتر
 ما العيش الا ارتشاف الراح من شذب
 يغني عن الراح من سلسال ذي أثر
 فأنشأت بنجوم الليل ترجنا
 سماؤها غيرة منها على القمر
 فظلت من وجه من أهوى ودارتها
 وثغره والذي يهوى من الزهر
 ما بين بدرين مكتوم ومشتهر
 وبين درين منظوم ومنتثر
 ومن المعاني البديعة قول السلامي :
 نسبُ الرياض الى الغمام شريفُ
 ومحلمها عند النسيم لطيف

والارض طرس والرياض سطوره
والزهر شكل بينها وحروف
وكأنا الدولاب ضل طريقه
فتراه ليس يزول وهو يطوف

وقل ابن لؤؤ الذهبى في مشيب الزهر :
ما نظرت مقاتي عجيباً كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيباً واخضر من بعد ذا عذاره

وقال الشاب الظريف محمد بن العفيف :

لئن شاب زهر اللوز طفلاً وقلتم
بان مشيب الطفل ليس يجوز
فلا تعجبوا أن شاب في غير وقته

فكم نفخت يوماً عليه عجوز
واللوز بدمشق أصناف : منه الجبلي ، قسطاسي ،

عربيلي ، عقابي ، بندقي ، شحمي

قال مسيح [بن الحكم] : اذا أكل اللوز العاقد بقشره

الاخضر الطرى دبغ اللاثة والفم وسكن ما فيهما من الحرارة

بالبرودة والعفاسة والجحوضة التي في قشره الخارج قبل أن
يصلب ويشتد. وإذا أكل اللوز القلب الأخضر من غير
قشر وهو طري أصلح المعدة وجلا الاعضاء الباطنة
وتقاها وأعان على قذف الرطوبات

وقال جالينوس: في السادسة والمر في الدرجة الثالثة .
فالحاو قوته قوة ملظفة يفتح السدد الحادثة في الكبد
عن الاخلاط الغليظة ، ويجلو النمش ، ويعين على نفث الدم
والاخلاط الغليظة اللزجة في الصدر والرئة ، ويشفي الاوجاع
الحادثة في الاضلاع وفي الطحال وفي الكليتين والقولنج ،
ويؤخذ من أصل شجرة اللوز فيطبخ ويوضع من خارج
على الكلف فيدهنه

وقال ابن الجوزي : اللوز الحلو حار رطب يسمن
ويقوي البصر ويفتح السدد خصوصاً المر . وإذا أكل
بالعسل أو السكر أسرع الانحدار ، وخطه لطيف ، وينفع
أصحاب السعال ، وسويقه ثقيل . واللوز المر حار يابس
يزيل الكلف والآثار والنمش

وفي اللوز الأخضر يقول ظافر الحداد :

جاء بلوز أخضر أصغره ملء اليد
كأنما زبيبه نبت عذار الامرء
جواهر لـكـما الـ أصداف من زبرجد

وقال القاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك في اللوز

الذي بقلبين :

ومهدّ الينا لوزة قد تضمنت

لناظرها قلبين فيها تلاصقا

كأنهما حبان فازا بخلوة

على غفلة من حاسد فتعانقا

ونقلت من خط الرضى المراتضى محب الدين الزرعي قوله :

قم زوج الصهباء يا ابن السما ولو لحالك العاذل الفاسد

أما ترى الورد أتى شاهداً واللوز في أغصانه عاقد

ونقلت من خط ابن حبيب الحلبي قوله وهو المقدم :

ترويح بذت السكرم بابن المزن قد

نظمت قلائده فقم يراقده

فالطير يخطب والزهور شهوده

واللوز ما بين الحكام عاقد

ومن محاسن الشام (مرجع الشيخ رسالة) أعاد الله

علينا وعلى المسامين من بركاته ، واجرى علينا من صالح
كراماته . وفيه أقول :

يا من غدا قلبه قاسيا قم لولي صادق البرهان

وقف بذل وانكسار وقل بمدمع يا سيدي رسالة

وهو يشتمل على أنهار وأشجار ونواعير لها مع النسيم

رشاش ، وغالب تلك الأراضي تزرع الخشخاش

وفيه يقول الموصلي :

وزهر خشخاش بدا احمرأ كانه في رونق وابتهاج

اقداح بلور وقد اتعت من خمرة لم تختلط بالمزاج

ومن تشايه ابن دمر داش قوله :

ولما بدا الخشخاش في الروض مزهرا

وقد نظرت شرزاً اليه الحدائق

حكى قلعة ابراجها مستديرة

مشرفة دارت عليها الصناحق

وقال منشئه البدرى :

خشخاشنا الناشف في قشر له لما حضر

حكى دبايساً أنت حملاً بايد للاتر

والخشخاش بارد يابس ايضه اصلح من اسوده يجلب

النوم ويتمنع النزلة وينفع السعال الحار والنوازل الى الصدر

ومن نفت الدم ورطوبات المعدة خلطه غليظ وانفع ما اكل

بالسكر أو العسل والاسود رديء مخدر يورث السبات الا

ان اجود الاسود المصري وهو ينقي الصدر . والله سبحانه

وتعالى أعلم

ومن محاسن الشام (الوادي التحتاني) وهو شرقي

(مرج الشيخ) وهو يشتمل على غياض ورياض ، فالرياض

هي رياض السفرجل وفيه يقول القيراطي :

فؤادي الى بانات جلق مائل ودمعي على انهارها يتحدر

فوافي الى زهر السفرجل شيقاً اذا ما بدا مثل الدرهم ينثر

غياض يفيض الماء في عرصاتها فتزهو جمالا عند ذلك وتزهو

ترى بردى فيها يجول كأنه وحصباؤه سيف حقيق مجوهر

ومن رقيق شعر يحيى الخباز قوله :

زهر السفرجل بالجليل رأيتُه

قد فاق زهر الالوز في الاوصاف

هذالك ينثر للنديم دراهما

وتشار ذا بخفايف الانصاف

وهنا نكته لطيفة وهو ان الشيخ جمال الدين محمد

ابن نباتة قدم الى دمشق في ايام السفرجل فاضافه الشيخ

جمال الدين يوسف بن غانم في (الوادى التحتاني) لاجل

روية زهر السفرجل فصادف نهار حر وقيظا شديدا فانشد

الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصرى :

قد اشبه الحمام منزل هونا فالماء يسخن والازاهر تحلقت

فلذالك جسمى منشد ومصحف عرق على عرق ومثلى يعرق

فاجابه الشيخ جمال الدين يوسف بن غانم يقول :

ما اشبه الحمام منزل هونا الا المعنى راق فيه المنطق

فالدوح مثل قبايه والزهر كالاجامات فيه وماؤه يتدفق

ومن الفوائد ان ازهار الفواكه لم يؤكل منها سوى
 زهر السفرجل لخالوته وعطريته . وهو اصناف بدمشق :
 برزي . قصبي . سالمي . صيني . رقي . عباسي . تفاحي .
 ابو فروة . مجهول

قال ابن الجوزي : السفرجل بارد يابس ويقال رطب
 جيده البالغ الكبار ، يسر النفس ويدبغ المعدة ويقبض
 ويقوى ويمنع سيلان الفضول الى الاحشاء ويدر البول
 غير انه يحرك القوانج ان اكل قبل الطعام وان اكل بعده
 اين . ودفع مضرته بالرطب المعسل . والسفرجل المشوي
 اخف وانفع وطريقته ان يقور ويخرج حبه ويجعل فيه
 العسل ويطين خرمة ويودع الرماد . يتولد عنه خلط بارد
 وتوافقه الامزاج الصفراوية . واما السفرجل فأشد تقوية
 للمعدة وأقل حبسا للطبيعة وكثرة اكله تولد وجع العصب
 وحبه ينفع من خشونة الحلق ويلين قصبة الرئة ولعابه
 يرطب يابسها

وبالاسناد عن طلحة بن عبيدالله قال : اتيت النبي

يقبلها ^{صلاة} وهو في جماعة من أصحابه ويده سفر جلة يقبلها أو قال ^{وسام}
 يقبلها ^(١) فلما جلست إليه وجاء بها نحوي قال «دونكها يا محمد
 فإنه يشد القلب ويطيب النفس ويذهب بطخاء الصدر»
 وقال أبو عبيد الطخاء أي سحاب وظلمة

وفي حديث آخر أنه قال عليه الصلاة والسلام «إذا
 وجد أحدكم طخاء على قلبه فليأكل السفرجل»
 وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول
 الله ^{صلى الله} «كلوا السفرجل على الريق» انتهى ^{وسام}

وفيه يقول ابن تميم وأحسن :

حاز السفرجل أوصاف الوري فغدا
 على الفواكه بالتفضيل مشكورا
 كالراح طعام وشم المسك رائحة
 والتبر لونا وشكل البدر تدويرا
 ومن أوصاف الطغرائي قوله فيه :

وسفرجل عني المصيف بحفظه
فكساه قبل البرد خزاناً أصفرا
يحكي نهود الغانيات وتحتها
سرد لهن حشين مسكا أذفرا

ومن تشابيه الصنوبري قوله :

لك في السفرجل منظر تحظى به
وتفوز منه بشمه ومذاقه
يحكي لنا الذهب المصفي لونه
وتزيد بهجته على اشراقه
والشكل من أعلاه يحكي سفله
ثدى الكعاب الى مدار نطاقه
والشكل من سفلاه يحكي سره
من شادن يزهو على عشاقه

وقال بعضهم :

حكي سفرجل دوح حوى جميع المعاني
كأنه حين يبادو على ذرى الاغصان

رءوس أطفال روم لطنخن بالزغفران
 وأما الغياض فهي غياض الحور، وهو في علو السواري
 خالص الاعتدال ورقه بوجهين أخضر وأبيض له مع النسيم
 حفيف لطيف بساق أبيض صقيل ترتاح الأنف إلى
 وفيه يقول شهاب الدين المنصوري :

كأن العصون المائلات عرائس

تثنين عجبا في ملابس اطلس

كأن قردود الحور حور وقد غدت

تشم عن ساق لدى الحوض املس

وبه (غبيضة السلطان) وحورها لا يستطيع الانسان

أن يدخل فيما بينه لانضمامه ولثلا يضل عن الطريق كأنه

سكب بقوالب من الشمع

وبهذا الوادي متنزه يقال له (ست الشام) وهو

مرجة خضراء ما بين هذه الغياض وبها عين تجري بماء

بارد عذب

ابن حجة :

نقول (ست الشام) المغازات بعينها فأعشت حياتي
والشقت بمرجها وأبرزت ثراً حلاً لانه نباتي
خذني بغير خيرة فاني بدية في الحسن والصفات
واستجاني عروسة يتيمة شامية وعش بلا حاة
ومن محاسن الشام . . . وأوله منهي (الوادي
التحتاني) وآخره (البحرة) يقال انه يشتمل على ثلاثمائة
وستين قرية تزرع الغلة والحبوبات وفي الغالب الشعير
وفيه يقول ابن ظافر الحداد :

كأن سنابل حب الحصيد وقد شارفت حين إبانها
كنايس مظفورة ربعت وارخي فاضل خيطانها
ومن محاسن السلامي قوله :

يا حبذا سنبله تبدو لعين المبصر
كانها سلسلة مظفورة من عنبر
و(البحرة) اليها ينصب ما يفضل من مياه أنهار دمشق
ومنها صيدها من السماء والماء من الطيور والأسماك صيفا
وشتاء

ومن محاسن الشام (ضمير) وهي من القرى القديمة
أخذها اليونان

والها ينسب البطيخ الضميري الأصفر ومن اصنافه
السمرقندي ، والسلطاني ، والشام

والبطيخ مشتق من التبطنج واسترخاء الجلد واين
الجسم تحت يد الغامز . ويقال فيه طبيخ وهي لغة فصيحة لانه
من الطبخ وهو النضج الذي لا يتهيأ له التماسك وقد يكون
لافراط الرطوبة المفسدة لجوهر الجسم ، قاله صاحب
(معاياة العقل في معاناة النقل) انتهى

وقال (جالينوس) البطيخ الأصفر في الثانية النضيج
وجوهره جوهر لطيف وغير النضيج جوهره جوهر
غليظ وفيها جميعا قوة تقطع وتجلو ويدران البول ويصفيان
ظاهر البدن وخاصة ان عمد الانسان الى بزرها فجفنه ودقه
ونخله واستعمله في الحمام ومعك به بدنه

وقال (ديستوريدوس) قشره اذا وضع على العين
سكن ورمها وان وضع على نوافيخ الصبيان نفعهم من

الثورم العارض في ادمغتهم . وبزر البطيخ اجلي من لحمه حتى
انه ينفع الكلى التي يتولد فيها الحصى . والخلط المتولد من
البطيخ خلط رديء

وقال (ابن الجوزي) في لفظه «رطب» يفتت الحصى
وهل هو حار ام بارد فيه قولان ، جيده السمرقندي ،
منفعته يجلو البشرة ويقطع الكلف والبهق الرقيق عن
الجلد . وبزره اقوى جلاء من جلده . مضرته يرخى الجسد
ويولد الريح ، رفعها بالسكنجبين الصرف . يصلح للامزاج
المعتدلة والكحول في الخريف . وأضر ما اكل على الجوع
لا سيما اذا نام الانسان عقبه على الجنب الايمن والمشي بعده
صالح ، واذا اكثر منه ولد هيمضة لانه سريع الفساد في
المعدة سريع الاستحالة الى ما يصادفها

وقال (أرسطو) : اذا فسد في المعدة البطيخ كان
شبيه السم فليتقايها ، وبزره الشربة منه ثلاثة دراهم ، فانه
يزيد في الباه

وبالاسناد عن امية بن زيد العبسي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان

يجب من الفواكه العنب والبطيخ
 (فائدة) عن أبي مسهر قال : كان أبي إذا بعثني أشتري
 البطيخ قال يابني اعدد الخطوط التي فيها فان تك فردا تخليق
 بها أن تكون حلوة
 وفيه يقول المشد :

ياحسن اصفر بطيخ مذاقته كالشهد ضيف بماورد وكافور
 مثل الدنانير في لون وفي زنة وفي خشونة حبات وتدوير
 ومن بديع الابيوردي قوله فيه :

من رأى اثباح تبر مائة من ريق نحله
 فاجتليناها بدورا وقطعناها اهله
 ومن تفتن ابي طالب بن عبد السلام بن أكبر
 المأموني :

مخططة مثل الاكف كأنها
 من الجزع كبرى لم ترض بنظام
 لها حلة من جلنار وسوسن
 مغمدة بالأس غب غمام

تمازج فيها لون حب وعاشق

كساه الهوى والبين ثوب سقام.

وابدى لها التحزير تخضب كاعب

غلامية ذات اعتدال قوام

رياضية مسكية عسلية

لها لون ديباج وعرف مدام

اذا فصلت للاكل كانت أهلة

وان لم تفصل فهي بدر تمام

والبطيخ المخطط الاصفر وهو المسعى في الشام

بالشام وفي مصر يسمونه الالفاح وهو نوع صغير مستدير

مخطط بحمرة وصفرة على شكل الثياب العتابي وهو في

طبعه ومزاجه متوسط بين البطيخين الا أنه أقل رطوبة

من البطيخ الهندي وأغلاظ من البطيخ الخفيقي ورائحته

باردة طيبة مسكنة للحرارة جالبة للنوم، ولأجل ذلك

ظنت عامة المصريين انه نوع من الالفاح الذي هو ثمر

اليربوح. والله تعالى أعلم

وفيه يقول كشاجم :

للأنف والعينين في ربوحه لون المحب وعطرة المعشوق
صفراء طيبة النسيم كأنها بلورة محشوة بخلوق
ولأبي طالب فيه :

ومصفرة فيها طرائق خضرة

كما اخضر مجرى السيل من صيدب المزن

كحقة عاج زينت بزبرجد

حكمت قطع الياقوت في غلف القطن

وقال ابن المعتز في اللفاح :

انظر الى اللفاح في شكاه وحسنه المبدع النقش

مثل عروس خضبت كفها لم تعلق الحناء بالغش

وقال فيه ظافر الحداد :

اهدى الى انظي لفاحة قد ضمخت بالمسك والعنبر

كأنما اللفاح في كفه سبيكة من ذهب أحمر

ومن محاسن الشام (برزة) وهي من متزهات

دمشق التي يرحل اليها وهي شمال ضمير وبها مقام نبي الله

ابراهيم الخليل عليه السلام وقد تقدم سبب تسميتها برزة (١)
وما أحسن قول الشيخ محمد بن نباتة :

طاب مقام المرء مع شادن برزت العيش به برزه
وساعدتني الراح لما انثى ولان بعد المنع والعزه
فيالها من ربوة خلفه قد أطاعتني فوقها المزه
واليها ينسب التين البرزي . والتين أصناف : وهو
مزي ، برزي ، ماسوني ، رومي ، بعلبكي ، كعب الغزال ،
غريب ، طيفور ، شتوي ، جبلي ، حفيراني ، ملكي ،
عسيلي ، مكتب ، مجهول . ورق الطير

قال (ديستور يدوس) : التين يجلب العرق ويقطع
العطش ويسكن الحرارة . واليابس منه مغذ مسخن
ومعطش ملين للبطن ، ليس بموافق لسيلان المواد الى
المعدة والامعاء وموافق للحلق وقصبة الرئة والمثانة والكلى
ومن به ربو والذين تغيرت ألوانهم من أمراض مزمنة
والذين يصرعون والمجانين

وقال (جالينوس) في الثامنة وأما التين اليابس فقوته حارة في الدرجة الاولى عند انقضائها وفي الثانية عند مبدإها وله لطافة وبهاتين الخصلتين صار يفي بانضاج الاورام الصلبة ويحللها وقد ينبغي اذا قصدت في استعمالك اياه أن تخلط معه الحنطة في الانضاج ودقيق الشعير للتخليل . والتين اللقيم أكثر انضاجا والماء الذي يطبخ فيه التين طبخاً كثيراً فانه يصير شبيهاً بالعسل في قوامه وقوته معاً . والتين الطري قوته ضعيفة بسبب ما يخالطه من الرطوبات والنوعان جميعاً من اليابس والطري يطلقان البطن . وأما التين البري فقوته حارة محللة ، وكذلك التين البستاني اذا لم ينضج ، ومزاج شجرة التين حار كما يدل عليه عصارة ورقه فان كل واحد من هذين يسخن اسخانا شديداً وكل واحد منهما يلذع ويجلو جلاء قوياً ويحدث في البدن قروحاً ويفتح أفواه العروق التي في المقعدة ويقطع الثآليل وينثرها نثراً وهو مع هذا يسهل البطن . وقضيب شجر التين له حراقة ولطافة مزاج بحيث انك اذا وضعته على

اللحم اليابس في القدر بهريه

وقال صاحب (اللقط) : التين حار رطب منفعته
انه يجلو دمل الكلى والمثانة ويؤمن من السموم وهو
أغذى من جميع الفواكه . ومضرته أن يحدث نفخاً وغلظاً .
دفع مضرته بشراب السكنجبين واستعماله على الريق
منفعتة عجيبة في تفتيحه مجارى الغذاء خصوصاً مع الجوز
واللوز . والتين اليابس ينفع الصدر ويجلو . وشراب التين
يدر البول وينفع السعال المزمن وأوجاع الصدر وأورام
القصبة والرئة ويفتح السدد والكبد والطحال . وورق
التين الاسود بماء المطر يسود الشعر

وبالاسناد الى النبي ﷺ انه اهدي اليه طبق من تين
فاً كل منه وقال لاصحابه : كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت
من الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها
فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس . انتهى
وما أحسن قول ابن خفاجة :

وسود الوجوه كلون الصدود تبسمن تحت عبوس الغيش

إذا ما تجلى بياض الضحى أطلعن في وجهه كالشمس
 كأنني أقطف منها ضحى ثدى صغار بنات الحبش
 ومن تشابيه ابن المعتز قوله فيه :

أهلاً بتين جاءنا مبتسماً على طبق
 يحكي الصباح بعضه وبعضه يحكى الشفق
 كسفرة مضمومة قد جمعت بلا حلق
 وقال مؤلفه البدرى رحمه الله تعالى :

نوافج المسك حكي تيناً تراه في الفس
 أو فم ظبي سال منه الريق لما ان نعى
 ومن الغاز الصلاح الصفدى قوله :

أي شيء طاب أكله ناعم في الحلق لين
 كيف يخفى عنك يوماً وهو في التصحيف بين

ومن محاسن الشام (القابون) وهي حسنة الماء والهواء
 وهما قابونان فوقاني وتحتاني وبها ارض (مصطبة السلطان)
 وهي مصطبة في قدر فدان يصعد إليها في نيف وعشرين
 درجة من جهاتها الاربع وفيها قصر حسن البناء ينزل به

الملوك والسلاطين عند توجههم الى الاسفار

والى هذا القابون ينسب الخيار

قال اسحق بن سليمان : الخيار ابرد وأثقل واغلظ

من القثاء لانه في آخر الدرجة الثانية وبرودة القثاء في

وسطها ولذلك صار الخيار أشد تبريداً وتطفئة ومن قبل

ذلك صار فعله في توليد البلغم الغليظ والاضرار بعصب

المعدة ويفججها أكثر من فعل القثاء لانه أثقل وأبعد

انهضاماً وأكثر اوعاباً للمعدة ، فاذا عسر انهضامه ،

وبعدت استحالاته ، تولد عنه الخلط البارد الغليظ ، لان سائر

الفواكه اذا عسر انهضامها وبعدت استحالاتها تعفنت

وولدت خلطاً رديئاً مذموماً شبيهاً بكيفية الادوية

المسومة ، واسبقها الى ذلك وأخصها به الخيار لانه اعسر

انهضاماً بالطبع . والمختار منه ما كان جسمه صغيراً وحبه

رقيقاً غزيراً متكاثفاً . وأفضل ما يؤكل منه ليه فقط لانه

أسرع انهضاماً وأسهل انحداراً

وقال العافقي : يوافق الكبد والمعدة الملتهبتين . ولله

الطيف من لب القشاء وإذا أكل اليسير منه طيب النفس
وقال أمين الدولة بزر الخيار بارد في الثالثة نافع من
احتراق الصفراء ومن الورم الحار في الكبد والطحال ومن
أوجاع الرئة الحارة وقروحها
وقال ابن الجوزي: أبرد مزاجا من القشاء وهو رديء
للمعدة يهيج القيء ويحدث وجع الخاصرة وينبغي لآكله أن
يتبعه بالعسل

وقال الرازي: الخيار المخلل مبرد مطف جداً بمقدار
حموضته وعتقه إلا أنه طويل الوقوف في المعدة وينبغي أن
لا يؤكل مع الألوان الغليظة ويؤكل مع الاسفيد باجات
وان سقيت امرأة من قشر الخيار اليابس وزن أربعة
دراهم نفع من عسر الولادة . والله أعلم
وما أحسن قول عسى العالیه^(١) فيه :

خيارة أهديت الينا من كف من يجلب السرورا
كأنها اذ قطعتُ منها كافورة ألبست حبروا

القثاء بارد رطب ينفع الحميات المحرقة ويسكن الحرارة
والصفراء والعطش ويدبر البول ويحدث وجع الخواصر
ردىء الكيموس يهيج لمن داوم عليه الحميات
وقال الرازي في كتابه (دفع مضار الاغذية) : القثاء
اخف من الخيار واسرع نزولا وهو أيضا يبرد ويرطب
وليس يسخن البدن بل كثيرا ما يبرد اصحاب الامزجة
الحارة ولا يحتاج المحرورون الى اصلاحه الا ان يكثر
منه . وقد يصلح ما تولد منه في البطن من الثقل والنفخ
الجوارش الكمونى والسفرجلي ونحوهما . والقثاء والخيار
والقرع من طعام المحرورين ويضر البرودين وينبغى ان
لا يكثروا منه ويتلاحقوا ضرره بالشراب القوي
وفيه يقول ابن المعتز بالله :

انظر اليه انا يبا منضدة من الزبرجد خضراً ما لها ورق
اذا قلبت اسمه بانت محاسنه وصار مقلوبه انى بكم اثق
ومن لطائف السلامي قوله :

وقثاءة مثل هلال السماء ولكنها البست سندسنا

عراقية لم يذب جسمها هزلاً ولم تحس فيمن حسا
 زبرجدة حسنت منظراً وكافورة بردت ملمسا
 على رأسها زهرة غضة كنجم الظلام اذا عسسا
 جاء بها مغرس طيب من الارض اكرم به مغرسا
 لها اخوات لطاف القدود اذا مات برجن خضر الكسا
 محجبة عن شمس النهار بأردية كنسيم المسا
 تقوس في حين ميلادها ولم ار ذا صغر قوسا
 يطول اللسان باطرافها ويصبح من ذمها اخرسا

ومن محاسن ابن خطيب داريا قوله في الفقوس :

شبهت حين بدا الفقوس مبتهجاً

على الرياض وحب فيه ماسور

مخازن من لجين لف ظاهرها

بسندس حشوها حبات كافور

ومن محاسن الشام (بيت هيا والعناية) ومن الناس

من يقول (بيت الآلهة) وهو مكان مبارك يزار ويقال

ان حواء عليها السلام كانت مقيمة بهذا المكان . ونقل بعض

المؤرخين قال : كانت حواء عليها السلام في (بيت لھيا)
وآدم عليه السلام في (بيت أبيات) وھابيل في (سطرأ)
وقابيل في (قينية)

فائدة عن عبد الرحمن بن يحيى بن سماعيل بن عبد الله بن
أبي المهاجر قال كان خارج باب الساعات صخرة يوضع عليها
القربان فما تقبل منه جاءت نار فاحرقته ومالم يتقبل بقي على
حاله وكان ھابيل صاحب غنم وكان منزله في (سطرأ)
وكان قابيل صاحب زرع وكان منزله في (قينية) وكان
آدم في (بيت أبيات) وكانت حواء في (بيت لھيا) فجاء
ھابيل بكبش سمين من غنمه فجعله على الصخرة فاخذته النار
وجاء قابيل بقمح غلته فوضعه على الصخرة فبقي على حاله
فحسد قابيل وتبعه في هذا الجبل يريد قتله حتى صار من
أمره ما صار

قال بعض المؤرخين وھذه الصخرة هي الآن في
الجامع عند باب جيرون بالقرب من (حاصل الزيت) وهي

صخرة سوداء^(١) مقرورة انتهى

واما (العنابة) فهي محلة الآن تشتمل على دور وقصور
والسبب في سميها ان كاهنا في زمن الروم كان يتعبد في
صومعة بتلك الارض فحصل له علة اشرف منها على الهلاك
فنزل عنده تاجر من تجار الروم ومن جملة متجره خمسة
احمال عناب ، فخلها ونشرها ، وكانت دمشق ممحلة من
العناب وليس يوجد بها حبة عناب ، فصار هذا الكاهن
يتناول منه وقد طاب له . فلما أصبح جاء اليه الطبيب
فوجدته قد نصل من تلك العلة ووجد الكاهن في
نفسه نشاطا فقال له ما الذي استعملت البارحة قال الشيء
الفلاني ونسي ان يذكر له العناب فقال الطبيب واعلمك
استعملت عنابا قال نعم ومن اخبرك بذلك قال لعلمي ان
علتك هذه لا يبرئها سواه وهو معدوم واختشيت ان

(١) لاتزال هذه الصخرة موجودة في مسجد دمشق على

هذه الصفة الى اليوم ، والناس يذكرون انها صخرة القربان —

المطبعة السلفية

اعلق خاطر ك به . فزرع الكاهن الارض التي حول صومعته
جميعها عناباً وتقرب بها في كل من احتاج منها الى شي
ياخذه حتى يقال ان في الاسلام وجد من ذلك العناب فرد
شجرة وبني ماحولها فسميت تلك المحلة بها والله تعالى أعلم
العناب حار رطب في وسط الدرجة الاولى والحرارة
فيه اغلب من الرطوبة ويولد خاطا محموداً اذا اكل او شرب
ماؤه ويسكن حدة الدم وحرارته وهو نافع من السعال
ومن الربو ووجع الكليتين والمثانة ووجع الصدر . والمختار
منه ماء عظم حبه وان اكل قبل الطعام فهو اجود
وقال الاسرائيلي رطبه يتولد عنه دم بلغمي وهو افضل من
يابسه واذا كان نضيجاً لين الطبيعة ولا سيما اليابس منه واذا
كان غصناً عفصاً حبس الطبيعة وسكن هيجان الدم وشدته
وليس بمسكن للدم الغالب عليه الرطوبة
وقال الشريف : العناب اذا جفف ورقه وسحق ونثر
على الاكالة نفع من ذلك نفعاً لا يبلغه غيره من الدواء .
وشرابه بارد رطب يصالح مزاج الدم ويلطفه من احتراق

وينفع من احتراق الكبد وخشونة الصدر ووجعه والسعال
اليابس والحصبة والجدرى . وصفته يؤخذ مائة حبة يترك
عليها خمسة ارطال ماء يغلى حتى ينضج العناب ويصفي من
الماء ثلاثة أرطال ويضاف اليه ثلاثة اسنان سكر وبياض
بيضتين مضروبة بالماء ويرفع على النار ويحرك حتى ينحل
السكر فاذا صار له قوام حط . انتهى

وفيه ألفز الامير سيف الدين المشد :

وأحمر اللون قان يعزى اليه الخضاب
ما فيه عين وناب وفيه عين وناب

ومن معاني ديك الجن قوله بقافيتين :

كأنما العناب في دوحه لما تناهى حسنه وابتسم
اقراط ياقوت تبدت لنا أوأمل قد قرطت بالعم

ابن سهل الاشبيلي قبل اسلامه في العناب الاخضر :

هات اسقنى القهوة في سبتنا

فان يوم السبت يوم السرور

أما ترى العناب في دوحه كأنه رطب قلوب الطيور^(١)
ومن محاسن الشام ارض (سطرًا ومقرى) وهما من
الأراضى الطيبة الفيحاء . وفيها يقول جلال الدين ابن
خطيب داريا :

خليلي ان وافيتما الشام بكرة
وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا وأقرأ عني كتاباً كتبته
بدمعي لكم مقرى ولا تنسيا سطرًا
وفيها يقول ابن عنين :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلة
وظلاك يا (مقرى) عليّ ظليل
(دمشق) فلي شوق اليها مبرح
وان ليج واش أو الح عدول

(١) يشير الى البيت المشهور :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالي

بلاد بها الحصباء در وترها
عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق
وصح نسيم الروض وهو عليل

وتلطف شيخ الشيوخ بقوله :

قالوا اما في جلق نزهة تنسيك من أنت به مغرى
يا عاذلي دونك من لحظه سهما ومن عارضه سطرًا
وبينهما متنزه يسمى باليلكي : يجتمع فيه الناس ايام
زهر السفرجل ويسيبون الماء تحت اشجاره ويوقدون في
ظلمة الشهر قشور البيض ويطلقونها في الماء ويعلقون
قشور النارج موقدة في الاشجار ويضربون الخيام في
بستان الحاجب ويقطعون فيه أوقاتًا من المدة والانسراح
يعجز الوصف عنها

وفيهما يقول الشيخ علاء الدين بن المشرف المارديني :
انظر الى يلاك زهت ازهاره وزره فالزورة قد تعينت
اشرفت الارض بنور ربها وأخذت زخرفها وازينت

وأشدني بدر الدين محمد الازهري الناسخ المعروف
بفليفل فيه :

لله من يلك بديع حسنه قد ضم شملي بالذي اهواه
ما زال يفرش لي بساطاً أخضرا فرعى الاله رياضه وكلاه
وفيه يقول ابن قرناص :

ويلك قد بدت فيه معان تطيب بها الندامى والمدام
يسامر ك النسيم اذا تغنت حمامه ويسقيك الغمام
ومنه قوله فيه :

قد أتينا نبغى زيارة يلك قد حباننا بالجود والاكرام
ناولتنا ايدي الغصون ثمارا أخرجتها لنا من الاكمام
ومن حسان الشام أراضى المزارع وهي خضرة مع

الفلاة وكثرة المياه . ومن خصوصياتها الهليون

قال ابن البيطار في مفرداته الهليون ورقه كورق
الشبث ولا شوك له البتة وله بزر مدور اخضر ثم يسود
ويحمر وفي جوفه ثلاث حبات كأنها حب النيل صلبة ،
منه برى كثير الشوك وهو الذي يسمى بعجمية الاندلس

أسرعين

وقال جالينوس في السادسة وقوته قوة تجلو وليس لها
اسخان ولا تبريد ظاهر، ولذلك صار يفتح السدد من
الكبد والكليتين

قال [ديسقوريدس] : واذا سلق سلقه خفيفة
واكل لين البطن وادر البول . واذا طبخت اصوله
وشرب طبيخها نفع من به عسر البول [أويرقان] ومن به
عرق النساء ووجع الامعاء

[قال ابن ماسويه] : ويزيد في الباه ويفتح السدد
التي تعرض في الكبد والكلى ، وينفع من به وجع الظهر
العارض من الريح والبلغم وينفع من وجع القولنج

[قال الرازي] : وربما غثى ولا سيما اذا لم يسلق .
وليس يحتاج البرودون الى اصلاحه وأما المحرورون
فليأكلوه بعد ساقه وتصفيته بالخل والمرى

وقال ابن الجوزي في (لقط المناقم) : الهليون حار
رطب معتدل يولد المني ويحرك شهوة الجماع ويدر البول

وفيه الجملاء وكذلك يفتح السدد ويؤكل مطبوخا باناجم
وهو صالوفا بلزيت والمرى والتوابل وغذاؤه متوسط
ونقات من (عجائب المخلوقات) لابن الاثير قال :
الهليون قضبان برية ينبت بنفسه في المواضع الندية التي
تجمع فيها مياه الامطار ، وقد نقل الى البساتين فافلح .
وأجوده الغض البستاني المنعطف وهو حار رطب يفتح
سدد الاحشاء وينفع عرق النساء مطبوخا ويتفع من
القواتج البلغمي والريحي وينفع من عسر البول ومن عسر
الحبل وينفع لوجع الظهر ويزيد في الباه وبزره جيد لوجع
الضرس

وذكر القزويني قال : حكى لي صديق أربلي قال :
يجبال اربل هليون كثير ، وكان عامل الناحية يتخذ منه
شرابا في كل سنة يبعث به الى صاحب اربل فعمله سنة
وبعث به فوقت الاكراد الحرامية على القفل فنهبوه
ورأوا ذلك الشراب في البراني فحسبوه عسلا فأمعنوا في
أكله فغلب عليهم الاسهال حتى ضعفوا عن الحركة فر

المسافرون فرفعوا أمرهم لصاحب اربل فارسل اليهم
فقبضوا عليهم وأدخلوهم محمليات على الدواب ، والناس
يضحكون منهم ويقولون هؤلاء سكارى الهليون . فتبصر
في تأثيره ومنافعه . انتهى

وفيه يقول كشاجم :

وباقه هليون أنت وهي غضة

فشبهتها تشبيه ذي اللب والفضل

برشق نبال جمعت من زبرجد

مشنفة الاعلى مفضضة الاصل

ومن خصوصياتها الطرخون . قال ابن البيطار : في

مفرداته هو نبات طويل الورق دقيق الساق يعلو على

وجه الارض نحواً من شبر الى ذارع ونصف وهو من

بقول المائدة ينهض الشهوة ويطيب النكهة واذا شرب

الماء عليه طيبه

وقال صاحب (الفلاحة) : الطرخون صنفان بابلي

طويل الورق ورومي مدور الورق وهو من بقول الصيف

وطعمه حريف لذاع في وسط الدرجة الثانية بطيء في المعدة عسر الانهضام يجفف الرطوبات وينبغي أن لا يكثر منه البرودون وهو بطيء حدة الدم ويقطع شهوة الباه وعسر انهضامه لكثرة دهنيته فهذا صار بطيء الغذاء ويختار منه ما كان طريا غصبا قريبا من ابتداء النبات لان ذلك اقل لدهنيته ويؤكل معه الكرفس لانه يمنع ضرره ويجيد انحداره وانهضامه

وقال التميمي الطرخون يخدر الالهة واللسان بما في طبعه من الحرافة الكافورية اللطيفة وفي طعمه شيء من طعم العاقر قرحا وقد ينفع مضغه من يكره شرب الادوية المطبوخة فلا يلبث في معدته ويدخل ماؤه مع ماء الرازيانج الاخضر في الشراب الهندي المسمى شراب الكدر النافع من فساد الهواء المانع لكون الجذري والحصبية وهو من أنفس اشربة الملوك الهندية وملوك خراسان ، وهذا من خاصة ماء الطرخون ويمنع من حدوث الوباء فانهم ذلك وقال ابن الاثير : الطرخون متى جعل في اصوله

الملح جوّده وألّفحه

وعافر قرحاهي أصل الطرخون الجبلي ، وهو حار
يابس وفيه قوة مخدرة مجفف الرطوبات اذا مضع نفع من
القلاع ويطيب البوارد اذا ألقى فيها ويقوي المعدة غير أنه
يعطش ويحدث وجع الحلق

ومن خصوصياتها الكرنب ، وليس يوجد بالبلاد
المصرية ، وهو صنغان النبطي وهو المشهور وخوزي وهو
غليظ الورق جداً شديد الخشونة . والكرنب النبطي
الاندلسي وهو شبيه بالسلق صغير القلوب وأشد رطوبة
من القنبيط

وقال جالينوس : الكرنب في السابعة ، وقوته قوة
تجفيف اذا أكل واذا وضع من خارج ، ولكنه ليس
بظاهر الحدة والحرافة بل قوته قوة تبلغ به الى ادمال
الجراحات واشفاء القروح الخبيثة والاورام التي قد
صلبت وصارت في حد ما يعسر انحلاله . وبذر الكرنب
يقتل [الدود] اذا شرب وقضبان الكرنب اذا احترقت

يصير منها رماد يجفف تجفيفاً شديداً حتى أن قوته تكون
قوة محرقة ، ومن أجل ذلك صاروا يخلطون معه شعماً
عتيقاً ويستعملونه في مداواة وجع الجنبين إذا عتق وفي
سائر العلل الشبيهة بهذا النوع من الوجع لأنه يحلل تحليلاً
قويًا

وقال ديستوريدوس : في الثانية ان سلق سلقة خفيفة
وانحل سهل البطن وان سلق سلقاً جيداً أو سلق مرتين
بماء بعد ماء امسك البطن ولقد زرع بمصر فما اكل لمرارته
ولا نبت بعد جهد . واذا أكل الكرنب نفع من ضعف
البصر والارتعاش ، واذا اكله المخمور سكن خماره .
وعصارة الكرنب اذا خلط بالشراب وشرب نفع من لسعة
الافعى واذا خلط بدقيق الحلبة والخل وتضمده نفع من
النقرس ووجع القروح الوسخة العميقة واذا احتملته المرأة
مع دقيق الشيلم ادر الطمث . وورق الكرنب اذا دق
ناعماً وتضمده وحده أو مع سويق نفع من كل ورم من
أورام البدن ومن الاورام البلغمية ومن الحمرة ويبريء

الشرى والجرب المتقرح . واذا خلط بالملح قلع النار الفارسية
ويمسك الشعر المتساقط . واذا أكل الورق نبتاً مع الخل نفع
المطحولين واذا مضغ ومض ماؤه اصلح الصوت المتقطع
وزهره اذا عمل منه فرزجة واحتملته المرأة بعد الحمل
قتل ما في بطنها

وقال ارجنجانس : الكرنب ينفع السعال القديم
والنقرس اذا صب طبيخه على المفاصل وان أطمع الصبيان
نشأوا نشوؤاً سريعاً وعصيره ان شرب بالتبديد أياما ذهب
بوجع الطحال . ورماده يبرئ حرق النار ويبرئ عصيره
الحكة والجرب وان خلط بالزاج والخل وطلبي به على الجرب
والبرص نفع وأكله يجلب النوم ويصفي الصوت وينفع
من عضة الكلب

وقال الرازي : مرق الكرنب ينفع من السعال ومن
وجع الظهر العتيق ووجع الركبة
وقال مسناوس : أكل الكرنب يحسن اللون وان
سلق مرتين ثم طيب بكمون وزيت وملح وقلقل وغلي

عليه نفع اصحاب العقر في الامعاء . والماء الذي يغسل
الكرنب به او يطبخ فيه ينقى البدن ويخفف الصداع وينقى
العينين اللتين يجد فيهما صاحبها ظامة من رطوبة أو بخار
غليظ ، وينفع الاحشاء ولا سيما الطحال الغليظة ، والذين
غلبت عليهم السوداء الا انه ينقى العروق

وقال ابن ماسويه الكرنب مولد للمرّة السوداء والدم
العكر وان طبخ باللحم السمين قلت غائلته . وفي الكرنب
الشامي صنف آخر سمي الموصلى وله ورق اخضر جعل مثل
ورق البكرنب الاندلسي غير انه منبسط على وجه الارض
وينبت بمقامات العجوز . وبدمشق كرنب آخر بوي ثمره
مدور ابيض اللون على هيئة الفلفل الابيض وهو ينفع من
نهش الافاعي ، وعروقه اذا جففت وسحقت وسقي منها
وزن درهمين بشراب ينفع من نهش الافاعي

وأما القنبيط الذي يدعى عند المصريين بالكرنب
فهو اغلاظ واقوى وابطأ في المعدة من الكرنب ، وورقه
الناشئ حو اليه أقل ضرراً وأصلح من جمارته الصفراء الناشئة

في وسطه المائة الغالبة عليه . واجتنابه كاه احمد لتوليد
 الدم العكر ، والاكثر منه يضاعف البصر ، وهو مطبق
 للبطان ، كثير البخار يورث احلاماً رديئة وسدداً ومرة
 سوداء ، واصلاح ما يؤكل مطبوخاً باللحم السمين ، وبيضه
 الاصفر الذي يسمى جمارة يهيج القراقر والنفخ ويزيد
 في المنى

وقال الطبري القنبيط بارد يابس غليظ عسر الانهضام
 ردىء الغذاء واذا طبخ بيضه الذي هو ثمره وصب ماؤه
 ثم اكل بالخل والزيت والمرى زاد في المنى
 وقال الرازي : لمائه خاصية في منع السكر ، وخاصية
 بزر القنبيط افساد المنى اذا احتملته المرأة بعد الطهر من
 الطمث

وقال الاسرائيلي واذا شربه الخمر حلال خماره .
 واذا شرب قبل الشراب منع السكر . انتهى والله اعلم
 وفيه يقول مؤلفه :

بغضي في قنبيط قد حكى والفكر صارم .

لرءوس من يهود قطعت تحت العمام
ومن خصوصياتها الباذنجان الأحمر الرفيع والابيض
القليل البزر الرقيق القشر

قال ابن البيطار : اسمه فارسي معرب ويسمى بالعربية

الأرنب

قال الرازي : جيد للمعدة التي تقىء الطعام وردىء
للرأس والعين يولد ماء اسود يسير المقدار ويتولد عنه كثير
القوابي والبواسير والرمم والامراض السوداء ويفتح
سدد الكبد والطحال واذا سلق ثم قلي بدهن اللوز ذهب
عنه أكثر حدة وحرافته ، والمشوى منه أصلح للمعدة
التي تقىء الطعام ، والمطبوخ بالخل أو فوق المحرورين واصحاب
الأكباد الحارة والاطحلة الغليظة

وقال ابن ماسويه : والاحمد في اتخاذ ان يقشر ويشق
ويحشى ملاحاً ويترك وقتاً طويلاً في الماء البارد ثم يصب
ذلك الماء عنه ويعاد عليه ماء آخر ثم يسلق ويطبخ بالحملان
والجدايا والدجاج وان اكل مقلوأ بسيرج وخل ومري يتمص

بعد اكله ماء الرمان . وكثرة اكله تولد السرطانات
والصلامات والجذام والسهر وتكثر البلغم والبواسير الا ان
اقامه اذا جففت في الظل وسحقت نقعت البواسير بعد ان
تطلى بدهن مسخن

وقال بعضهم في وصف الباذنجان يشبه انوف الزنج
واذئاب المحاجم ويطون العقارب وبزر الزقوم . فقيل له
انه يحشى باللحم المقلى بالزعفران فقال لو حشي بالتقوى ما
افلح ابدا

وقال الشاعر :

واذا صنعت غذاءنا فاصنعه غير مبنديجي
اياك هامة اسود عريان اصلاع كوسجبي

وقال مؤلفه البدرى فيه وهو مقلي :

بذنبجة شبهتها لما قلاها واخترم
بسقط زنج راقد وزند من بعض الخدم
وقال فيه أيضاً :

بذنبكم كزنج كواسج في التثام

خضر الطرا طيرها مواء بالرقص تحت الخيام
ومن خصائصها الكراث . قال الغافقي الشامي صنفان
منه صنف أعناقه طويلة ورءوسه صغار، وصنف منه اعناقه
قصيرة ورءوسه مدورة كبار اطيب طعاماً من الاول هو
المسمى بالقفلوط وهو مما يؤكل أصله دون فروعه . وهو
في الثانية نافخ رديء الكيموس تعرض منه احلام رديئة
ويدر البول ويلين البطن ويلطف ويحدث غشاوة في العين
ويدر الطمث ويضر بالثانة المتقرحة والكلى واذا طبخ بماء
الشعير اخرج الفضول التي في الصدر وورقه اذا طبخ بماء
البحر والخل وجلس النساء فيه نفعهم من انضمام فم الرحم
والصلابة العارضة له وقد يسلق سلقين بماء بعد ماء ثم
ينقع بماء بارد حتى يحلو طعمه ويقل نفخه

وقال الرازي : يهيج الباه والانعاظ ، وهو أسكن
وأقل في الحدة والاعطاش من البصل ، وأغلظ جرماً
وأبطأ نزولاً وانهاضاً

وقال ابن ماسويه ^(١) ينفع من القوانج ، واذا أكل الكرات أو طبخ نفع من البواسير الباردة وورق الكرات الشامي من خاصيته النفع للرحم التي فيها رطوبة تزلق الولد وكرات المائدة المسمى عند أهل العراق بالقرط وفي الشام بالقبل وفي الحجاز بالكرات

وقال ابن اسحق ^(٢) : هو الكرات النبطي ويخرج من تحت الأرض أوراقا ثلاثا دون اعناق في لون ورق الكرات الاندلسي وشكله الا أنه دقيق جداً وما تحت الارض من أصله قدر عقدين أو ثلاث ، أبيض مستطيل غير مستدير

[ديسقوريدوس : والكرات النبطي هو اشد حراقة من الكرات الشامي] ، وفيه شيء من قبض ، ولذلك ماؤه اذا خلط بالخل ودقاق الكندر قطع الدم

(١) في (مفردات ابن البيطار) : « ابن ماسه »

(٢) في (مفردات ابن البيطار) : « ابن سمجون قال علي ابن

وخاصة الرعاف ، ويحرك شهوة الجماع ، وإذا خلط بالعسل
ولعق كان صالحا لكل وجع يعرض في الصدر وقرحة
الرئة ، وإذا أكل نقي قصبية الرئة ، وإذا أدمن أكله أظلم
البصر ، وهو رديء للمعدة ، وإذا تضمد به مع السماق
قطع الثآليل ويبري الشرى ، وإذا تضمد به مع الملح قلع
خبث الفروح وإذا شرب من نوره وزن درهمين مع مثله
من حب الاس قطع نفث الدم من الصدر

وقال ابن ماسويه : حار في الدرجة الثالثة يابس في
الدرجة الثانية ، مصدع ، يولد بخاراً رديئاً ويرى أحلاما
مرعبة ، ينفع من السدد العارضة في الكبد المتولدة من
البليغم وإن سلق وطحن وأكل وضمد به البواسير العارضة
من الرطوبة نفع منها

وقال الرازي : مفتق لشهوة الطعام منعظ معين على
الاستكثار من الباه ، ولا يصلح لأصحاب الامزجة
الحارة ومن يسرع اليه الرمذ والامتلاء الى راسه

وقال اليهودي : خاصيته افساد الاسنان والثة

قال مونس ^(١) اذا ضمّد به على موضع لسعة الافرعى
نفع منها

[ماسرجويه] وبزره اذا دهنت به المقعدة اذهب
البواسير وأكله يخرب الاضراس وينثرها غير انه اذا
وجد في الامعاء بلغها أساله ، واذا شرب من بزره ملعقة
أحداث انتشارا صحيحا . انتهى

وأما الجزر قال ابن الجوزي : حار رطب ، يحرك
الباه ، ويدر البول ، يطيب الهضم دفع مضرته انضاجه وفيه
نفخ . اصلاحه بالخل والمرى والخردل
ومن تشبيهه ابن المعتز قوله :

أنظر الى الجزر الذي يحكي لنا لهب الحريق
كمدية من سندس وبها انصاب من عقيق
وبها الزعتر . قال ابن الاثير : الزعتر نوعان بستاني
وبرى . وهو حار يابس محلل ملطف ، يسكن وجمع
الضرس اذا مضغ ، وينفع من أوجاع الوركين ، وينفع

(١) في [مفردات ابن البيطار] : « اسحاق بن عمران »

الكبد والمعدة ، ويخرج الديدان ، ويدر البول ، ويعري
ويشهي الطعام ، ويحلل الرياح ، وقدر ما يوجد منه مثقال
وا كاه ينفع من غشاوة البصر الحادث من رطوبة ، ودهنه
ينفع الصدر والرئة ، وينفع من لسع الحيات لاسيما الندي
منه . وذكروا أن القنفذ وابن عرس اذا تناهشا الافاعي
والحيات تعالجا باكل الزعر البري . والله اعلم

وفيه يقول ابن وكيع :

زعر بل ادق من أرجل النمل وازكى من نفحة الزعفران .
كسطور كسين نقطا وشكلا من يدي كاتب لطيف المعاني
وبها الفعجل حار يابس محرك الباه رديء الكيموس
يهضم ولا ينهضم لانه يهضم بجوهره اللطيف فاذا انحل
ذلك الجوهر بقي جوهره الكثيف الذي فيه عاصيا على
القوى الهاضمة لزجا سريعا الى التعفن رديئا للمعدة يدر
البول ويجلو المثانة فاذا أكل على الريق ازال البلغم وقوى
المعدة لكنه يضر الرأس والاسنان والعين ، لكن ماءه
يجلو العين واذا طلى بمائه البهق زال ومن طبخ الفعجل

باللبن الحليب وشربه تنظفت مثانته من الرمل والحصى .
 والمطبوخ من الفجل يصلح للسعال المزمن العتيق
 والكيموس المتولد في الصدر ، واذا اكل الفجل قبل
 الطعام لين البطن وانفذ الغذاء ، واذا اكل بعده صار
 الطعام صافيا ولا يدعه يستقر . وماء ورقه يفتح سدد
 الكبد ويزيل اليرقان وينفع من نهش الافاعي . وان
 وضعت شذخة منه على العقرب ماتت ، وماؤه اقوى من
 ذلك ، واين لذغت العقرب من اكل فجلا لم تضره . ونور
 الفجل يحلل الرياح وينفع من النمش الكائن في الاعضاء
 وآثار الضرب والكلف . ومن اكل بزر الفجل مع العسل
 ذهب بعض فؤاده . انتهى

وبها السذاب . حار يابس ينفع وجع الصدر ويقاوم
 السموم ويشرب من يحذر السم من بزره وزن درهم مع
 ورقة شراب يجفف ويقطعه ومن اغلى السذاب في سيرج
 وطللى به جسده لم يكن في ثيابه قملة ومن آلمه ضرسه فأخذ
 ورق السذاب مع زبينة سوداء فمضعه سكن

وبها النعناع حار يابس وفيه رطوبة تحرك به شهوة
الجماع ويقوي المعدة ويسخنها ويجود الهضم ويسكن
الفواق الحادث عن امتلاء وينفع اليرقان وخصوصاً بشرابه
وإذا تركت منه طاقات في اللبن لم يتجبن

وبها الرشاد حار يابس ملطف يقتل الدود ويحلل
الرياح ويقطع البلغم والرطوبة إلا أنه يضر المعدة والمثانة
وبها البقلة الحقاء باردة رطبة تنفع الضرس والصداع
الحار تضر الني وتقطع شهوة الجماع ، دفع ضررها بالجر جير
تصاح اللامزاج الحارة والشباب في الصيف ، وإذا شرب
بذر البقلة مع السكر نفع السعال الحار ، والاقباط تسميها
رجلة

وفيها يقول السراج الوراق :

وأحقُّ أضافنا ببقلة

لنسبة بينهما ووصله

فمن أقلُّ أدباً من سفلة

قد مد ما بين الضيوف رجله

وبها الاسفاناخ حار معتدل رطب وقيل بارد ينفع
 من السعال وخشونة الحلق والصدر ويقمع الصفراء والمرار
 مضرة أنه يسيء الهضم دفعها بمعجون الورد
 وبها الكرفس حار يابس يحلل الرياح ويسكن
 الاوجاع وينفع من عسر البول ويخرج المشيمة ويهيج
 الباه وينفع المعدة وبردها والسعال والطحال وينقي الكلى
 والمثانة ويفتت ويصدع الدماغ الا أن يضاف اليه الخس
 يصلح للامزاج الباردة والكحول في الشتاء وأكله في
 الشتاء يذهب البلغم

وبها السلق الاحمر والابيض حار رطب وقيل بارد
 ملين للطبيعة وبه تلطيف يفتح به سد الكبد والطحال
 ينبغي لمن يأكله أن يطيبه بالخل والخردل وأصل السلق
 مولد البلغم لا يوافق المعدة وماؤه يذهب الحرارة من
 الرأس ويقلع الثآليل . مضرة يحرق الدم . دفعها . . . والمرى
 ينفع من الكلف اذا استعمل ورقه ضمادا بعد غسل الموضع
 بنظرون ومن طلا رأسه بالسلق زالت الصيبان منه واسودّ

شعره وتجمد وطال

بها الهندباء باردة رطبة وقيل يابسة جيدها الرطب يقوي المعدة ويفتح سدد الكبد والطحال والاحشاء والعروق ويقطع حرارة الدم ويبرد الكبد الحارة وانفعها للكبد أمرتها ومأؤها المعتصر ينفع اليرقان الذي من السدد مضرتها تبطيء بالهضم ، دفع مضرتها بالرشاد ، تصالح للامزجة الحارة والشباب في الصيف

وبها البصل . حار يابس وقيل رطب ينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد في النى ويحسن اللون ويقطع البلغم وينظف المعدة إلا أنه يثير الشقيقة ويصدع الرأس ويولد رياحا ويظلم البصر ، وكثرة أكل البصل تورث النسيان وتفسد العقل ، دفع مضرته الخلل واللبن ، يصالح الامزاج الباردة ، واذا دق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغايظ والقوابي والبهق الاسود قلع ذلك ، واذا دق ناعماً وطلي به موضع الشعر نفع داء الثعلب ، وان أحرق كان أنفع ، وينفع من نهش الحيات

والكأب الكأب

وبها الثوم حار يابس سخن مجفف جيده القليل
الحدّة ، ويقوي المعدة ، ويسخن المعدة مع البدن ، ويقطع
البلغم ويحل النفخ ، ويعفي الخلق ، ويحفظ صحة البدن
وينفع من تغيرت عليه المياه ، والسعال المزمن ، وأوجاع
الصدر من البرد ، ويخرج العلق من الخلق ، وينفع من
السموم ويفتح السدد ، إلا أنه يهيج الصفراء ويضر الدماغ
ويصدع ويضعف البصر والباه ، ولا يصلح بأن يأكله
معتقل ولا مصدع وخالطه غليظ ، والنبيء منه يقتل الدود ،
والمطبوخ ينظف المثانة . ومن أخذ شيئاً مطبوخاً منه
أو مقلواً بسيرج وتحمل به ازال الحكاك عنه ونفعه من
عرق النساء ، ومن أكل الثوم ولدغته العقرب لم تضره .
وان طلي مكان اللدغة بالثوم خرج السم من اللسع ، واذا
مضغ على سن سكن ألمه ، ومطبوخه ومشويه يسكن
وجع الاسنان ، ورماد الثوم اذا طلي بالعسل على البهق
والتقوي نفع ، ومن أراد أن يذهب ريح الثوم من فيه

قلية ضغ دقيق الباقلاء

وبها الكسفرة^(١) اليابسة حارة مع قبض وقيل باردة^(٢) تقوي المعدة المحرورة لكنها تولد ظامة البصر، ولا ينبغي الاستكثار منها لأنها تحرق الدم وتعفنه وتقطع الشهوة وتفسد الدهن والرطوبة وربما قتلت

وبها الكراويا حارة يابسة تحلل الرياح وتقتل الدود العارض في الأمعاء وتسمن وتنفع الخفقان والمغص وترخي الرئة، دفع ضررها بالشعير. انتهى

وبها الكمون كالكرأويا وأقوى في تحليل الريح، حار في الثانية يابس في الثالثة إذا غسل الوجه بمائه صفاه فان

(١) وردت في كتب النبات والعقاقير بلفظ كسفرة وكسبرة وكزبرة

(٢) هذا قول (ديسقوريدوس) وقد تكلم على ذلك ابن البيطار في لفظ «كزبرة» من مفرداته بمقالة تدل على فضل وعلم

استكثر منه صفر اللون واذا سخن بالخل وشم قطع
الرعاف

وبها القرع . قال جالينوس في السابعة مزاجه بارد
رطب ، وهو منبها في الدرجة الثالثة ، ولذلك صار عصير
جرادته نافعا من وجع الاذن الحادث عن ورم حار متى
استعمله الانسان مع دهن ورد ، وكذلك جملة جرم القرع
وما دام نيئا فطعمه كريه ومضرته للسعدة عظيمة . وقد
رأيت انسانا أقدم على أكله نيئا فاحس في معدته بثقل
وبرد وأصابه عليه غثيان وقيء . فاذا سلق فانه يندو غذاء
رطبا وانحداره عن المعدة سريع لرطوبته ولما فيه من
الملاسة والتزليق ، واذا انهضم فليس خلطه برديء متى لم
يسبق اليه الفساد قبل انهضامه والفساد يعرض له من قبل
ابطائه في المعدة وعدم انحداره ، ومهما اكل معه انقلاب
خلطه وتشبه به

وقال ديسقوريدوس : يسكن الاورام البلغمية ،
واذا طبخ كما هو وعصر وشرب مأؤه بعسل وشيء يسير

من نظرون اسهل البطن اسهالا خفيفا

وقال الرازي : بارد مولد للبلغم وهو طعام المحرورين
 يطني ويبرد ويسكن الالهب والعطش وينفع من الحميات ،
 واذا طبخ بالخل نقص من غلظه ويطو هضمه وكان اشد
 تطفية للصفراء والدم ، الا أنه في هذه الحالة لا يصلح
 لاصحاب خشونة الصدر والسعال وأما من به سعال وحى
 فليطبخه مع كشك الشعير ومع الماش المنقشر ودهن اللوز
 اخلو وليجتنبه المبرودون والبلغمون لانه يولد فيهم القوانج
 الغليظة ، وان اكلوه قليلاً كاره مطبوخا بالزيت مطيبا
 بالفلفل ويشربوا عليه الشراب الصريف ، فاذا وضع مع اللبن
 يصلح منه الخردل ، واذا وقع في الخلل فانه يصلح غلظه
 لكن لا يصلح برودته

وقال اسحق بن سليمان : اذا اطبخ بالمعجين وشوي
 في الفرن أو التتمور واستخرج ماؤه وشرب ببعض
 الاشربة اللطيفة سكن حرارة الحى الملتبهة وقطع العطش
 وقال حبيش [بن الحسن] : اذا شرب من مائه

المستخرج بالشيء فيكون مع عشرين درهماً من الجلاب
 اوزن عشرة دراهم من السكر الابيض : ومقدار ما يشرب
 منه أربعة آواق الى نصف رطل والحمية تسقط الشهوة
 ودهنه في نحو دهن البنفسج جيد للحرق والسهير

وقال اسحق بن عمران : ماءؤه يسكن الصداع اذا
 شرب أو غسل به الرأس ، وقد ينوم من يبس دماغه اذا
 قطر منه في الانف وهو يلين البطن كيف استعمل ولم
 يداؤ المبرسمون والمحرورون بمثله ولا أعجل نفعاً منه

وقال الشريف : ماءؤه المشوي بالعجين اذا اكتحل به
 يذهب صفرة العين الكائنة من اليرقان ، واذا اكتحل بماء
 زهره اذهب الرممد الحار ، وقشر القرع اليابس اذا أحرق
 وذر على الدم لتنبعث قطعه ، واذا أحرق وسحق وعجن
 بمخل وطلى به البرص نفع منه ، واذا قشر حبه ودق
 واستخرج دهنه انتفع به من وجع الاذان ووجع الامعاء
 الحارة ومرة الفروج المطبوخة بالقرع منعشة المغشي
 عليهم من حدة الاخلاط الصفراوية في الحيات وحراقة

قشره اليابس تنفع من قروح الأعضاء اليابسة وهي جيدة
لتطهير الصبيان ومن قروح الذكر وتجففها .

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله
عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا طبختم قدرًا فاكثروا
فيها من الدباء فإنه يشد قلب الحزين » انتهى

وانشدني شيخنا العلامة شهاب الدين المنصور :

يا عين أعيان الزمان ويا شيخ الشيوخ ومحيي الشرع
ما قرع الباب عليك امرء إلا وذاق حلاوة القرع
وبها الكحأة وهي من خواصها . قال ابن البيطار في
الثانية وهو أصل مستدير لا ورق له ولا ساق ، لونه الى
الحمرة يؤخذ في الربيع ويؤكل نيئًا ومطبوخًا

وقال جالينوس : في الثامنة فوام جرم الكحأة من
جوهر أرضي وهي غليظة الكيموس قليلا إلا أنه ليس
برديء تورث عسر البول والقولنج واجودها ما كان من
موضع فيه رمل قليل والكحأة الحمراء قاتلة واجود الكحأة
الشديدة التلرز والاملاس والميل الى البياض وأما المتخاقل

الرخوفردية جدا في المعدة الحارة يولد الاوجاع في أسفل
الظهر والصدر ويولد السدد ، وماؤها يجلي البصر وادمان
اكابايورث السكتة والفالج وهي بطيئة الانهضام وينبغي
لا آكلها ان يقشرها وينقيها تنقية كبيرة ايصل اليها الماء
ويخرج غاظها وربما تدفن في الطين الحار يوما وليلة ثم تغسل
ثم تسلقها بالماء والملح والفودنج والسذاب سلقا بليغا ثم
تؤكل كل بالزيت الركابي والمري والسعتر والفلفل . واليايسة
من الحكمة ابطأ في المعدة وأكثر ضرراً وينبغي ان يشرب
عليها التبيد المعسل الصرف ويؤخذ الترياق والزنجبيل

وقال ابن الجوزي : الحكمة نبات يتولد من عفونة
الارض الكثيرة الامطار يولد البلغم الشديد والاسود
اشد غلظا يولد السوداء ويفسد النكهة وهي من الاغذية
الردئية لكن ماءها يجلو العين لقول النبي ^{صلى الله عليه وسلم} « الحكمة
من المن وماؤها شفاء للعين » اخرجاه في الصحيحين .
انتهى

وقال الغافقي في مفردات ابن البيطار : ان من آكلها

واسعه شيء من الهوام ذوات السموم مات ولم يخلصه
الدواء البتة . انتهى

وبها اللوبياء . قال ابن الجوزي : منه أبيض ومزاجه
بارد يابس ، ومنه أحمر وفيه حرارة ونفخ ، جيده الأحمر
يدر البول ويولد خلطاً ويغشى ويولد احلاماً رديئة رفعها
بالزيت والمرى والخردل ومنه غليظ وقليل صاف ينفع
الامزاج الباردة اليابسة يصلح للكحول نفخه اقل من
انباقلاء

وبها الارز . حار قليل بارد منفعته من لذغ المعدة
مضرته القولنج لانه يجبس البطن دفعها أن يطبخ بالدهن
واللبن . واذا طبخ الارز بعد أن يفسل بدهن اللوز أو
السيرج أو السمن أو الالية لم يجبس البطن بل يسكن الوجع
العارض في المعدة والامعاء وغداؤه محمود معتدل يصلح
للأمراض الحارة الرطبة ، واذا طبخ باللبن الحليب ولد
السوداء لتوليده خلطاً غليظاً لكنه ينفع الباه
الباقلاء . بارد رطب وقليل يابس ، أجوده الابيض

السمين واردة الطري ، يحدث الحكمة ويولد البلغم ودفع
مضرته بالسعتر والملح ويؤكل بعده الزنجبيل ، والباقلاء
تنفع من السعال . مضرته يبطل الحواس دفعها باطالة نقعه
واجادة نضجه وأكله بالقلقل والملح والسعتر مع الادهان
لما فيه من النفخ والترهل والنوم والكسل والسدد يولد
الاخلاق الغليظة ويرى أحلاما رديئة واذا طبخ بقشره
كان أردأ وأكثر توليداً للرياح والباقلاء وتجلو البهق من
الوجه

وفيهما يقول القاضي جمال الدين ابو الحسن علي بن
منصور الخزرجي صاحب (غرائب التشبيهات على عجائب
التشبيهات) وقد صلق قدامه الباقلاء :

وقدر بها تصلق الباقلا قبيل الصباح لمن قد خمر
أتينا بها وسط زبدية فكان كأحسن شيء حضر
فصوص من العاج مطبوقه لها غلاف من أديم البشر
ومن مجون ابن المطار الدينسري قوله :

شاقني حارس قول زهره حاكي عيونك

وابتغى التعريض قلنا لعن الله قرونك

ومن بديع ابن وكيع قوله :

ان للباقلاء نوراً ظريفاً

جلّ في الحسن عن بديع مثال

قد حكى ضحوة لنا اذ تبدى

سرر الروم ضمخت بفعال

ومن بديع المذكور ومقاصده قوله فيه :

فصل الربيع بدا لنا بنسيمه يدعو فتسرع نحوه الخالق

زهر الباقلاء به فكأنه^(١) بين الرياض حمام بلق

ومن تشابيهه الفائقة قوله :

كأن ورد الباقلاء اذ بدا

لناظريه اعين فيها حور

كمثل الحاظ اليعافير اذا

روّعها من قانص فرط الحذر

كانها مداهن من فضة

اوساطها فيها من المسك اثر

كأنه سوائف من خرّ
قد نبتت سوداً لها بيض الطرد

ومن لطائفه قوله فيه :

لى نحوَ ورد الباقلا لحظ سياني بالدمج
كأنما يياضه ينوح في ذاك الباج
خواتم من فضة بها فصوص من سبيج
وله رحمه الله تعالى :

كلفت بنور باقلا سبتني

كأنه فسري فيه فاش

إذا نزل الفراش عليه يوماً

حسبت النور افراخ الفراش

وبها الذرة . باردة يابسة مجففة

وبها الدخن يابس يعقل

وبها الماش بارد رطب جيده الاخضر الكبار يسهل

الاخلاط المؤذية ويلين الصدر وينفع من السعال مع الحمى

ويضعف الاسنان ويولد الرياح بطيء الانهضام وهو

غذاء جيد له محمول اذا طبخ بدهن اللوز
 وبها القرطم . حار رطب يسهل البلغم ويحلل الاورام
 الصلبة وينقي الصدر والصوت ويزيد في الباه ، لكنه
 رديء للمعدة ، مقدار الشربة منه خمسة دراهم
 وبها العدس . بارد يابس ، جيده الابيض الناضج ،
 يسكن حدة الدم ، ويقوي المعدة ، مضرته بالماليخوليا
 والاعصاب والبصر دمه غليظ وهو عسر الانهضام ، يصلح
 الامزاج الدموية والشباب في الصيف ويكره لاصحاب
 السوداء ، لانه يتولد منه خلط سوداوي فيحدث فيهم
 الوسواس والجذام وحمى الربيع ويضر بالعين التي مزاجها
 يابس وينفع العين التي مزاجها رطب ، ومما يدفع ضرره
 الاسفاناخ والسلق مع كثير من الادهان . وينبغي أن يلقى
 على رطل من العدس سبعة أرطال من الماء حتى ينضج جيدا
 ولا ينبغي أن يخلط به حلو فانه يولد سهدا في
 الكبد ، ومن أكثر من أكله اظلم بصره لشدة تجفيفه
 ويقلل البول والطمث فلا يقربه من يقطر في بوله

وبها السمسم . حار رطب دسم مغثٍ معطش مسقط
 للشهوة مرخ للحشاعسر الانهضام ، الا أنه يسمن ويحلل
 الاورام الحارة وهو جيد لضيق النفس والربو . رديء
 للمعدة . دفع مضرته أن يؤكل بالعسل . ودهن السمسم
 هو السيرج محلل الاورام البلغمية والقولنج وينفع السعال
 وخشونة الحلق الا أنه رديء لغم المعدة

وبها بزر قطونا . بارد رطب يجلو وينسل وينقي ويطنفي
 العطش اذا قلى فان ضرب في الماء حتى يرخي لعابه وشرب
 اطلق الطبيعة

وبها الترمس . حار يابس . نفعه يقتل الدود وينفخ سدد
 الطحال عسر الانهضام يولد خلطاً بارداً دفعها أن يؤكل
 بالخل يصلح للامزاج البلغمية والشيوخ في الشتاء
 وفيه يقول مهبيار :

وترمس طاف به	مهفهف كالقمر
من اسودوا صفر	واحمر وأخضر
نخلته لما أتى	به قصوص جوهر

وبها الحمص. حار رطب وقيل يابس والاسود أقوى
 جيده الكبار ويجلو ويزيد في المني جداً ويفتت الحصى
 ويحسن اللون طلاء وأكلا ويصفي الصوت ويفتح السدد
 من الكبد والطحال، وينبغي أن يؤكل في الطعام. وطبيخ
 الاسود بدهن اللوز ويفتت الحصى في المثانة والكلى.
 وهو رديء لقروح المثانة ورطبه أكثر توليداً للفضول من
 يابسه. وماؤه يحذر الدود وينقى المثانة والامعاء الدقيقة
 وينفع من وجع الظهر ويخرج الجنين ويدر الطمث. دفع
 مضرته بالخشخاش والكمون والاسود أنفع. واذا نفع في
 الخلل على الريق وصبر عليه نصف يوم قتل الدود. انتهى
 وفيه يقول الشهابي ابن الاطرش ويعرض بذكر
 الامير طشتمر حمص أخضر لما عاد من النفي :
 لما رجعتَ الينا من شقة البعد والبين
 خلناك تحنو علينا يا حمص اخضر بقلبين
 وبها الحلبة. حارة يابسة ملينة للطبيعة اذا اكلت
 مطبوخة بعد الطعام. ومتى طبخت مع التين اليابس طبخا

جيداً ثم صفيت والتي ماؤها في العسل وطبخ ثانية حتى
يصير كالعرق نفع أصحاب السعال العتيق ونقى الصدر
والرئة من الخلط الغليظ اللزج

وبها الخس قال ابن الجوزي : بارد رطب ينفع السهر
ويولد ماء كثيراً ويجلب النوم وينفع من الهذيان واحراق
الشمس للرأس ويقطع سيلان المنى . وهو أفضل البقول
وأقلها رداءة وأكثرها غذاء سريع الهضم ينفع الامزاج
الحادة والاورام الحارة واليرقان وينفع من اختلاف المياه
وهو يسكن شهوة الجماع وينفع من كثرة الاحتلام وبزره
أشد في ذلك الآن ضرره يجفف المنى ويضر الباه والبصر
ويحدث ظامة ، دفع مضرته بالسكر فس . والله أعلم

وفيه يقول مؤلفه البدرى على لسان بعض الظرفاء :

صحبت في الزيه^(١) يوماً خلين والجوع مساً

بفولة جاد لي ذا وذا بيقل وخساً^(١)

ومن محاسن الشام أرض الميطور والسيلاق وهما

من متنزهاتها ويقال أن أول من غرس بها غراساً بيده
سليمان بن عبد الملك وكان يروي عن النبي ﷺ حديثاً
يقول : قال النبي ﷺ « من غرس غرساً كتب الله له
من الاجر بقدر ما يخرج من ثمار ذلك الغرس » وقال
النبي ﷺ « نعم المال النخل الراسخات في الوحل المطعمات
في المحل » وقال ﷺ « ابتغوا الرزق في خبايا الارض »
يعنى الزراعة . وقيل لعثمان رضي الله عنه « اتغرس بعد
الكبر » فقال : « لأن توافيني الساعة وأنا من المصلحين
خير من توافيني وأنا من المفسدين » . وقيل لابي الدرداء
رضي الله عنه وهو يغرس جوزة « اتغرس وأنت شيخ
وهي لا تطعم الا بعد عشرين سنة » فقال « لا على بعد
أن يكون الاجر لي . ومر كسرى بشيخ وهو يغرس فقال
« أرجو أن تأكل من ثمرتها » فقال « غرسوا وأكلنا
ونغرس فيما كلون » فقال كسرى « زه » وأعطاه اربعة آلاف
درهم فقال الشيخ « ان الشجر تدرك وتطعم في سبع سنين
وقد أطعمت شجرتي في يوم واحد » فقال كسرى اعطوه

أربعة آلاف أخرى

رجع . ويقال أن سليمان بن عبد الملك كان نهما في الأكل
فجاءه بستاني أيضمن بستانه هذا فقال اركب اليه اولا
انظر فاكتبته ثم نضمنك اياه ثم ركب ودخل البستان فلم
يدع به من الثمار الا اليسير حتى ماخلى فيه من البندق
الأخضر والفسق اما عزب عنه ثم نادى الضامن سليمان
وقال للشهود اكتبوا على هذا ضمان هذا البستان فقال
البستاني كنت أضمنه قبل دخول امير المؤمنين اليه
فضحك منه . ويقال ان قشر البندق والفسق تجمع فجاء
قدر مكوك طائفي وفضل عنه ^(١)

قال ابن الجوزي : البندق حار يابس اغلظ من الجوز
وابطأ انهضاماً ويولد رياحا في البطن الاسفل الا أنه
يقوى المعدة والامعاء وخليطه غليظ في الدماغ ويؤكل

(١) كان القصاصون يبالغون أولاً بذكر القصص في هذا
الباب تقرباً للعباسيين ، ثم خلف من بعدهم خلف تجاوزوا حدود
المنطق والعقل في هذا الاغراق واسرفوا فيه

مع قليل فلفل فينفع من الزكام وينفع من الهوش
خصوصا في التين والسذاب وكذلك الجوز

قال ابن البيطار: في السابعة وفيه من الجوهر الارضي
البارد اكثر مما في الجوز وكذلك هو اشد عفوصة منه
عند المذاق ، وذلك موجود في شجرته وثمرته وقشره

قال جالينوس: اذا سحق وشرب بالعسل ابرا من
السعال المزمن واذا قلي واكل مع شيء يسير من الفلفل
الضج-النزلة واذا حرق وسحق وخلط بالشحم العتيق من
شحم الخنزير أو شحم الدب واطبخ به داء الثعالب نبت فيه
الشعر. والبندق المحروق اذا سحق مع الزيت وسقيت به
يافوخات الصبيان الزرق سوّد أحوالهم وشعورهم ومن
اكل البندق قبل الطعام نفع من السموم وهو مقطع
للخلط الازج نافع من النفث الحادث من الرئة

وفيه يقول بعضهم وابدع:

ولقد شربت مع الغزال مدامة حمراء صافية بغير مزاج
فتفضل الظبي الغرير ببندق شبهته ببندق من ساج

فكسرتة فوجدت صوفاً أحمرّاً قد لاف فيه بنادق من عاج
 الفستق حار يابس وقيل رطب وقيل معتدل منفعته
 للمعدة يقوى فيها ويقوى الكبد ويفتح سددها وينقي
 الكليتين والمثانة يفتح منافذ الغذاء ويزيد في الباه وينفع
 من لذغ العقرب وسائر الهوام خصوصاً الشامي لكنه
 يصير الشرى دفع مضرته بمشمش يابس والله أعلم . انتهى

وفيه يقول مذهب الدين الدهان :

وفستقة شبيهتها إذ رايتها

وقد عاينتها مقاتي بنعيم

زبرجدة خضراء وسط حريرة

بحقة عاج في غلاف اديم

وهو ماخوذ من قوا، الصابي :

زمرد صانه حرير في حق عاج له غلاف

واحسن منه قول ابن المعتز بالله :

زبرجدة ملفوفة في حريرة مضمنة دراً مغشى بياقوت

وقال فضل الكاتب وابدع :

وفستق مستنجد من بعد شرب الرحيق
حق من العاج يحوى زمرداً في عقيق
ومن لطائف ابن سكرة قوله :

كانما الفستق المملوح حين بدا
مقشراً في لطيفات الطيافير
والقلب من بين قشريه يلوح لنا
كأسن الطير من بين المناقير

عود والاعطاف الى ذكر سليمان بن عبد الملك . نقل
الحافظ ابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن عبد الله بن
الحارث قال اخبرنا ان سليمان بن عبد الملك أمر قميم بستانه ان
يجلس على الفواكه لا يجني منها شيئاً وأمرني بالركوب معه
عند طلوع القمر من آخر الليل ومن حضر من أصحابه ، فلما
دخلنا الى البستان انفرد كل منا يأكل حتى ارتفع النهار ثم
صرنا اليه وقد أكلنا قدر الطاقة ونحن نقول هذا القطف
العنب استوى فيخرطه في فيه وهذه التفاحة نضجت
وهذه الانجاصة ناعمة وكلا رأينا شيئاً نضيجاً نشير اليه

فیتناولہ ویأکاه حتی آن الضحی ، فأقبل علی قیم البستان
وقال ویحک یا شمردل انی قند جعت فهل عندک شیء
تطعمنیه . قال نعم عناق حویلة حمراء قل اثنتی بہا بلا تأخیر
فجاء بہا مشویة علی خوان وهو قثم بین اشجار الفاکة
فصار یتناول منها قطعة بعد قطعة ویتناول علیہا الفاکة
الی ان فرغت . فقال له یا شمردل هل عندک غیرها فقال نعم
دجاجتان معلوفتان قد عمیتا شحماً قل اثنتی بہما ففعل کما
فعل بالعناق واتی بہما وهو قثم بین أشجار الفاکة حتی
فرغا وقال له ان کان عندک سویق بسمن سلاو بعض سکر
فائتني به فانی جائع فجاء بذلك فأکاه واستدعی بماء بارد
وجعل شمردل یصب علیہ الماء وأمیر المؤمنین یحرکه حتی
کفاه فارغاً ثم أعاد الاکل فی الفاکة فأکل ملیاً واذا
بالسماط حضر فجاس یا کل کأنه لم یأکل شیئاً

قال الحارث فعمینا منه

ویقال انه عرضت له حمی عقیب هذا اشرف منه
علی الموت وقیل بل سبب موته انه أکل اربعمائة بیضة

وساتي تين وسبعائة رمانة وخروف وست دجاجات
ومكوك زيب طائفي . انتهى

وانما ذكر ذلك على سبيل الاستطراد وذكر بستانه

والله أعلم

ومن محاسن الشام (السهم) وهو متصل بارض
الصالحية . وهو درب ما بين دور وقصور ، وفاكة
وزهور ، ومياه تجري بهدير كالبحور . وفيه يقول
القيراطي :

دمشق بواديها رياض نواضر

بها ينجلي عن قلب ناظرها الهم

على نفسه فليبك من ضاع عمره

وليس له فيها نصيب ولا سهم

ومن لطائفه قوله فيها وفي السهم :

بقاع دمشق للأمير بشائر

فقف بغاني جنكها مترنما

بقاع اذا قوس الرباب بسهمه

رماها غدت بالوشى بردا مسهما

وما أحسن قول القيراطي :

دمشق سما سهمها على قوس الكواكب ، وأقبلت
من كتائب زهورها في مواكب . وتحرك عودها حين
غنت عليه من الورق الفينان ، وطفح يزيدا فقلت وهذا
مما يعجب اباسفيان

ومن المحاسن ارض بشار وبهران ، وهما معدن
التوت ، واصل حسنه المنعوت
وهو أصناف : محسني . بندقي . عجمي . مخضب .
قرشي . حراديني . شامي وهو الاسود

قال جالينوس في السابعة التوت المحسني الابيض
اذا كان نضيجا فهو يطلق البطن وما لم ينضج وقد صار
دواء يحبس البطن حبساً شديداً حتى انه يصلح لقروح
الامعاء والاستطلاق ولجميع العلل التي هي من جنس
التحلب ، ويخلط بعد أن يسحق مع الاطعمة كما يخلط السماق

فإن أحب انسان أن يشربه شربة مع الماء أو مع الشراب أو مع عصارة التوت المدرك فهي نافعة لادواء القم

وقال ابن الجوزي : إذا أكل التوت الأبيض على الريق أسهل وولد خلطاً جيداً فإن أكل على الطعام ولد كيموساً وأضر بالمعدة وهو رديء الغذاء فاسد الدم خاظه غليظ يكره منه غير النضيج والافوق أن يغسل قبل أكله ليؤمن أضراره بالمعدة والرأس ويشرب بعده السكنجبين والتوت النضيج المبرد بالتاج ينفع المعدة التي غاب الحر عليها واليبس . انتهى

وفيه يقول المهلبى :

كلوا من التوت وانشطوا فانه على الارى مسلط^(١)
كأنما التوت على اطباقه لآلئ بعندم منقط

ومن مجون لسان الدين ابن الخطيب قوله فيه :

أقول له إذ ابتعنا عصيرا

وجاوزنا المنازل والبيوتا

لعلك يا حبيب القلب تأتي

وتأكل عندنا عنبا وتوتا

ونقلت من خط المرحوم شمس الدين محمد النواجي

قوله :

بالله يا صاح قم وباكرا بستان هو حوى نموتا

تشبع نخلًا به وكرما مرتبًا يا نعا وتوتا

والتوت الاسود الشامي قال ابن الجوزي في (لقط

المنافع) الحلو حار رطب والحامض بارد جيده الكبار

السود . ومنفعته لاورام الخلق وادرار البول ، ومضرته

يحدث مغصا وسوء استحالة وهو رديء للمعدة الا أنه

لا يضر معدة صفراوية ودفع مضرته الاطريفل الصغير

يصلح للامزاج الدموية والشباب في الربيع في البلد الحار

والله يعلم

ومن محاسن الشام (الصالحية) مشحونة بالزوايا

والترب والمدارس حتى ان بها قسبة دون ميل تمشي فيها

بين ترب ومدارس يبتاء جميل استولى عليها المباشرون

والنظار ، فازالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار . فكم
من مدرسة اندرست بعد الصلاة والتراويح ، وأمست
في ظلمة بعد تلك المصاييح . وهي تقول أصبحتُ حاصلاً ،
بعد ما كان ابواني بالقراء عامراً أهلاً ، وهذه تقول
أضحيت مرابطاً للبهائم ، بعد ما كنت معبداً للقيام
والصائم . وهذه تقول اتخذوني مسكناً ، وهذه تقول
جعلوني متبناً . وهذه تقول هدوني ، واخذوا سقفي
وكشفوني . وهذه تقول اخربوا جداري . وباعوا الباب ،
وجعلوني مأوى للكلاب . والوقوف تستغيث الى المولى
المغيث . فيقال لهم اسمعوا كلام الرحمن في محكم القرآن . « ان
الينا ايابهم ، ثم ان علينا حسابهم »

فياشوقاه لحسن (الجركسية) وحلاوة (الركنية)
ويالهفاه على (جامع الافرم) و (الناصرية) . تغيرت تلك
للمعاهد ، وغلقت أبواب تلك للمساجد والمعابد . انا لله وانا
اليه راجعون . ان هذا هو البلاء الجسيم ، فلاحول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

وبالصاخية نهران ، فيها بحريان ، (ثورا) و (يزيد) ،
وكم عليهما من غرفة وغصن مشيد

يحكى عن ابن الصائغ الحنقى انه لما قدم من القاهرة
الى دمشق المحروسة نزل في (الجسر الابيض) عند الامير
مجير الدين ابن تميم ونهر ثورا يمر بداره المانوسة فاجلسه على
جانب النهر لاجل برد الهواء ، فرأى شمس الدين ابن
الصائغ ما يمر من الفواكه على وجه الماء وصار يتناول
ويأكل ما استطاب ويضع قدامه منه ما اعجبه ثم التفت
لابن تميم وقال له أنت يغنيك هذا النهر عن شراء الفاكهة
بفيض فضله العميم وانشده في الحال تجالاً :

يقول وقد رأى ثورا خليلي يفيض بسائر الثمرات فيضا
أيكفيكم فلا تشرون شيئاً فقلت له نعم وبيع أيضاً

فقال ابن الصائغ : وهذه الفاكهة اليس يرميها في
النهر أرباب الغيطان ، قال له ابن تميم انما هذه من اشتباك
الاشجار وانحنائها عليه فيلقيها النسيم عند ما تشتعل
الاعصان واما البساتنة فانهم يضعون فواكه مجموعة على

ابواب البساتين كالزكاة لمن عمر بها واحتاج الى شيء فيأخذه
من الفقراء والمساكين

وأخبرت في القديم ان بعض الفقراء يضع مكتله على
رأسه ويسرح في طرق البساتين فيعود وقد امتلأ مكتله
مما يسقط من الأثمار من غير ان يتناول بيده شيئاً

وفي البساتين من يزرع اشجاراً للفقراء يعرفونها
بالتكرار ، وغالب ما يزرع من ذلك على الطرقات ليقرب
تناولها . انتهى

وغالب أهل الصالحية يهادون سكان المدينة بالبالح
والاترج والكباد ، لنمو حسنه عندهم ونضارته التي هي
في ازدياد

قال ابن الجوزي البالح حار يابس وقيل بارد ينشف
الرطوبة ويدفع المعدة ويحبس ، جيده غير القابض يضر
بالاسنان والفم . دفع مضرته بالسكنجبين واذا اكل أول
ما يخلو أحدث فراقراً ، والبسر والبالح يحدث السدد في
الاحشاء والكبد ويولد الاكثار منهما اخلاطاً غليظة

وهما رديئان للصدر واللثة والجوار الذي هو طلع بارد يابس
 يقوي الحشا ويعقل البطن والطبع ويضر الصدر والخلق
 دفع مضرته بالتمر والشهد خلطه غليظ بطيء الهضم ينفع
 الامزاج الحارة الرطبة ومن اكثر من أكل الطلع
 مرضت معدته واورثه القوانج

وباسناد عن عائشة رضي الله ^{عنها} قالت قال رسول الله ^{صلى الله}

«كلوا البلح بالتمر فان الشيطان اذا نظر الي ابن آدم ياكل
 البلح بالتمر يقول يقي ابن آدم جنى الحديث بالعميق» انتهى
 الرطب حار رطب يقوي المعدة الباردة ويوافقها
 ويزيد في الباه لكنه سريع التعفن ودمه رديء وهو
 مصدع ويولد السدد ويؤذي الاسنان وينبغي ان يشرب
 بعده السكنجبين

وعن انس قال «رأيت رسول الله ^{صلى الله} يأكل البطيخ

بالرطب» ورواه ابو داود. وعن عبد الله بن جعفر قال
 «رأيت رسول الله ^{صلى الله} يأكل القثاء بالرطب» اخرجاه في
 الصحيحين. وعن ابي داود من حديث عائشة رضي الله

عنها أن النبي ﷺ كان يأكل البطيخ بالرطب ويقول
 « يكسر حر هذا برد هذا ». وقال أبو سليمان الخطابي وفي
 هذا بيان الرطب والعلاج ومقابلة الشيء بالمضاد له وفيه
 اباحة التوسع بالأطعمة ونيل الملاذ المباحة

والرطب المعسل حار رطب ينفع المعدة الباردة ويضر
 الحنجرة والصوت . دفع مضرته بالسويق الخشخاشي . فاذا
 عتق كان أقل حرارة وأكثر رطوبة وازيد في توليد المني
 فاذا ربي بالعسل والزعفران تضاعفت حرارته لكن
 يكسرها اللوز في موضع النوى ويؤكل بعده الخس بالخل
 والتمر جيده البرني الحديث الكبار وهو حار رطب
 في الاولى يقوي الكبد والاعصاب ويلين الطبع ويزيد في
 المني ولكنه يصدع لحرارته ويولد السدد ويؤذي الاسنان
 سريع التعفن

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
 « كلوا التمر على الريق فانه يقتل الدود » وعن انس بن
 مالك ان وفد عبد القيس من أهل هجر قدموا على النبي

ﷺ فقال « خير ثمراتكم انبرني بذهب بالداء ولا داء فيه »
 وفي مدينة النبي ﷺ ثمر يقال له العجوة . وفي
 الصحيحين من حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي ﷺ
 انه قال « من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم
 سم ولا سحر » وعن ابي سعيد وجابر قال قال رسول الله
 ﷺ « العجوة من الجنة وهي شفاء من السم » . واعلم انما
 خصت عجوة المدينة بدعاء النبي ﷺ لان التمر لا يفعل ذلك
 والقسب . معتدل في الحرارة يابس يجبس الطبع وهو
 احمد من التمر . وما اللطف قول صدر الدين بن الادمي في
 التمر :

لم أرد التمر الذي اهد يتموه لسوى
 خوفي من نواكم لان في التمر النوى

وقال ظافر الحداد في وصف النخيل :

وعشية بهرت لعينك منظرأ

قدم السرور بها لقلبك وافدا

روض كما أخضر العذار وجدول

نقشت عاينه يد النسيم مباردا
والنخل كاهيف الحسان تزينت
فليس من اثمارهن قلائدا
وقال بعضهم :

أما توى التمر محكي في الحسن للنظار
مخازنا من عقيق قد قمت بنضار
كأنما زعفران فيه مع الشهد جاري
يشف مثل كئوس مملوءة بعقار
ومما ينسب الى نبطويه قوله :

كأنما النخل وقد نكست دوسها الريح باذياها
احبة فارقها إلفها فأطرفت تنظر في حالها
ومن محاسن ابن سارة قوله في الجمار :

جمارة كالماء لكنها ما بين أطمار من الليف
كأنها جسم رطيب وقد انف في ثوب من الصوف
والنصير الحمي في من أهدي له جمارة :

أهدي لنا جمارة من لست أخلو من عذابه

فكأنما هي جسمه لما تجرد من ثيابه

ابن المعتز يصف الطلع بقوله :

ومريضة الاجفان تفتن كل ذي عقل وناسك

اهدت الينا طلعة والشوك للأحشاء ناهك

فكأنها لما بدت في كفها مكوك حائك

حتى اذا فضت رأيت من اللجين بها سبائك

ومن محاسنه قوله فيه :

كأنما الطلع يحكي لناظري حين يقبل

سلاسلًا من لجين يضمها تحت صندل

وأخذه بلا قافية ابن عبد ربه :

أفدي الذي أهدى الينا طلعة

اهدى الى القلب المشوق بلا بلا

فكأنما هي زورق من فضة

قد أودعته من اللجين سلاسلًا

وأخذه ابن وكيع فقال وهو من لطائفه :

طلع هتكنا عنه أبوابه من بعد ما قد كان مستورا

كأنه لما بدا ضاحكاً في العين تشبيها وتقديراً
 درج من الصندل قد أودعت فيه يد العطار كافورا
 ومن معانيه البديعة قوله :

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه

فيا حسنه من منظر حين هتكا

حكى صدر خود من بني الروم هزها

سماع فشقت عنه ثوبا ممسكا

ومن مقاصده قوله في البسر الاحمر :

انظر الى البسر اذ تبدى ولونه قد حكى الشقيقا

كأنما خوصه عليه زبرجد مثمر عقيقا

ومن بدائع ابن القطاع قوله فيه :

انظر البسر ان صورته أحسن ما صوره الرائي

كأنما شكاه لبصره أنامل قمت بحناء

ابن حمد يس العملي قوله في البلح :

أما ترى النخل أطلعت بلحاً جاء بشيراً بدولة الرطب

مكاحل من زمرد خرطت مقدمات الرؤوس بالذهب

ابن النقيب اللباني قوله في البسر الابيض :

انظر الى البسر الذي قد جاءنا بالعجب
كيف غدا في لونه كعاشق مكتئب
كأنه من فضة قد غمست في ذهب

ومن لطائف ابن وكيع قوله في الرطب :

أما ترى الرطب المجنى لا كاه
حلوى اعدت لنا من صنعة الباري
ما باشرتها يد العقاد في عمل
في الدست يوماً ولا حطت على النار

الأترج * قال ابن البيطار كثير بأرض العرب وهو
مما يغرس غرساً ولا يكون برياً وورقه مثل ورق الجوز
وهو طيب الرائحة ونواره شبيه بتوار الترجس الا أنه
الطف وله بزر شبه الكثرى

وقال جالينوس في السابعة وجوف الأترج الذي فيه
البزر حامض الطعم وقوته قوة تجفف تجفيفاً كثيراً حتى

يقال انه في الدرجة الثالثة من درجات الاشياء التي تبرد
وتجفف

[اسحق بن سليمان] وما كان منه حامضاً كان بارداً
يابساً في الدرجة [الثالثة] يقوي المعدة ويزيد في شهوة
الطعام ويقمع حدة [المرّة] الصفراء ويزيد النعم العارض
منها ويسكن العطش ويقطع الاسهال وينفع من القوباء
والكاف اذا طلي عليها ، ويستدل على ذلك من فعله في
الخبر اذا وقع في الثياب فانه اذا طلي عليه قلعه وذهب به
[جالينوس] وشحم الأترج الذي بين قشره وحماضه
يولد اخلاطاً غليظة باردة

[ابن سينا] ينفع بطيء الأنهضام يورث القوانج ،
ويجب أن يؤكل مفرداً ولا يخلط بطعام قبله ولا بعده
والمرابي بالعسل اسلم واقبل للهضم

وقال ابن الجوزي الأترج جيده السوسي الكبار وهو
بارد رطب ولحمه بارد وقشره حار يابس وحماضه بارد يابس
ودهنه ينفع البواسير وحبه ينفع الدماغ الذي ناله البرد

ويحلل الرياح المارضة فيه . والله أعلم
وفيه يقول عبد الله بن المعتز بالله :

يا حبذا يومنا ونحن على دعوسنا نعقد الاكايلا
في روضة ذلت لقاطفها غصونها الدانيات تذيلا
كان اترجها تيمس به أغصانها حاملا ومحمولا
سلاسل من زبرجد حملت من ذهب أصفى قناديلا

وما أرشق قول ابن رشيق :

أترجة سبطة الاطراف ناعمة

تلقى النفوس بحظ غير منحوس

كأنما بسطت كفاً لخالفها

تدعو بطول بقاء لابن باديس

ومن تشاييه ابن بوين^(١) من مزدوجته :

كأنما أترجه المصبغ أيدي زناة من زنود تقطع

ومن بديع ابن المعتز قوله :

وكان الاترج كف كعاب جمعته لضمها بسوار

ومن التشابيه البديعة قول ابن حمد يس :

انظر الى الأترج وهو مصبغ

ان كنت في التشبية اى محقق

مثل الا كف غدت تضم اناملا

يدخلنهن في اناء ضيق

ومن محاسن محي الدين الدهان :

حيالك من تهوى بأترجة ناعمة مقدودة غضه

فجدها من ذهب أصفر وجسمها الناعم من فضه

وقال الامير أبو فراس بن حمدان في الكباد :

أما ترى الكباد في حسنه اذا بدا في وسط بستانه

كعاشق أبصر محبوبه فاصفر من خيفة هجرانه

وقال ابن زيدون في الحماض :

يا حبذا حماضة تحدث للنفس الطرب

كانها كافورة لها غشاء من ذهب

الليمون . قال صاحب الفلاحة ستة أنواع منها المركب

وهو نوعان أحمر وأصفر ومنها التفاحي وهو نوعان والمختم

والحلسمي ، وغالب ما يستعمل الا صفر والتفاحي
وأخبرني بعض الغياطنة أن تبصر الليمون أربعة
عشر نوعا ولم يعد منهم ولا واحداً
وقال ابن البيطار والليمون مركب من ثلاثة اجزاء
مختلفة المنافع والقوى وهي القشر والحماض والبزر . في طعم
قشره بعض مرورة وقبض خفي وله عطرية ظاهرة وفيه
تسخين وتبخيف مزاجه حار في أول الدرجة الثانية يابس
في آخرها

ومن لطائف النصير الجمي قوله فيه :

أهدى الي الظبي ليمونة

لا زلت ذا شكر لاحسانه

صفرتها تحكى اصفرادي به

وطعمها من طعم هجرانه

وله فيه :

ليموننا هذا الذي قد بدا يأخذ من اشراقه بالعيان

كأنه بيض دجاج وقد لطخه العابث بالزعفران

النارج قل ابن الجوزي حماضه بارد يابس يقوى المعدة
ويقطع البلغم ويسكن الصفراء الا انه يرخي الاعصاب
دفع مضرته أكله بالسكر يشهى الطعام وحبه يحلل الرياح
الباردة من الدماغ وهو أنظف من الأترج ومختاره ماقلت
حوضته وقشره حار يابس وخاصية النارج ان من ادمن
شبهه يأخذه الرعاف الى ان يموت والله سبحانه وتعالى أعلم
وزهره يسمى بالقداح .

ومن محاسن ابن قرياص قوله في نواره :

نديمي هبّا قد قضى النجم نحيبه

وهبّ نسيم ناعم يوقظ الفجرا

وقد أزهر النارج أضرار فضة

تزرع على الأشجار أوراقها الخضرا

ومن أغراض شهاب الدين محمد بن دمر داش قوله :

ان أينع النارج حاكي لونه

في صبغه القاني خد حبيبي

وإذا تبيدتي مزهراً فكأنما
جمع الوصال عذاره ومشبي
وقال مؤلفه البدرى :

نارنجة قد أشبهت حسناء في
عرس النسيم تيمس مع نشر طوى
يا حسنها تجلى لنا في حلة
من سندس أزرارها من لؤلؤ

وقال أيضاً :

في الكيمياء صحت لنا نارنجة من حطب
لجين زهرها يعد سبائكاً من ذهب

ومن لطائف الارجاني قوله فيه :

ونارنجة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقمامة اغيد
اذا ميلتها الريح كانت ككرة بدت ذهباً في صولجان زبرجد

ومن محاسن الصاحب ابن عباد :

بعثنا من النارج ما طاب عرفه

ونمت على الاغصان منه نوافج

كرات من العقيان احكم خرطها

وايدي النداي حولن صوالج

ومن بدائع ابن وكيع قوله :

ألا اسقني الراح في جنة طرائف أثمارها تزهـر

كان تمايل نارنجها مقابض كيمختها أخضر

ومن الغاز ابن خلدان قوله فيه :

ما اسم اذا صحفته الفيته من بعد ذلك ولفظه نارنج

في ضمنه نار اذا حقتها لا جهرها وار ولا منفوخ

حيران ان صحفته وعكسته لا العذل يسمعه ولا التوييخ

يارنج بلغ من احب تحيتي ان الحبيب لما تقول مصيخ

ونقلت من خط بلدينا الشرف القواس الدمشقي :

نظرت الى نارنجة في يمينه

كجمرة نار وهي باردة اللمس

فقر بها من خنده فتالقت

فشبهتها المريح في دائرة الشمس

ومن بدائع ابن قرناص الحموي قوله :

نار نجة برزت في منظر عجب زبرجد وانصار صاغة المطر
كأن موسى كلّم الله اقبسها ناراً وجرّ عليها ذيله الخضر

ومن اغزال ابن دمر داش قوله :

تأمل ترى النارج في الدوح باسمها

نضيرا يروق العين من جلناره

وقد لاح تحت الغصن غضاً كانه

خدود الذي أهواه تحت عذاره

ومن المعاني التي سبكها ظفر الحداد قوله :

تأمل فدتك النفس يا صاح منظرأ

يسر به قلب اللبيب على الفكر

حيا وابل مجرى على شجر بدا

به ثمر النارج كالاكر التبر

دموع حداها الشوق فأنهملت على

خدود تراب تحت انقبة خضر

ونقل ابن خلكان في توجّه السلامي انه كان شاعراً

مجيداً فرحل في صباه من مدينة السلام الى الموصل وبها
جماعة من كبراء الشعراء كالسري والبيغاء والخالدين
فارادوا اختباره في النظم فقال أبو الفرج البيغاء أنا كفيكم
ذلك وصنع وليمة ودعاه الى عنده وقال له في غضون المحاضرة
ما تقول في هذا النارنج الذي بمنزلنا فانشده ارتجالاً وقال :

ونارنج تميل به غصون ومنها ما يرى كالصو لجان

اشبهه ثدايا ناهدات غلاثلها صيغنى بزعفران

فرك كل منهم رأسه. وقال هذا التشبيه هجس

بفكري الآن . وانشد :

تطالعنا بين الغصون كأنها نهود عذارى في ملاحفها الصفر

السري :

اذما تبدي في الغصون حسبته نهود عذارى مسهن خلوق

ومن محاسن الشام (جبل قاسيون) فان الصالحية في

بسفحه وتحت ذراه . وهو جبل مبارك به آثار الانبياء

والصحابية والاولياء وبه (الكهف) ويقال انه كهف اصحاب

القصة وبه مغارة الدم يقال ان كل ليلة جمعة يرى بها قطرة

دم وبه محاريب الاربعين محل تعبدهم . وقال بعضهم :
 تحن الى وادي دمشق جوانحي وان كان مما قل فيه نصيبي
 واني لاهوى قاسيون لانني رأيت أسمه شبها لاسم حبيبي
 وبه ينبت من عند الله تعالى من الازهار والاشجار
 ما لا ينبت في غيره وسقيه بالامطار

فن ازهاره القر نفل وهو شديد العطرية

والخزام وهو مشهور بالعطرية

والشيخ . قال ابن الجوزي حار يابس في الثالثة أفضله
 ما كان الى البياض وهو بدمشق يخرج الدود . واذا احرق
 وسحق ووضع في زيت أو في دهن اللوز وطلى به من لم
 ينبت له لحية اسرع نباتها لانه يوسع مسامها بلطافته ويمنع
 من داء الثعلب . وعن عبد الله بن ابي جعفر القرشي ان
 رسول الله ﷺ قال « بخروا بيوتكم باللبان والشيخ »

وبه السماق . قال ابن البيطار في الاولى يستعمل في

الطعام وهو ثمر نبات يقال له اروس برسوديسقونس (1)

(١) في مفردات ابن البيطار « رؤس برسوديسقونس »

وهو بالعربية سماق الدباغين وانما سمي هكذا لان الدباغين يستعملونه في دباغة الجلود . وهي شجرة تنبت في الجبال والصخور طولها نحو من ذراعين وفيها ورق طويل لونه الى حمرة الدم وهو مشرف الاطراف على هيئة المنشار وله ثمر شبيه بالعناقيد كثيف وفي عظم الحبة الخضراء الى العرض

وقال جالينوس في الثامنة يقبض ويجفف وانفع ما فيها
الثمرة وعصارتها

[ديستقوريدوس] ويعمل منه حقنة لقرحة الامعاء
ويقطر في الاذن التي يسيل منها القيح واذا تضعد بالورق
[مع الخل] والعسل اضمر الداحس ومنع الورم [الخبيث
الذي يقال له غنغرانان]

[الرازي] وزعم قوم انه اذا شد في صوف مصبوغ
بحمرة وشد على صاحب النزف من أى عضو كان قطع الدم
[ابن ماسويه] وينفع الاسهال المزمن الذي يكون
من الصفراء واذا تقع في ماء ورد واكتحل به نفع من

ابتداء [الرمد] الحار مع مادة وقوى الخدفة
 . اسحق بن عمران [وان نقع في ماء نقع من السلاق
 والاحترق وقطع الحكمة العازنة للعين ، وان اخذه من به
 قىء دائم ودقه مع الكمون دقا جريشاً وشرب منها بماء
 بارد قطع القيء عنه

وقال ابن الجوزي السماق بارد في الثانية يابس في الثالثة
 قابض مقو للمعدة يشدها ويجلو خشونة اللسان ويسكن
 العطش والغثيان الصفراوى واجوده الاحمر . انتهى
 وبه الزعرور . قال صاحب كتاب الفلاحة هي شجرة
 تنبت بنفسها في الجبال والصحاري وتغرس في البساتين
 وقلاحتها كفلاحة الخوخ والمشمش واذا حوت ضعفت
 ومن اراد قوتها فليحمل اليها من التراب الذي كانت به
 ويظمره حواليتها فانها تقوى واجوده الاحمر البستاني البالغ
 وهو بارد يابس ردىء للمعدة والحكى يولد بلغمًا والجبلي
 يجمع الصفراء ويحبس السيالات ويقوى المعدة ويقمع
 القيء الا انه يصدع

وقال صاحب المفردات هي شجرة مشوكة ولها ثمر
صغار شبيهة بالتفاح في شكله لذيذ في كل واحدة منها ثلاث
حيات ولذلك سماه قوم طريفان^(١) وهو ذو الثلاث حبات
وهو قابض واذا اكل كان جيداً للمعدة ممسكاً للبطن
مسكناً للصفراء والدم ولا يجبس البول ويشهي الاكل
ويولد القوانج

وقال صاحب (المقط) الزعرور الجبلي بارد يابس
مطفيء للحرارة يجمع الصفراء والبستاني الاحمر بارد رطب
مولد للبلغم رديء للمعدة والله اعلم
وهذا الاحمر لا حاجة به لجناه وانما يرمي سياجا لشدة
شوكة وكذا في السياج توت اسود لا يجنيه زراعه كورد
السياج السالف لنا ذكره

ومن السياج شجرة يقال لها (الزيفون)^(٢) لها زهر

(١) كانت في الاصل (طريفان) وفي مفردات ابن البيطار
(طريفان) وفي اللغة الفرنسية لفظ *Triplette* بمعنى ثلاثي
الورقات (٢) قال ابن البيطار هو اسم دمشقى للنوع الذي
لا يثمر من شجر الغبيراء

اصفر برائحة عطرية وفيه تهييج للنساء اذا شممنه وهذه
الاربعة الاشياء انما يزرعونها لشدة شوكتها . انتهى

وفيه يقول ابن حني وأبدع :

كانما الزعرور لما بدا

في حسن تقدير وأمر أنيق

جلاجل مخضوبة عندما

أوخرزات خرطن من عقيق

يضوع من رياه لما هفا

به نسيم الريح مسك نشيق

ونقلت من خط الشهابي أحمد بن العطار الدنيسري :

باكر الدوحة وانعم واجتلي

غصن زعرور تسمى وافتخر

حقة من ذهب داخلها

قطنة فيها ثلاث من درر

وبه الخرنوب قال ابن الجوزي بارد يابس وقيل حار ،

جيده الحلو الطري ينفع القيام ما دام طرياً فاذا ينس عقل
البطن والرطب رديء للمعدة واليابس أبطاً انهضاما يدفع
ضرره الفائدة ، والمضمضة بطبيخه جيدة لوجع الاسنان ،
انتهى والله أعلم

ومن محاسن الشام قرية (منين) . خضرة نضرة ،
وهي شمالي جبل قاسيون ، وبها السيدان الجليلان (الشيخ
جندل) و (الشيخ أبو الرجال) أعاد الله علينا من بركاتهما
ويقال أن الشيخ جندل لا يقبل من ينام عنده ، فاذا نام
الانسان حول الضريح يفتح عينه يجد نفسه ملقى خارج
المزار وقد اشتهر ذلك عنه

والى منين ينسب الجوز المنيني لرقه قشره وبياض
قلبه ، وهو صنوف : مغاربي ، وفرك ، ومنيني ، وجبلي ،
وبستاني

قال جالينوس في السابعة : وهذه الشجرة في ورقها
وأطرافها شيء من القبض وهو في القشر الخارج اذا كان
طرياً ابيض . وكذلك الصبغون يستعملون هذا القشر ،

وأما قلبه الذي يؤكل ففيه دهنية ، وبهذا السبب تمرح اليه
الاستحالات

قال ابن الجوزي : الجوز حار رطب وقيل يابس
عسر الانهضام رديء للمعدة مضرة تن الفم ويؤلم الخلق
ويصدع ولا يصلح أكل العتيق منه . ودفع مضرته
بالخشخاش والمتولد عنه دم حار يصلح للامزاج اليابسة
وللمشاخ إذا أكل مع التين نفع من السموم لاسيما الجوز
الأخضر

وقال ديسقوريدوس : الجوز عسر الانهضام مولد
للمرة الصفراء حار لمن به سعال ، وإذا أكل على الريق
هون القيء وإذا احرق قشره وسحق مع شراب وزيت
واطخ به رءوس الصبيان حسن شعورهم وأثبت الشعر في
داء الثعلب ، وداخله إذا احرق وخالط به شراب واحتملته
المرأة منع الطمث

[اسحق بن سليمان] والجوزة أخضراء إذا أخذت
عند ما تبقى قدر الحمصة ودقت وخلطت بالعسل واكتحل

بها نفع من غشاوة البصر

[الشريف] واذا دق قشره الأخضر وألقى معه
خبث الحديد مكسوراً وترك أسبوعاً معه يحرك في كل يوم
ثم خضب به بعد ذلك الشيب سوده وكان منه صبيغ
عجيب واذا دلكت به القواني والحزازات نفعها

[البصرى] والجوز المرّبي جيد لبرد الكبد نشاف

لرطوبة المعدة والله أعلم

وفيه لابى الفرّج ابن هندو :

تأمل الجوز في طباقه ترى رواق حسن عليه غير محطوط
كانه اكر من صندل خرطت فيها بدائع من نقش وتخطيط
وبها الثلج الذي يقيم من العام الى القابل . ويحمل ثلج
السلطان الى القاهرة مدة العام وما يستعمل بدمشق الجميع
منها يخزنونه في حواصل معدّة له

وقال ابن الجوزي الثلج بارد بالطبع يابس بالعرض
وفيه خلط يولد سوداء في الكبد جيده ما كان من ماء
عذب يجمد بجود الهضم لكنه يهيج السعال ويلاين المفاصل

ويشنج ويضر العصب لانه يحقن البخارات الحارة فيها
ويمنعها من التحلل ويضر المعدة خصوصاً التي يتولد فيها
اخلاط باردة دفع مضرته شربه قليلا قليلا وهو صالح
للأمزجة الحارة وهو يطايق البطن أولاً ثم يعقل واذا كانت
المياه الثلجية والجليدة في آجام كانت رديئة ثقيلة وهي تولد
البلغم في الشتاء والمرارة في الصيف وتورث شاربها الطحالة
وحشو الاحشاء وربما وقعوا في الاستسقاء وتضعف
اكبادهم وتولد فيهم الجنون والبواسير ويعسر على نسائهم
الحبل والولادة ويلدن اجنة متورمين . والثلج رديء
للمشايع وماء الثلج يسكن وجع الاسنان الحار والله اعلم
ومن لطائف ابن عباد قوله :

اقبل الثلج فانيسط للسرور وبشرب الصغير بعد الكبير
فكان السماء صاهرت الارض وصار التثار من كافور
واخذه بلاقافية احمد بن علي العلوي فقال :

هوالك من الدنيا نصيبي وانني
اليك لمشتاق كجفني الى الغمض

فزرني وبادر يوم ثلج كأنه
 شمائم كافور نثرن على الارض
 ومن محاسن قول أبي الفتح البستي :
 قد نظمنا السرور في عقدانس وجعلنا الزمان للهو سلسكا
 وشربنا اللدام في يوم ثلج عزل الفء فيه رشداً ونسكا
 فكان السماء تنخل كافو راً علينا ونحن نفتق مسكا
 اخذه ظافر الحداد فقال :

ويوم ضاحك يبكي	ضعيف معاقد السلك
اذوب يبرده برداً	كبسم من حوى ملكي
كان الريح تنثره	على الارضين في وشك
تغربل من خلال الند	كافورا على مسك

وينبت في الثلج الريباس قال ابن الجوزي بارد يابس
 مسكن للحرارة وقامح للصفراء نافع للاسهال يقوى المعدة
 والكبد الحراين وهو شبيه باضلاع السلق وفيه خشونة
 وطعمه حلو يعطي جموضة بعفوضة ولا يطلع الا في الثلج
 والله اعلم

وفيه يقول أبو علي العثماني النيسابوري :
انظر الى الريباس تنظر منه أعجب منظر
كسواعد بيض بدت من كم شعر أحمر

وينبت في جبال الثلج أيضا اميرباريس . قال ابن
البيطار هو البرباريس وبالفارسية الزرشك . ومنه أندلسي
ورومي وشامى ، وأحسنه الشامي [يجلب من جبل بيروت
وجبل بعلبك وهو أجود من الرومي عند باعة العطر بمصر
والشام]

[الفلاحة] وهو شجرة خشنة النبات خضراء تضرب
الى السواد تحمل حبا صغارا بنفسجية

قال ابن ماسة بارد يابس في الثانية يقوى الكبد
والامعاء وفيه قوة قابضة مانعة

[ماسرجويه] يمنع من الاورام الحارة اذا وضع عليها

[الرازي] هو قاطع للعطش جيد للمعدة والكبد

للملتهبين ويقمع الصفراء جدا

قال الرازي^(١) حبه يجفف قروح الامعاء ويقطع نزف
الدم الاسفل ، ولا سيما الذي يجاب من جبلي بيروت
ويعمل بك . انتهى

وينبت بهذا الجبل الصنوبر : قال ابن الجوزي حار
في الثانية يابس في الثالثة حبه ينفع من الصداع البلغمي ،
افراط استعماله مصدع دفع مضرته بالشاه صيني أو الصندل ،
والغرغرة بطبيخ فشره يجلب بلغمًا كثيرًا . انتهى
وفيه يقول الشريف الرضي :

حب الصنوبر اذ انا لك غنيت من كل البشر
نقل لعمرى مشتهى ما ان يدوم له خبر
يحكي لنا صدفاً اتت في باطن منها الدرر
ومن اغراض ابن المعتز قوله :

صنوبر ظلتُ به مولعاً لانه اطيب موجود
كانه الكافور في لونه يحويه اذ لاح من العود

(١) نقله ابن البيطار عن كتاب (التجربتين) ولم يذكر جملة

« ولا سيما . . . الخ »

وَمِمْ أَشْيَاءَ لَا تَنْبِتُ إِلَّا فِي الْأَرْضِ الْحَارَةِ كَالْفَلْقَاسِ
فَإِنَّهُ يُطَلَعُ بَارِضٍ قَرْيَةِ الْغُورِ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقٍ وَلَا يَنْبِتُ فِي
غَيْرِهَا مِنْ أَرْضِ الشَّامِ

قال ابن البيطار ينبت على المياه في الاراضي الحارة
وله ورق كبير أملس يشبه ورق الموز الا أنه ليس بطوله
وهو مجفف يشبه ورق القرع ولكل ورقة من ورقه
قضيبي منفرد غليظ الاصبع ونبات القضيبي من الاصل
الذي من الارض وليس لهذا النبات ساق ولا ثمر واصله
شبيه بالاترج إلا أن ظاهره مائل الى الحمرة وداخله أبيض
كثيف مكتنز مشا كل الموز وطعمه فيه قبض مع حرافة
قوية تدل على حرارته ويبسه وهو يابس في الاولى اذا سلق
بالماء زالت حرافته جملة واكتسب مع ما فيه من القبض
اليسير لزوجة مغرية كانت بالقوة الا ان حرافته كانت
تخفيها وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظا بطيء الانهضام
ثقيلا في المعدة لكثافة جسمه ولزوجته الا انه لما فيه من
القبض والعفوصة صارت فيه قوة مقوية للمعدة معينة على

حبس البطن اذا أخذ مقدار منه لا يثقل على المعدة فيحيله
 ضرورة لثقله وبعد انضمامه ولما فيه من الازوجة والتغرية
 صار نافعا [من سحوج الامعاء] ويزيد في الباه ويسمن
 وادمانه يولد السوداء والله أعلم

ومنها الموز . قال ابن الاثير في عجائبه للموز يسمى قاتل
 ابيه لان شجرته لا تثمر الا مرة في السنة ثم يموت ولا
 يحمل الاصل الواحد الا قنواً واحداً ثم يموت ، وتختلفها
 اخرى من اصلها ويكون في القنو من خمسين موزة الى
 خمسمائة ومن حين نشوئها الى حين إثمارها شهران . ويقال
 ان فيه يوريا وبستانيا والبري يسمى الطليح ، واكثر ما يوجد
 في الجزائر . وورقها طوله ثلاث أذرع وعرضه ذراعان .
 وأجود الموز الكبير البالغ وثمرته حارة رطبة تنفع حرقة
 الصدر والحلق وتنفع اللثانة وتدر البول وتلين الطبع لكنه
 ثقيل على المعدة والاكثر منه يولد السدد ويزيد في الصفراء
 والبلغم وأكاه بعد الطعام يمنع بخار المعدة الى ان يرتقي
 الى الرأس

وقال ابن الجوزي جيده الكبار الحلو ينفع من
شونة الصدر والرئة وقروح الكليتين ويضر المعدة . دفع
ضرته بالسكر ويتولد عنه دم بلغمي والله أعلم
وفيه يقول الخوارزمي :

من اتى البستان يقصد نزهة انظر لصنع الله فيما يخلق
وز شبه عساكر مصفوفة من فوقها رايات خضر تحقق
وفيه يقول مؤلفه البدري :

انظر الى الموز الذي حلا وصفا اذ مر بي
سبائكاً من فضة قد موهت بالذهب

ومنها القصب . قال ابو حنيفة : القصب أنواع فمنه
بيض وأصفر وأسود والأسود لا يعصر وهو يغلظ حتى
يحيط به الكفان وإنما يعتصر الأبيض والأصفر ويقال
صارته عسل القصب واجوده مايجاء به من أرض الزنج
وأصفر مثل الأترج . والقند ما يجمد من عصير قصب
سكر ثم يتخذ منه السكر ويقال لما جعل فيه القند من
بويق وغيره مقنود ومقند كما يقال معسول ومعسل

وقال أبو العبر^(١) قصب السكر لطيف ملائم للبدن
نافع من الخشونة التي تعرض في الصدر والرئة والخلق
ويجلب الرطوبة اللطيفة المتولدة فيها ويدر البول ويولد نفخاً
ولا سيما إذا أخذ بعد الطعام

وقصب السكر ماين للطبيعة واستعماله لتبهيج القيء
صالح إذا شرب على أثره ماء فاتر وتهوع بريشة طويلة قد
غمست في السيرج

وقال المنصوري حار باعتدال يدر البول ويذهب
بالحرقة الكائنة عند خروجه وينفع من السعال
[اسحق بن عمران] يقطع الالتهاب العارض في
المعدة برطوبته واطافته وينقي المثانة

وقال ابن الجوزي : القصب أشد تلييناً من السكر
لكنه يولد رياحاً دفعها ان يقشر ويغسل بماء حار
وقال عفان بن مسلم المحدث : من مص القصب
السكر بعد طعامه لم يزل يومه اجمع في سرور والله تعالى

(١) في مفردات ابن البيطار : (الدمشقي)

أعلم . انتهى

وفيه يقول خليل^(١) بن الفرس رحمه الله :

سبحان من أنبت في أرضه ما بين شوك وجلا فيها
انبوبة مملوءة سكرًا قد كان ماء وحلا فيها
وكتب مؤلفه البدرى يستدعي بعض الإخوان

في شهر رمضان الى غيط قصب :

في قصب السكر لي ذوق سريع ما اقتضب
شبهته بأهيف قد رق عشقا وانتصب
واصفر جسمه لذا أرخى له خضر العذب
فقم لوصل قطعه واسع له اخا الأرب
في الصوم قبل العصران ذا لأعجب العجب

قلت : واما محاسن الشام فانها لا تحصى ، وغوطتها

الجامعة للمحاسن لا تستقصى . وقد جاء في الاخبار عن
كعب الاحبار رضي الله عنه « غوطة دمشق بستان الله في
أرضه »

(١) في نسخة دار الكتب المصرية (احمد)

وعن أبي امامة رضي الله عنه ان النبي ﷺ تلا هذه الآية « وأوتيناها الى ربوة ذات قرار ومعين » قال « هل تدرؤن اين هي » قالوا « الله ورسوله أعلم » قال « هي في الشام بارض يقال لها الغوطة مدينه يقال لها دمشق هي خير مدائن الشام »

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ « قال هي دمشق »

قال الذهبي : وأجمع سواح الارض والاقطار على ان متزهات الدنيا أربعة وهي (صغد سمرقند) و (شعب يوان) و (نهر الأبله) و (غوطة دمشق)

قال أبو بكر الخوارزمي في رحلته : رأيتها كلها فكان فضل غوطة دمشق على الثلاث كفضل الأربعة على غيرهن ، كأنها الجنة وقد زخرفت وصورت على وجه الارض

وما أحسن قول الشيخ علاء الدين علي بن المشرف للمارداني وقد أنشدنيه شقيقه ركن الدين محمد عند قدوم

أخيه إلى دمشق المحروسة في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة :
 ليس في الحسن للشام نظير لا يعرفك بالبلاد الغرور
 كل ما تشهيه نفسك فيها وبها البشر واهنا والسرور
 قلت لأركب مذاتنا عليها وترأت ولدانها والخور
 هذه الجنة ادخلوا بسلام بلد طيب ورب غفور

وقال الشيخ عبد الله الأرموي رحمه الله « دمشق من
 أي جهة أقبلت عليها تجدها حلة بيضاء طرازها أخضر »
 وقال الشهاب محمود من رسالة « وأما دمشق فكانها
 وجه الحبيب ، وقد دار به العذار الأخضر الرطيب »

وقال الشيخ (عبد الولي الخضرى) رحمه الله :
 « سجت البلاد ورأيت ماها من الأعاجيب ، فلم انظر
 كصغد سمرقند ، وهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى
 مشبكة العماز مقدار اثني عشر فرسخا في مثلها ، وهى في
 وسط مملكة ما وراء النهر . ورايت شعب بوان وهى
 بقعة مذكورة بنيسابور ^(١) طولها فرسخان وقد التحفتها

الاشجار، وجاست خلالها الانهار . وهذا الشعب لبوان بن
ايوح ابن افريدون ، وفيه يقول أبو الطيب المتنبى من قصيدة
تشتمل على وصفه :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان
أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان
ومررت بنهر الأبله وهي من أعمال البصرة طوله
أربعة فراسخ وعلى جانبه بساتين كأنها بستان واحد قد
مد على خط الاستواء نخله كأنه غرس في يوم واحد .
ودخلت الى دمشق وتنزهت في غوطتها أجدها أحسن من
الثلاث وأكثرها خيراً طولها ثلاثون ميلاً وعرضها خمسة
عشر ميلاً مشتبكة القرى والضياع لا تكاد الشمس تقع
على أرضها لغزارة أشجارها واكتناف أغصانها »

وقال الميديمي في كتابه (لطائف الاعاجيب) كان
بغوطة دمشق اشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه
كالمشمس ، والخوخ ، والتفاح ، والكثيرى . وبها ما يحمل
الثلاث واقلهن اللونان من الفاكهة . قلت وهذا موجود

الى يومنا هذا فاني رأيت بها الكرمة الواحدة تطرح
العنب الابيض والاسود والاحمر ورأيت بوادي النيرين
شجرة توت تطرح التوت الابيض والاسود

وهذا من صنعة الفلاحة يسمى التطعيم وهو ان
يأخذ قطعة خشب من التفاح ويشق ساق شجرة كثرى
تكون بساقين وتوضع تلك القطعة في احدى الساقين
المشقوقه وتشدها بخرقة وتسقيها وتعاهدها الى أن تلحم
بها ويخرج الورق الجديد ثم ثمر

رجع الى بقية كلام الميديمي . قال : وكان غرس
الاشجار في بعض البساتين كالسطور التي تقرأ . انتهى
والله اعلم

ونقلت من شرح الشريشي ما نقله عن شيخه ابن
جبير قال : دمشق هي خير المشرق ، ومطلع حسنه المؤنق
وعروس المدن قد تحلت بازاهير الرياحين ، وتجلت في
حلل سندسية من البساتين . وحلت من موضع الحسن
بمكان مكين ، وتجلت في منصتها بأجمل تزيين . وتشرفت

بان ادنى الله المسيح وامه الى ربوة ذات قرار ومعين .
 ظلى ظليل ، وماء سلسبيل ، ورياض تحي النفوس بنسيمها
 العليل ، وتبرج لناظرها بمجتي صقيل ، وتناديهم هلموا
 الى مغرس الاحسن ومقيل . قد سمئت ارضها من كثرة الماء ،
 حتى اشتاقت الى الظماء . فتكاد تناديك بها الصم الصلاب :
 اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . قد احدثت
 البساتين بها احداق الهالة بالقمر ، واكتنفها اكتناف
 الحكامة لازهر . وامتدت بشرقها غوطتها الخضراء امتداد
 البصر . ولقد صدق القائلون « ان كانت الجنة في الارض
 فدمشق لاشك فيها ، وان كانت في [السماء] فهي بحيث
 تسامتها وتساميتها »

وقال البحريّ فيها :

اذا أردت ملأت الطرف من بلد

مستحسن وزمان يشبه البلدا

يمشي السحاب على أجيالها فرقا

ويصبح النبت في صحرائها بددا

فلست تبصر إلا واكفا خضلا
ويانعا خضراً أو طاراً غردا
كأنما القيظ ولّى بعد جيئته
أو الربيع دنا من بعد ما بعدا
وقال ابن سعيد الموصلی :

سقى دمشق وإياماً مضت فيها
مواطر السحب ساريها وغاديتها
ولا يزال جنين النبت ترضعه
حوامل المزن في احشا اراضيتها

ومن محاسن الشام ما يصنع فيها من القماش والنسيج
على أعداد نقوشه وضروبه ورسومه . ومنها عمل القماش
الاطلس بكل اجناسه وانواعه . ومنها عمل القماش الهرمزي
على اختلاف أشكاله وتباين اوصاله . ومنها عمل القماش
الابيض القطني المصور لاحياء القصور ، واموات القبور .
وبها أيضاً عمل القماش السابوري بجميع الوانه وحسن معانه

وفيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب
 والمجروور والمرفوع ، والممدود والمرصوع . وفيها تعمل
 صناعة القرطاس بحسن صقاله ونقيّ اوصاله . وفيها تعمل
 صناعة القرصية ودباغاتها المرصية . وفيها تعمل صناعة الزموط
 والأقباع وتحمل لسائر البلاد والضياع . وفيها صناعة الحرير
 بالقتل والدواليب والسرير . وفيها تعمل صناعة السلاح ،
 بما فيها من الاعاجيب والاقتراح . وفيها تعمل صناعة الموشى
 والمدهون بما تختار فيه النواظر والعيون . وفيها تعمل صناعة
 النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدر
 الناس . وفيها صناعة الواح الصقال ودهن الواح صغار
 الكتاب ، وجفان القصع وتفصيل القيقاب

واذكرني هنا قول ابن هاني الاندلسي على لسان

القيقاب واجاد ثم أفاد :

كنت غصنا بين الانام رطيبا

مأس العطف من غناء الحمام

صرت أحكى رءوس اعداك في الذلّ

برغم اداس بالاقدام

رجع . وغالب ما ذكرناه من هذه الصنائع تتبدل
عليه أيادي الصنائع من الواحد بعد الواحد الى أن ينيف
على عشرة صنائع حتى تم

واعلم ان هذه الصنائع استخرجتها الحكماء بحكمتها
ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثه
من الحكماء والعمماء ومن العمماء المتعلمين ومن الاستاذين
للتلامذة للصنائع هكذا نقله ابن جماعة في شرحه على نقول
العيد ، انتهى

ومن محاسن الشام ما يحمل منها الى الديار المصرية
عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها : قصب ذهب ،
قبع ، قرضية ، قرطاس ، قوس ، قبقاب ، قراصيا ،
قر الدين من المشمش ، قريشة ، قنب

وكنت في هذا المحل اكتب واذا بشخص خليع
يغلب عليه الخيال والدخل يتردد اليّ من أهل مصر

العتيقه يقال له تعاتير جاء اليّ وقال عبر لي هذا المنام رأيت
الليلة في النوم رجلاً جليلاً من أهل الشام أعطاني قصعة بها
آثار قطن فيه بعض قضاة مربوطة بخيط قنب . فأردت
ان ادخل عليه سروراً قلت له : يا تعاتير من مناسبة الحبال
القضاة وهي ذهب وفضة في وعاء مشدود معقود تناله
من بعض رؤساء الشاميين . فسر بذلك وفارقني فأخذت
أعجب من الاتفاق وذكر هذه الاربعة قافات المجاوبة من
الشام الى القاهرة وفيما انا في مثل هذا السياق اذا انا به في
اليوم الثاني جاءني وهو يضحك فقلت ما بالك وما خبرك .
قال : فارقتك فاخذت لي قطعة جنب ورطب وجلست
آكلهم برغيف في عقبه قدام المقياس واذا برئيس شامي
في خدمته عبيد وغلمان نزل الى تلك العقبه وقال للتوتي
اطلع بنا المقياس لنزوره وزورنا الآثار وقال انما لاقونا
بالخيل الى الآثار فبهرتني بعض العبيد وقال ما تخرج . فقال
له سيده دعه يؤانسنا . وسألني عن اسمي فقلت له الناس
يسموني تعاتير وانما اسمي ابو الخير . فهلل وجهه وقال :

هذا المكان ما اسمه فاقول له كيت وكيت وهذا يعرف
 بكذا الى ان توجهنا الى درج الآثار وأراد الطالبوع واذا
 بتنديل سقط منه في المركب فبادرت لمناولته اياه فقال لي
 اعط منه للنوتي ديناراً وخذ لك بما فيه فقبات يده وقال
 لي ما تروح معنا قلت له مرسومك هذا النوتي ابن حارتي
 وارجع معه فقال ادع لنا . وتركته وأنا لا اصدق من الفرح
 فقلت لبعض غلمانه ايش يقال لهذا الرئيس بين الشاميين
 قال هذا القاضي بدر الدين بن المزلق فدعوت له وانصرفت
 أجد بالمنديل خمسة دنانير ذهباً وسبعين نصفاً فدفعت
 للنوتي ديناراً ووجئت لا تشكر منك على تعبير المنام واخبرك
 بتفسيره فقلت له هذا أعجب من الاول . انتهى

وغالب ما عددناه واوردناه من محاسن الشام انفرديت به
 دون غيرها ويحمل منها غالب البلاد لكثرة خيرها ومن
 اعاجيبها ان خيرها في الغالب لغير بنيتها حتى انه ينسى الاهل
 والاطوان ونو فارقها لعاد اليها على طول الزمان
 وقال القاضي الفاضل :

يقولون لي ماذا رأيت بشامهم
 فقلت لهم كل المكارم والفضل
 فبيلدتهم خير البلاد واهلها
 باحسانهم تغني الغريب عن الاهل
 وقال ابن سعيد :

في جلق نزلوا حيث النعيم غدا
 مطولا وهو في الآفاق مختصر
 فالقضب راقصة والطير صادحة
 والنسر مرتفع والماء منحدر
 لكل واد به موسى يفجره

وكل روض على حافته الخضر
 وقال ابراهيم بن عبد الله الانصاري متشوقاً اليها :
 رعى الله اياما تمضت بجلق
 لقاها عليها أنه وتوجع
 رحلت وابراد الشباب قشيدة
 وعدت واسمال المشيب ترفع

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي
يتشوق اليها :

ادمشق لا بعدت ديارك عن فتى

ابدا اليك بكاه يتشوق

اشتاق منك منازل لم انساها

انى وقلبي في ربوعك موثق

انى اتجهت رأيت دوحا ماؤه

متسلسل يعاو عليه جوسق

والريح تكتب والجداول اسطر

خطا له نسخ الغمام محقق

ومعاطف الاغصان هزتها الربا

طربا فذاك نما وهذا مونق

تتلو على الاغصان اخبار الهوى

فيكاد ساكت كل شيء ينطق

ومن محاسن الشام ان كل نزهة ذكرناها لها اوان

يتفرج أهل البلاد فيه وزمان يتعاهدونها به ويرجعون اليه

ويعجبي قول ابن فائد البحراني :
 برزت دمشق لزارى أوطانها
 من كل ناحية بوجه ازهر
 لو أن الأسانا تعمد أن يرى
 معنى خلا من نزهة لم يقدر
 ومن لطائفه قوله في الذهبيات وقد عاد اليها في
 الخريف :

صبغت بلون ثمارها أوراقها
 فتكاد تحسب انهن ثمار
 لو كان مكتوباً عليها يوسف
 شهد الصيارف أنها دينار
 ومن محاسن ابن ديار قوله في الذهبيات :
 انظر الى ذهبيات العصون وقم
 الى اللدّام وواصلها الى العنق
 أما ترى النهر بالتصفيق أطربها
 فنقطته دنائراً من الورق

ونقلت من خط الزيني ابن الخراط قوله :

اتانا الخريف تديمي فقم نجدد بالروح عيشاً ذهب
إذا ما جلونا عروس الطالا على الغصن تقطها بالذهب.

ومن المعاني التي افضتها الرغادي :

يا ورقاً بالخريف يحكي على النجود المسلسلات
شبه الدنانير صففوها على سيوف مسلسلات.

ونقلت من خط بلدينا العلاء بن ابيك الدمشقي :

لا تخش يا محبوب من فاقتي
فمن قريب ذهبي. يأتي
فاذهب لفضيات ذا بالطالا

واستجلبها في الذهبيات

ونقلت من خط المرحوم شيخ الاسلام شهاب الدين

ابن حجر :

قد قال زهر الروض من ذا الذي

فضـل فضـل الذهبيات.

ما ذهبي يذهب من حجلة
 مودعا بل ذهبي يأتي
 ويعجبني قول المعوج الشامي وتلطف بقوله :
 تأمل تر أرض الخريف علياة
 من البرد حتى عادها وابل القطر
 وعالجها فصل الربيع فعوفيت
 فنقطها الازهار بالبيض والصفير
 ومن محاسن الشام صيفيتها وانها معلنة بحياة الازهار
 وتتمو الأثمار . ولهذا قال الحافظ الينغموري :
 واستنشقوا هو الربيع فانه
 نعم الصديق وعنده الطاف
 يغذي الجسوم نسيمه فكانه
 روح حواها جوهر شفاف
 ويعجبني قول ابن قرناص فيه :
 بعث الربيع رسالة بقدومه
 للروض فهو بقربه فرحان

ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه
مضمونها مالت به الاغصان
وشتويتها مؤذنة بموت الاشجار بالاصفرار ، وتفسيلها
بعد التجريد بالامطار . ولهذا قال الحافظ اليعموري :
خذ في التدفي بالخريف فانه
مستوبل ونسيمه خطاف
يجري مع الاجساد جري حياتها
كصديقها ومن الصديق يخاف
ومن الدر النظيم قول ابن تيمم :
يا شهر كانون من حب الغصون امت
الارض وجداً وابكيت السما حزناً
والزن غسلها من فيض أدمعه
والثلج حاك لها من نسجه كفنا
لكن يعتدون للشتاء بالاسمان والادهان ويعنون البيوت
بالحيوبات ، ولحم القديد والمسولات . والفاكهة المعلقة ،
والحلالات المؤنقة . ويكونون في الاماكن المبخرات

ولا يخرجون منها . فانها بلدة كثيرة المحاسن ، وماؤها غير
 آسن . وهي مباركة وفيها البركة وعيشها رغد في السكون
 والحركة . ولسكن استقرى من كان مولده فيها لم يزل في
 قبض ، ما دام بها الا أن ينزل الى تحت الارض . ويقال
 أنه لا يوجد بها اثنان من أهلها على قلب واحد متصافيان
 ويقال ان من قصدها بسوء ونواه اكبه الله تعالى
 فيه وأعثره . ولما قدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس
 رضي الله عنهم دمشق وحاصر أهلها فلما دخلها وهدم
 سورها وقع منه حجر كان عليه مكتوب باليونانية فارسل
 خاف بعض الرهبان قطبعه وقرأه فاذا عليه مكتوب :
 ويك ام الجبارة من رماك بسوء قصمه الله . ويك من
 الخمس الاعين ، نقض سورك على يديه بعد الف سنة .
 فوجدوا الخمس الاعين عبد الله بن علي بن عبد الله بن
 عباس بن عبد المطلب

فهي بلدة كثيرة البركات غزيرة الخيرات ، نعم بلدة
 الانبياء ، وموطن الاصفياء والاولياء . وبها صحابة من

الاجلاء ومقارها حوت امثال الفضلاء
ومنها جبانة باب الصغير بها بلال الحبشي رضي الله
عنه وبها السيدة سكينه بنت أبي بكر الصديق رضي الله
عنهما ، وبها السيدة زينب بنت الامام علي رضي الله عنهما
وبها معاوية رضي الله عنه ، وبها اويس القرني رضي الله
عنه ، وبها أبو عبيدة بن الجراح علي ما قيل خارج الجامع
المعروف به (١)

(١) زاد ابن الحوراني في كتابه (الاشارات الى اماكن
الزيارات) أن من اصحاب المدفونين في (الباب الصغير) : اوس
ابن اوس الثقفي الصحابي من أهل الصفة ، ذكره النووي في
(تهذيب الاسماء) .

وأبا الدرداء عويمر الخزرجي الصحابي ، ولي قضاء دمشق
لعمر . وزوجته أم الدرداء الصغرى مدفونة بقربه

ووائله بن الاسقع من أهل الصفة ، خدم النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاث سنين

وفضالة بن عبيد ، ولي قضاء دمشق لمعاوية ودفن عند ابي
الدرداء . وحمل معاوية نعشه وقال لابنه « اعني فاني لا أحمل
بعده مثله »

ويليها مقبرة محلة القروانة وبها جماعة من الاجلاء

والفضلاء

وسهل بن الربيع الاوسي الصحابي
ويسرة بن فاتك الاسدي أخا خزيم بن فاتك ، وهو الذي
مقسم دمشق بين المسلمين بعد فتحها

وشعمون بن ختانة ابا ریحان الاسدي الانصاري
ومكحولاً مولى سميد بن العاص ، سمع من انس وواثلة
ونقل ابن الحوراني عن الهروي في (الزيارات) أن في
(مسجد النارنج) بباب الصغير ثلاثاً من أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم ، وفضة جارية فاطمة ، وقبر سهل بن الحنظلية ، وقبر
ام الحسن بنت حمزة بن جعفر الصادق ، وقبر علي بن عبد الله
ابن العباس ، وقبر ابنه سليمان ، وقبر زوجته ام الحسن بنت جعفر
ابن الحسن بن الحسين . وبمقبرة باب الصغير أيضاً قبر خديجة
بنت زين العابدين ، هو لاء في رتبة والجدلة . وقبر سكيئة بنت
الحسين . وقبر محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم
وبها قبور كثير من الاولياء والصالحين لم يعلموا ، لما قيل
من أن مقبرة باب الصغير حرثت وزرعت بعد مائة سنة ، فلذلك
لا تعرف القبور

ومنها جبانة باب شرقي بها ابي بن كعب رضي الله
عنه ، وبها جبل بن معاذ رضي الله عنه ، وبها ضرار بن
الازور رضي الله عنه في حارة السادة القدماء عفا الله
تعالى عنهم

ونقل عن الحافظ ابن طولون في (بهجة الانام) أن قبر
معاوية الكبير في الحائط القبلي من جامع دمشق في قصر الامارة
(الخضراء) ، وهو الذي تسميه العامة (قبر هود) . أما الذي
في الباب الصغير فهو قبر ابي ليلى معاوية الثاني ابن يزيد
وذكر صاحب (مثير الغرام) أن (الوليد بن عبد الملك)
- الذي بنى مسجد دمشق ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقبة
الصخرة المقدسة في بيت المقدس - دفن سنة ٩٦ بمقبرة باب
الصغير شمالي قبر معاوية بنحو عشرين ذراعاً وقبره ظاهر معروف
يزار

وفي الباب الصغير من العلماء الشيخ حماد وهو من القدماء .
ومنصور بن عماد بن كثير السلمي . وعمر بن الحسن الخرقني من
تابعي أصحاب أحمد بن حنبل وهو مؤلف «المقنع» . وأبو الفتح
نصر بن ابراهيم بن نصر المقدسي النابلسي شيخ الشافعية بالشام وقد

وتليها مقبرة الشيخ رسلان أعاد الله علينا وعلى
المسامين من بركاته وعنده جماعة من الامثال والاجلاء
الافاضل^(١)

اجتمع به الغزالي واستفاد منه . وأبو البيان محمد بن محفوظ
القرشي شيخ الطائفة البيانية ويعرف بابن الحوراني . قال ابن
كثير له تأليف كثيرة وكان هو والشيخ رسلان أولاً مجاورين
في المسجد الذي في رأس درب الحجر في اواخر السوق الكبير
قريباً من الباب الشرقي . والحافظ الكبير ثقة الدين أبو القاسم
علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر صاحب (تاريخ دمشق)
دفن شرقي مدفن معاوية . وتاج الدين عبد الرحمن بن ابراهيم
الفزاري المعروف بابن الفركاح تلميذ ابن الصلاح والسخاوي
وابن عبد السلام . وبدر الدين ابن مالك . وأبو الربيع سليمان
ابن بلال الجعفري الهاشمي تلميذ الفزاري والنووي . وابن هشام
وابن رجب . وابن قيم الجوزية . و ابراهيم الناجي . وأبو العباس
أحمد الميني

(١) قال (ابن الحوراني) الشيخ ارسلان الدمشقي ابن
يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد الله الجعبري . مدفون مع شيخه
ابي عامر المؤدب ، توفي بعد الاربعين والخمسةائة

وخارج باب توما شرحبيل كاتب وحي رسول الله

والسيدة خولة [بنت الازور] رضي الله عنهما ^{عليهما السلام}

وجبانة بيت لهيا بها سادة وأعيان وصالحون لهم قدر

وشان

ويليها مقابر باب الفراديس بها أبو الدحدح [الصحابي]

رضي الله عنه ، وبها عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق

رضي الله عنهما ^(١)

ومقبرة سويقة صاروجا بها صالحون من أجل

المسلمين

ومقابر الصوفية بها جماعة من العلماء أئمة الدين

(١) قال (ابن الخوراني) : وفي مقبرة باب الفراديس مشهد

الخضر ، وعنده قبر محمد بن عبد الله بن الحسن المقدسي ثم الدمشقي

المعروف بأبي شامة وكان له شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر

توفي سنة ٦٦٥

وفي مسجد الاقصاب سوق حجر بن عدي الصحابي

وأصحابه

وصالحى المسامين كابن الصلاح وابن تيمية وابن المبارك
وغيرهم^(١)

ويليها مقبرة القنوات وباب السريجة وبها علماء الامة

(١) مقابر الصوفية هي الواقعة الآن في حديقة مستشفى
دمشق على نهر بانياس عند محطة البرامكة غربى دمشق . قال
ابن الحوراني : وممن دفن فيها (قطب الدين أبو المعالى مسعود
ابن محمد بن مسعود) انفرد في دمشق برئاسة الشافعية توفى في
رمضان سنة ٥٧٨

ومنهم (الفخر ابن عساكر) توفى سنة ٦٢٠ ودفن مقابل
قبر (ابن الصلاح) المتوفى سنة ٦٤٣

ومنهم (عبد الرحمن بن نوح) من أشياخ النووي وكان
مقي دمشق في وقته توفى سنة ٦٥٤

ومنهم (عماد الدين بن كثير البصري القرشى) توفى سنة
٧٧٤ ودفن عند شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية المتوفى سنة
٧٢٨

ومنهم (ابراهيم بن سليمان الحموي) له شرح الجامع الكبير
في ست مجلدات وشرح المنظومة في مجلدين

ومنهم (ابراهيم بن عبد الرزاق الحنفي) شارح القدوري
توفى سنة ٨٠٧

وأهل الرحمة . آخر من دفن بها شيخنا المرحوم العلامة
محب الدين البصروي الشافعي رحمه الله
ومن أحبابه الحميرية^(١) وبها المرحومون من الأولياء
والصالحين

ومنها مقابر محلة السيدة عاتكة رضي الله عنها ويقال
ان في ظاهرها ضريح المسالك كاتب النبي ﷺ رضي الله عنه .
ومنها جبانة محلة القبيبات وبها العلماء العاملون
والمجاذيب والصالحون كالسيد الشريف الشيخ الزاهد العالم
تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي امدنا الله بمدده . وهذه
جملة المقابر التي في المدينة الخارجة عن مقابر الصالحية
والقباونين وغير ذلك

وتم صحابة في قرى الضواحي رضي الله عنهم كسعد

(١) قال ابن الحوراني هي بمحلة الشويكة ومن دفن فيها
أحمد بن بدر الدين الحنفي المتوفى سنة ٩٣٤ ، ومحمد بن الحر
الحنفي توفي ٧٨٩

ابن عبادة رضي الله عنه بارض المنبيحة^(١) وتميم الداري رضي
الله عنه بقرية تميم التي سميت به و ابو الدرداء رضي الله عنه
فانه داخل قلعة دمشق والسيدة زينب الكبرى بنت
الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وهي اخت
أم كلثوم الكبرى التي تزوجها عمر رضي الله عنه وكانت مع
اخيهما الحسين لما قتل وقدمتا الشام وهانان والحسن
والحسين ومحسن الذي مات صغيراً أولاد الامام علي من
فاطمة رضي الله عنهما ثم تزوج بعد موت فاطمة وتسرى
بجاءه بنون وبنات ومن جملة البنات زينب الصغرى وأم

(١) نقل ابن الحوراني عن النووي في (تهذيب الاسماء)
قال : سعد بن عبادة الصاحب الانصاري الخزرجي الساعدي
كان نقيب بني ساعدة وصاحب الانصار في المشاهد كلها، قال
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « انه من بيت جود » شهيد
العقبة وبدراً والمشاهد، توفي سنة ١٦ واتفقوا على أنه كان
بحوران ومات بها، قال الحافظ ابن عساكر وغيره : هذا القبر
المشهور في المنبيحة يقال انه قبر سعد بن عبادة فيحتمل أنه نقل
من حوران اليها

كثوم الصغرى ، هكذا ذكره شيخنا الحافظ برهان
الدين الناجي رحمه الله تعالى ورضي عنه . وقال الشيخ
العارف أبو بكر الموصلي رحمه الله تعالى في كتابه (فتوح
الرحمن) توفيت السيدة زينب الكبرى بنت علي رضي
الله عنهما بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها ودفنت في قرية
من ضواحي دمشق اسمها راوية ثم سميت البلدة بها فالآن يقال
للبلدة الست ولا تعرف الا بقبر الست رضي الله عنها قال :
وكنت ازورها في أول أحد من العام ، ومعى جماعة من
أصحابي الفقراء ، ولاندخل الى قبرها بل نستقبله ونغض
ابصارنا ، لما قرره علماءنا في أن الزائر للميت يعامله بما لو
كان حيا من الاحترام ، فبينما أنا في البكاء والخشوع
والحضور وكأني بها وقد تراءت لي في صورة امرأة كبيرة
محترمة موقرة لا يقدر الانسان ان يملأ نظره منها احتراماً
فاطرقت فقالت : يا بني زادك الله ادباً لم تعلم ان جدي
رسول الله ﷺ واصحابه كانوا يزودون أم أيمن^(١) لكونها

(١) قال الزبيدي في التاج : أم أيمن امرأة أعتقها صلى الله

امراة محترمة وبشر الامة أن جدي محمداً ﷺ وجميع اصحابه
وذريته يحبون هذه الامة ، الا من خرج عن الطريق
فانهم يبغضونه . فلحقني ازعاج من كلامها غيبني فلما عدت
الى الحس لم أجد لها فواظبت على زيارتها الى يومنا هذا انتهى
وبالقربة المذكورة ضريح السيد الجليل مدرك
[الفزاري الصحابي] اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته .
وهذا الذي وصل الينا من معرفة من بدمشق من
الصحابة رضي الله عنهم اجمعين . وثم فيها من الانبياء
والصحابة والاولياء والصالحين غير ما ذكرناه لكن اتوالى
الحسن واندراس العلم والمعاهد والدمن وبانقراض الخبر
انقطع الخبر فلا عين ولا اثر

فان الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى قال في
شرح [سنن] أبي داود الشام من العريش الى بالس وقيل الى
الفرات وقال ابن السمعاني هي بلاد بين الجزيرة والغور الى
الساحل ويجوز فيها التذكير والتأنيث والهمز وتركه وأما
عليه وسلم وهي حاضنة اولاده فزوجها من زيد فولدت له أسامة .

شام بفتح الهمزة والمد فاباه اكثرهم الا في النسب انتهى
والله أعلم

فعلى هذا النظر ما في بلاد الشام من الانبياء والصحابة
والصالحين قال الحافظ العراقي « دمشق بلاد الانبياء
وموطن الاصفياء من الصحابة والتابعين والاولياء »
وبسندي الى النبي ﷺ انه اخبر انه زويت له مشارق
الارض ومغارها وقال سيبلغ ملك امتي ما زوى لي وانهم
سيفتحون مصر وهي ارض يذكر فيها القيراط وان عيسى
ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق . انتهى

واما فضائل الشام فكثيرة ومحاسنها جمة غزيرة ،
وبركاتها مشهورة واخبار خيراتها ماثورة . ولهذا اطلقنا
عنان القلم في غيضاها وروضاتها وقطوفها الدانية للمتفكر في
متنزهاتها ، وهيمنا الى الدور في تسلسل انهارها ونبيها
الاحداق في حدائق ازهارها

* * *

وقد ختمنا كتابنا بذكر الانبياء والصحابة والاولياء

والمشايخ والصالحين والعلماء العاملين وذكر المقابر ، فان كل
 انسان اليها صائر . ونحبس عنان جواد القلم في ميادين
 طرسه ، فان من دخل الى المقابر انقطعت اخباره بتواريه
 في رسمه

والله تعالى اسأل ان يؤانسنا بالقرآن العظيم في
 قبورنا وان ينقلنا منها الى الجنان بمحمد شفيعنا عليه السلام صلاة
 وسلاما يتارج شذاهما ملء الاكوان ويفوح ضوعهما على
 نشر الازهار وطى عرف الريحان ويكون كالنسيم في
 دوره بين الرياض والتنسيم فيكون آخر منتهاه اول
 مبتداه ان شاء الله تعالى بكرمه ومنه



فهرس

	صفحة
مقدمة الناشر	٢
خطبة المؤلف والحنين الى دمشق	٤
ما ورد من الحديث في الشام	١١
اشتقاق اسم الشام	١٣
الشام بلد الانبياء	١٧
بناء دمشق	١٨
بناء قصر ي جبرون والبريد	٢٣
أبواب دمشق	٢٤
الفتح العربي	٢٩
مسجد دمشق وفضله	٣٠
بناء الوليد المسجد	٣٣
مآذن المسجد وبعض ما كان فيه	٤١
غناء الدولة الاموية	٤٣
وصف ابن حبيب الحلبي مسجد دمشق	٤٤
وصف هذا المسجد شعراً	٤٥
وصف البدر الدماميني دمشق	٤٨
ايات البرهان القبراطي في وصفها	٥٠

	صفحة
وصف اليعقوبي وابن جبير مسجدها	٥١
الساعة العربية في دمشق أيام ابن جبير	٥٨
قلعة دمشق	٦٠
حي " تحت القلعة	٦٢
بين النهرين في دمشق	٦٥
نواعير دمشق	٦٦ و ١٨٥
الشرفان ، والشقرا والميدان	٧٠
مرجة دمشق	٧٣
محملة الخليل والمنيبيع	٧٦
متنزه الجبهة	٧٧
متنزه قطية	٧٩
متنزه البيهنية والنهرين	٨٠
ربوة دمشق	٨٢
الزبداني	٩١
أنهار دمشق	٩٢
حواكير دمشق ورياحينها	١٠٢
ورد دمشق	١٠٤
ترجس دمشق	١٢١
بنفسج دمشق	١٣٣

	صفحة
ياسمين دمشق	١٣٦
منشور دمشق	١٣٨
سوسن دمشق	١٤٢
زنبق دمشق	١٤٦
بهار دمشق	١٤٧
اقحوان دمشق	١٤٨
آذريون دمشق	١٥٠
البابونج وزهر الكركيش	١٥٢
الآس	١٥٣
زهر النمام	١٥٩
شقائق النعمان	١٦٠
النيلوفر	١٧٢
البان	١٧٩
قف وانظر	١٨٠
تمر الحنا	١٨١
الحيلاني	١٨٢
الزنتخت والسرو	١٨٣
ارض المزة واللوان	١٨٧ و ٢١٢
المشمش	١٨٨

	صحيفة
القراصية	١٩٢
الكمثرى	١٩٥
التفاح	٢٠١
الدراقن (الخوخ)	٢٠٦
الآجاص والبرقوق	٢١٠
زيتون كفر سوسة وسائر دمشق	٢١٢
المزاز وأرض الشويكة : الرمان	٢١٤
داريا	٢١٩
البطيخ الهندي (الاحمر)	٢٢٠
العنب	٢٢٣
اللاوز وزهره	٢٣٥
مرج الشيخ رسلان : الخشخاش	٢٤٨
الوادي التحتاني : السفرجل	٢٤٩
غبيضة السلطان وست الشام	٢٥٤
شرق دمشق	٢٥٥
ضمير وابطيخها الاصفر	٢٥٦
برزة	٢٦٠
التين	٢٦١
القبابون	٢٦٤

	صفحة
الخيار والقثاء	٢٦٥
بيت لهيا والعنابة	٢٦٨
العناب	٢٧١
اراضي سطرًا ومقرى	٢٧٣
متنزه اليك	٢٧٤
الهلبيون	٢٧٥
الطرخون	٢٧٨
الكرنب والقنبيط	٢٨٠
الباذنجان الاحمر	٢٨٥
الكراث	٢٨٧
الجزر	٢٩٠
الزعر والفجل	٢٩١
السذاب	٢٩٢
النعناع والرشاد والبقلة الحمقاء	٢٩٣
الاسفناخ والكرفس والسلق	٢٩٤
الهندباء والبصل	٢٩٥
الثوم	٢٩٦
الكسفرة والكراويا والكمون	٢٩٧
القرع	٢٩٨

	صفحة
الكأة	٣٠١
اللوبياء والارز والباقلاء	٣٠٣
الذرة والدخن والماش	٣٠٦
القرطم والعدس	٣٠٧
السهم وبزر قطونا والترمس	٣٠٨
الحمص والخلية	٣٠٩
الخس ، أرض الميطور والسيلوق في غرس الشجر	٣١٠
مأثرة لسليمان بن عبد الملك في غرس الشجر	٣١١
البندق	٣١٢
الفستق	٣١٤
متززه السهم	٣١٧
ارض بزار وبهران ، والكلام على التوت	٣١٨
الصالحية وتلاعب النظار بأوقاف المدارس والمساجد	٣٢٠
رخاء دمشق وخيراتها	٣٢٢
البلح والرطب والقصب والطلع والبسر والتمر والنخيل	٣٢٣
الارج	٣٣٠
الليمون	٣٣٣
النارنج	٣٣٥
جبل قاسيون والكهف	٣٣٩

صفحة

الشيخ والسماق	٣٤٠
الزعزور	٣٤٢
الزيرفون	٣٤٣
الخرنوب	٣٤٤
قرية (منين) والجوز	٣٤٥
الثلج	٣٤٧
الريباس	٣٤٩
أمير باريس	٣٥٠
الصنوبر	٣٥١
القلقاس	٣٥٢
الموز	٣٥٣
قصب السكر	٣٥٤
٣٥٦ و ٣٦٧ عود الى غوطة دمشق وانها جنة الدنيا	
صناعات دمشق	٣٦٢
فضائل دمشق	٣٧٣
المدفونون في دمشق من العظماء	٣٧٤
آخر الكتاب	٣٨٥

